المدخل الشرقى لمصر

المدخل الشرقي لمصر

أهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للموجات البشرية

للدكتور

عبّاس مصطفى عمّار

مدرس بكلية الآداب — جامعة فؤاد الأول

مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية

القاهرة ١٩٤٦

إلى روح الرائد الأول

أحمد محمد حسنين

اعترافا بما له من أثر كبير في الكشف الجغرافي وارتياد الصحراء

مقدمة

هذا بحث مفصَّل فى موضوع يمس الدراسة الجغرافية لاقليم من أقاليم القطر المصرى، كانت له أهمية كبرى، باعتباره حلقة هامة من حلقات الاتصال بين مصر وما يجاورها من بلاد الشرق الأوسط والأدنى، كما كان دائماً المدخل الرئيسى، الذى استخدمه الغزاة دخولاً وخروجاً، واتخذته الموجات المختلفة معبراً لها إلى وادى النيل الخصيب.

وسيشعر القارىء بأن هنالك اقتضاباً فى بعض النقط وتقصيراً فى استيعاب البحث فيها، وهو فى هذا صادق فى شعوره مصيب فى حكمه؛ وتفسير ذلك أن ما ينشر هنا عن «أهمية سيناء كطريق للمواصلات، ومعبر للهجرات البشرية» إنما هو جزء من بحث طويل، عالج — إلى جانب هـذه الناحية التى تدور حولها مادة هذا الكتاب — جغرافية سيناء الطبيعية والچيولوچية، كما تعرض بالتفصيل لظروفها المناخية ولمصادر الماء وتوزيع العيون والآبار؛ وكل هذه نواح أساسية لفهم الجانب البشرى فى جغرافية شبه الجزيرة؛ ولو أن الظروف سمحت بنشر البحث كاملاً، لاستطاع القارىء أن يرجع فى تفاصيل ما اقتضب من بعض أجزاء هذا البحث إلى موضعها الطبيعى من الدراسة.

*

* *

لقد كان هذا البحث ثمرة لتوجيه أستاذنا الجليل (مصطفى بك عامر)، عند ما كان رئيساً لقسم الجغرافية بجامعة فؤاد الأول، وعند ما كنت أعمل تحت إشرافه فى كتابة رسالتى لدرجة الماچستير؛ إذ شاء عزته أن يسد قسم الجغرافية بالجامعة المصرية هذا النقص فى دراسة مصر القومية، وأن يقوم طلاب البحث فيه بدراسة أقاليم القطر ومناطقه المختلفة؛ وبذلك يساهمون فى توفير مادة كافية، يمكن أن تكشف عن تفاصيل الحقائق الجغرافية لهذا الجزء من حوض النيل.

وكان لهذا التوجيه الحكيم أثره ، فقام طلبة الماجستير بقسم الجغرافية بجامعة فؤاد الأول بعدة بحوث جغرافية تعالج عدداً من الأقاليم فى الدلتا والصعيد ، ولا تزال سياسة الجامعتين ترمى إلى الاستمرار فى تشجيع هذا اللون من البحث حتى يشمل أجزاء القطر جميعاً ؛ وكل ما نرجوه هو أن تيسر السبل لينشر على الناس أكثر ما يمكن نشره من هذه البحوث ، حتى لا تظل المكتبة العربية فقيرة فى الدراسات الجغرافية المحلية — كما هى فقيرة فى المراجع الجغرافية العامة — ، وحتى لا يبقى هذا النتاج العلمى مقصوراً على القليلين الذين يستطيعون الاطلاع على أصول هذه الأبحاث . . . وإذا كان هنالك نشاط مشكور فى نشر المخطوطات القديمة ، فلا أقل من أن يسير إلى جانب هذا جهود مماثلة لنشر الثقافة الجغرافية ، وتعريف المصريين بمقومات البيئة التى شكلت مجتمعهم ، وأثرت فى تطورهم ، ووجهت تاريخهم القديم والحديث .

* * *

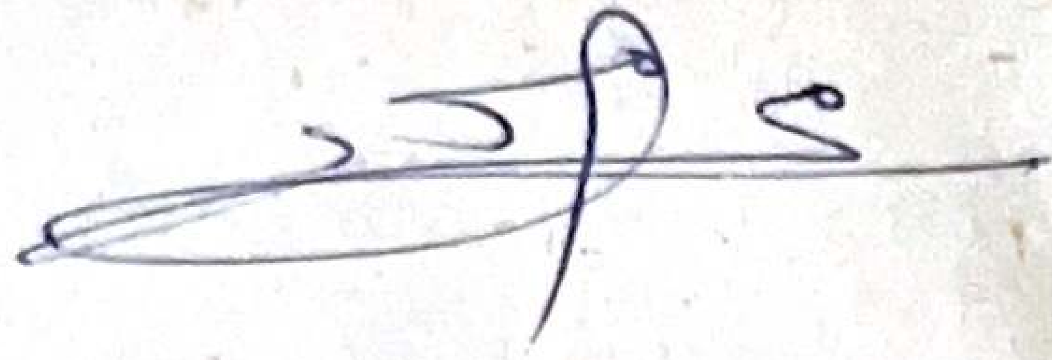
ولا يسعنى هنا إلا أن أسجل خالص الشكر للجمعية الجغرافية الملكية المصرية على جهودها فى هذا الاتجاه ، وعلى تفضلها بنشر كتابى عن « أهل مديرية الشرقية » ، ثم السماح لى بإعادة طبع هذا البحث عن شبه جزيرة سيناء ، وهو بحث نشر بمجلتها فى المجلدين الحادى والعشرين والثانى والعشرين . . .

لقد كان لصديقنا الراحل (مسيو مونييه) — الذى أخلص فى سكرتارية الجمعية وأفنى حياته فى خدمتها — الفضل الأول فى تدبير المال اللازم لنشر البحثين فى سنى الحرب الأخيرة ، رغم ندرة الورق وصعوبة الطبع وارتفاع الأسعار.

عباس مصطفى عمار

قسم الجغرافية بجامعة فؤاد الأول

سبتمبر سنة ١٩٤٦



المدخل الشرقى لمصر

أو

أهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للهجرات البشرية

موقع شبه جزيرة سيناء :

ترتبط أهمية المنطقة كطريق للمواصلات بموقعها الجغرافى ، وتزيد أهميتها فى ذلك أو تنقص تبعاً لما تمليه البيئة الجغرافية من علاقات كبيرة أو صغيرة بين أجزاء ذلك الوسط الذى توجد فيه ، وتبعاً لما يكون لتلك المنطقة ذاتها من أهمية تجعل الاتصال بها مقصوداً لذاته أو تجعلها مقصورة على مجرد المرور بها إلى غاية أخرى خارج حدودها . وتؤثر طبيعة المنطقة ذاتها فى حركة المواصلات بها : فهى تزيدها إن كان الانتقال فيها سهلا ميسراً ، وهى تضعفها إن كثرت الصعوبات بها ، فإن استمرت الحركه بها لكونها طريقاً لا غنى فى الانتقال عنه فذلك الاستمرار ينقطع حين يوجد طريق آخر أقل صعوبة وأشد تيسيراً .

والآن ما موقع شبه جزيرة سيناء ؟ وما مدى هذه العلاقات التى تمليها البيئة الجغرافية بين الأجزاء المختلفة لهذا الاقليم الذى تقع فيه ؟ وهل ننظر إليها كانها مجرد

طريق للمرور بين الجهات المحيطة بها ، أم أن فى شبه الجزيرة نفسها ما يمكن أن نعتبره غاية تقصد فى المواصلات لذاتها ؟ ثم إلى أى حد تسهل طبيعة سيناء الانتقال فيها أو تصعبه ، وما تأثير هذا فى حركة المرور بها ، وتطور أهمية النقل فيها تطوراً ينتهى إلى ما نراه الآن ؟

تقع شبه جزيرة سيناء بين ذراعى البحر الأحمر ، إلى شرق دلتا النيل ، وشمال غربى بلاد العرب ، وإلى الغرب والجنوب الغربى لشرق الأردن وفلسطين وسوريا (بلاد الشام) ، أى أنها نقطة اتصال بين الجنوب الغربى لقارة آسيا والشمال الشرق لقارة إفريقيا . واهمية هذا الموقع انما تظهر لنا حين نقارن بين هذه الجهات التى تتوسطها سيناء لنرى مبلغ التباين فى ثروتها وإنتاجها ومقدار الاختلاف فى غناها وغلاتها ، فذلك هو الذى يحدد مبلغ ما بين تلك المناطق المختلفة من علاقات ، وهذا ما يظهر لنا أهمية سيناء كطريق هام للمواصلات .

اما دلتا النيل فمنطقة تعرف بخصوبتها منذ القدم ، يسكنها منذ العصور التاريخية القديمة سكان مستقرون يشتغلون بالزراعة ويتخذونها حرفة أساسية لهم ، والأراضى التى إلى شرق الدلتا — وإن لم تكن لها أهميــة كبيرة فى الزراعة — كانت أراضى غنية بمراعيها ، لا يعتمد نمو حشائشها على ما يسقط من أمطار ، وإنما كانت تفيض فروع النيل الشرقية فى زمن الفيضان على جوانبها ، فاذا غاض النهر نمت حشائش كثيرة يمكن أن يعيش على رعيها عدد كبير من الحيوانات[1] .

أما المناطق الاخرى التى تحيط بسيناء فى آسيا ، فإذا نحن استثنينا هذه المساحات المحدودة التى تدخل فى دائرة الهــلال الخصيب ، فهى فى جملتها مناطق صحراوية

---

(١) تقع أرض جاسان *Goshen* التى كان يسكنها الاسرائيليون ويشتغلون بالرعى فيهـا الى شرق الدلتا . والمؤرخون يختلفون فى تعيين حدودها بالدقة وهذا لا يعنينا كثيراً فى هذا البحث وانما الذى يهمنا ان نلاحظ أن أرض جاسان هذه كانت مناطق غنية بمراعيها
راجع Major R. H. Brown, *The land of Goshen and the Exodus* (1899), pp. 28-33.

يصعب أن تقوم بها زراعة ، ويتعذر تبعاً لهذا أن يسكنها قوم مستقرون ، وإنما كان — وما يزال — يسكنها فى أغلب الحالات جماعات متنقلة وبدو رحل تتوقف مواردهم الطبيعية على ما يربونه من حيوانات تعيش على هذا الكلأ الذى ينمو على المطر والذى يتوقف توافره وعدم توافره على ما يصيبهم منه . . . وشبه جزيرة سيناء نفسها — فيما تدل الدراسة المنــاخية والنباتية لها — تدخل إلى حد كبير ضمن هذه المنــاطق الصحراوية ، وما يمكن أن يسكنها — كما سنرى فى دراسة سكانها — إلا بدو رحل ، إن وجدت بينهم جماعات مستقرة فهى جماعات قليلة العدد ، تنحصر مناطق سكناها فى جهات محدودة فى سيناء لا يمكن أن تتعداها .

هذا التباين بين جهات زراعية غنية فى وسط الدلتا ومراع تضمن حشائشها إلى الشرق منها ، وبين مناطق صحراوية لا يضمن الكلأ فيها ، من شأنه أن يغرى سكان الصحراء بأن يزحفوا على المناطق الزراعية طمعاً فى ثروتها . وهذا أمر يشير إليه علماء الجغرافية الاجتماعية دائماً ، ويعرفه الذين يدرسون البيئات المختلفة ويحللون حياة الجماعات فيها[1] . بل إن تاريخ غرب آسيا — فيما يقول الأستاذ برستد — إنما يمكن وصفه بأنه صراع وتنازع بين سكان الجبال وسكان الصحراء على امتلاك أراضى الهلال الخصيب التى تحف بالصحراء[2] . وإذا كان « برستد » قد تكلم على هذا الصراع وعلاقته بغزو السهول الخصبة فى بلاد الجزيرة وسهول الشام ، فان تاريخ مصر قد شهد لوناً من هذه الغزوات الساميّة المتتابعة ، تشتد حيناً وتضعف حيناً آخر ، لكنها فيما يؤكد المؤرخون كانت دائمة مستمرة . وإذا كان سكان سيناء كثيرى الاغارة على مقاطعات مصر الشرقية ، يهددونها ويقلقون راحة سكانها ، وكان حكام مصر يضطرون إلى تجريد الحملات الكثيرة لتأديبهم ، فان غزوات للبدو كانت تأتى من خارج سيناء ، تقطع شبه الجزيرة وتغير على الأراضى

---

(١) راجع الفصل الرابع عشر سيما الصفحات من ٤٩٠ الى ٤٩٣ فى كتاب E. Semple, *The Influences of Geographic Environment* (1911).

(٢) راجع James H. Breasted, *Ancient Times, a History of the Early World*, p. 101

الغنية فى الدلتا بشكل خاص ... ومن الصعب علينا أن نعين بالضبط بدء هذه الغزوات إذ لم يدون منها إلا الغزوات الكبيرة ذات الأثر فى تاريخ مصر كغزوة (الهكسوس) مثلا ، لكن الوثائق والكتابات المصرية تدل على أن تلك الغزوات سابقة لعصر الأسرات ؛ بل إن بعض الكتاب يغلو فيرجع هـذه الغزوات إلى الأيام التى كانت تحكم فيها مصر بالآلهة — كما تشير (الميثولوچيا) المصرية — حتى لقد كان على الآلهة أن يقوا أنفسهم شر هؤلاء البدو الغزاة !![١]

هذه الغزوات كانت متتابعة مما اضطر فراعنة مصر إلى تحصين حدود مصر الشرقية ببناء حائط كامل — فى رأى بعض المؤرخين — أو ببناء حاميات وقلاع حربية فى رأى كتاب آخرين . ولا أدل على كثرة هذه الغزوات من أن هذه المقاطعة الشمالية الشرقية فى مصر السفلى كانت تأخذ اسم (المقاطعة العربية) ، ومن أن القساوسة كانوا يشيرون اليها فى كتبهم المقدسة على انها مكان سكنى (تيفون Typhon) العدو اللدود للخصوبة والعائق الأكبر لسعادة مصر ؛[٢] وكان يشجع هذه الغارات ويقويها ضعف مصر من ناحية ، وسوء الحالة النباتية فى الصحارى من ناحية أخرى . وإذا كان (هنتنجتون) يربط هذه الغزوات بنظريته فى الجفاف ويعتبر أن تلك الغارات المختلفة إنما دعت إليها تغيرات فى الحالة المناخية ، فإننا لا نستطيع أن نقبل هذا الرأى إطلاقا بل نرى أن من هذه الغزوات ما لم يكن بحاجة إلى تغيرات مناخية فى المناطق الصحراوية ؛ اذ أن مجرد التباين بين غنى الأراضى الزراعية وبين فقر الصحراء كاف كما قلنا لأن يغرى البدوى بأن يغير على الجهات الزراعية[٣] عندما يلمس فى حكام المناطق الزراعية المجاورة ضعفا .

(١) راجع MASPERO, *Dawn of Civilization* (1896), p. 357

(٢) راجع CHAMPOLLION, *L'Égypte sous les Pharaons*, V, II, pp. 87-88

(٣) راجع HUNTINGTON : *a) The Pulse of Progress* (1926); *b) Palestine and its Transformation* (1911).
يربط (هنتنجتون) غزوات البدو بتغيير المناخ ، ويأخذ هذه الغزوات برهانا يؤيد به رأيه .

تلك إذاً هى أول أهمية لسيناء فى المرور : كان البدو يقطعونها فى طريقهم إلى الأراضى المصرية فى شكل موجات فردية وجماعات قليلة ، أو فى شكل غزوات كبيرة منظمة أظهرها غزوة الهكسوس . كما أن غزوة العرب أيام التوسع الإسلامى فى نظر كثير من الكتاب لا تختلف عن الغزوات السابقة إلا فى أنها أكثر تنظيما وإلا فى أنه قد يكون للدافع الدينى شىء من الأثر إلى جانب ذلك الدافع الاقتصادى الذى لا نستطيع له انكاراً . . . . وإذا كانت شبه جزيرة سيناء قد شهدت مرور هذه الجماعات البدوية فى عنفها تعبرها بدافع الاستيلاء على خيرات الأراضى الزراعية ، فقد شهدت كذلك موجات أخرى سلمية ، ما جاءت لتغزو وتنهب وإنما جاءت لتسكن وتعيش فى مناطق تفيض بخيراتها ؛ من ذلك هجرات «الكنعانيين» التى شجعها حكم الهكسوس فى مصر ، ومنها هذه القبـائل التى سمح لها بأن تهاجر من (ايدوميا) لترعى قطعانها ولتعيش فى أرض فرعون مصر (منفتاح)[١] ، وتلك القبائل العربية التى كان يشجعها ولاة مصر فى العهد[٢] الإسلامى على أن تهاجر من بلاد العرب وبلاد الشام لتسكن مصر وتستقر فيها والتى ظلت تفد إلى مصر حتى عهد قريب .

أهمية سيناء الحربية :

على أن مرور الغزاة عبر سيناء لم يقتصر على هؤلاء البدو الرعاة ، بل لقد شهدت شبه الجزيرة فى الزمن القديم وفى العصور الوسطى والتاريخ الحديث غزوات جيوش

واذا كنا لم نسايره الى هذا المدى البعيد الذى ذهب اليه ، فذلك لا يمنع من ان بعض الغزوات سببها تغيير فى حالة المنـاخ ، سيما تلك الغزوات الكبيرة العدد التى يأتى البـدو فيها ومعهم أطفالهم ونساؤهم .

(١) هذا مأخوذ من ورقة بردى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى تعرف باسم *The Papyrus of Anastasi VI.*

راجع Major R. H. BROWN, *The Land of Goshen and the Exodus* (1899), p. 35 and Henery Spencer PALMER, *Sinai from the Fourth Dynasty to the Present Day*, p. 154.

(٢) راجع كتاب «البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب» للمقريزى .

منظمة ، قطعتها قادمة إلى مصر حين لمست فى حكامها ضعفا ، وقطعتها راجعة إلى آسيا ثانية حين قوى ملوك مصر على طردها . بل إن مصر نفسها كثيراً ما اتخذت سيناء طريقاً لتوسعها الخارجى حين يشتد بأسها فتمد نفوذها على بلاد الشام ، وتبسط سلطانها على أراضى الجزيرة وتخضع الاشوريين والبابليين . والذى يتتبع تاريخ مصر فى مراحله المختلفة ويدرس الحوادث التى مرت بها ، يرى أن مصر بعد طرد (الهكسوس) فى أيام «أحمس» قد دخلت فى طور فتح جديد فى آسيا وأن حرب الاستقلال والتخلص من هؤلاء الرعاة قد نفخ فى المصريين روحاً حربية قوية ، ومن هنا ظهر نشاط الأسرة الثامنة عشرة أيام «تحتمس الأول» الذى قطع سيناء إلى بلاد النهرين ، وأيام «تحتمس الثالث» الذى خلدت غزواته على جدران معبد الكرنك .. وإذا كان حكم «اخناتون» قد أضاع على مصر شيئاً من أملاكها فى آسيا ، فان ملوك الأسرة التاسعة عشرة — سيما رمسيس الأكبر — قد حملوا حملاتهم عبر سيناء فأدبوا (الحيثيين) وأعادوا إلى مصر رهبتها واخضعوا تلك البلاد لمصر خضوعاً تاما .

ثم تدخل مصر فى فترات ضعفها ، ويتنازع حكمها الشعوب المجاورة ، فيظهر الاشوريون فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، ويقوى الفرس فيتغلبوا على جهات آسيا الغربية ويدخل «قمبيز» مصر منتصراً عام ٥٢٥ قبل الميلاد ، وتظل مصر خاضعة للفرس إلى أن تنتقل إلى حكم «الاسكندر» الذى قطعت جيوشه سيناء ووصلت إلى مصر فى الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد .

ويحكم «البطالسة» مصر بعد موت «الاسكندر» فتعود مصر إلى التوسع الخارجى ، وتعبر جيوشها شبه الجزيرة لتسترد بعض أراضى فلسطين ، وتنتقل السلطة إلى روما فتستمر مصر فى يدهم حتى تأتى جيوش المسلمين قاطعة سيناء فتسقط مصر فى أيديهم عام ٦٤١ بعد الميلاد ... وكذلك تستمر حركة الجيوش عبر شبه الجزيرة من مصر وإليها فى أيام الصليبيين والمماليك والأتراك العثمانيين ، وتأتى الحملة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر فيجرد (نابليون) حملته على بلاد الشام ، ويحكم «محمد على» فتتجه أطماعه إلى

الشرق وتصل جيوشه إلى بلاد الأناضول ، فإذا وقعت مصر تحت الحكم البريطانى عقب الاحتلال أصبحت سيناء حلقة الاتصال بينها وبين املاك الدولة العثمانية . ولما كانت الحرب الماضية وحاربت تركيا ضد الحلفاء ظهرت الحملة التركية فى سيناء وقطعت شبه الجزيرة مرتين لتهاجم القناة . ثم رأى الانجليز ألا بد من أن يجعلوا هذه القناة بعيدة عن الغزو فتحركت جيوشهم قاطعة شبه الجزيرة لتجعل خط الدفاع عن القنال فى أرض فلسطين .

مثل هذا التلخيص للحملات المختلفة التى عبرت سيناء يرينا فى وضوح الأهمية الحربية لشبه الجزيرة ، ويبرر لنا المكانة التى تأخذها سيناء كطريق مرور للجيوش بين آسيا وشمال افريقيا الشرق . ولقد حاول (چارفس بك) — محافظ سيناء السابق — فى مقدمة كتابه عن شبه الجزيرة أن يصور لنا هذه الأهمية الحربية تصويراً أساسه المقارنة ، ونحن نثبت هنا الفقرة التالية من كلامه فهى تعبير لرجل حربى نقيم لكلامه فى هذه الناحية وزناً كبيراً . وسنراه يحكم حكما تؤيده تلك الغزوات الكثيرة التى عددناها فى الفترات المختلفة من تاريخ مصر .

"Though a desert—or, to be more exact, a wilderness—Sinai, by reason of its Geographical position as the link between Asia and Africa, always has been and will be of considerable importance, and as a battle-field has seen more invading and retreating armies passing through than any other country in the world—Belgium is not excepted" (1).

وهناك نقطة ينبغى أن نشير إليها لما لها من أهمية فى اعطاء شبه الجزيرة مركزاً حربياً ممتازاً لم يكن لها من قبل : ذلك أنه قبل حفر قناة السويس كان الدفاع عن مصر يركز فى برزخ السويس ، فى تلك الحصون والقلاع القائمة على حدود شبه الجزيرة الغربية ، وما كانت الجيوش التى تقطع المنطقة تجد حاميات لها قيمة إلا إذا وصلت مدينة (پيلوز)

---

(١) راجع C. S. Jarvis, *Yesterday and Today in Sinai* (1933), p. 1

التى كانت أهم الحصون فى الدفاع عن مصر ضد غارات المغيرين . لكن حفر القناة غير من هذا تغييرا كلياً ، وجعل الذين يهتمون بسلامة القناة ينظرون إلى حدود سيناء الشرقية كمنطقة للدفاع عن القناة ، وبهذا زادت أهمية سيناء الحربية وأصبح الانجليز ينظرون إليها كمنطقة لا غنى عنها لتأمين القناة ، الشريان الهام فى جسم الامبراطورية . فهذه القناة طريق مواصلات هام وليست قناة يقصد بحفرها أن تكون كالخنادق تقف فى وجه العدو المهاجم لمصر من الشرق وتعطل تقدمه فيكتفى بتحصين شواطئها الغربية ليتم بذلك الدفاع عن مصر ، ومن الضرورى إذاً أن تظل حركة الملاحة فيها مستمرة تنقل لانجلترا فى أوقات الحرب المواد الغذائية والجند المحاربين ، وتسهل مرور الأساطيل لحماية أجزاء الامبراطورية فى الهند واستراليا بشكل خاص ؛ فاذا جعلت القناة منطقة دفاع تدور رحى الحرب على ضفتيها عاق ذلك حركة القناة من غير شك وهدد السفن التى تمر بها ، وإذا استطاع العدو أن يغرق بها سفينة واحدة عطلت حركة المرور بها ، وقد يكون لذلك فى أوقات الحروب أثر فى تغيير مجرى الحوادث تغييرا تاماً [١] .

ولقد ظهرت هذه النقطة واضحة تماماً فى الحرب الماضية . إذ كان هنالك رأيان فى مسألة الدفاع عن القناة : أحدهما يرى ألا ضرورة للتقدم فى سيناء ، والثانى يقول بذلك ويلح فيه [٢] . وإذا كان الرأى الأول هو الذى تغلب فى الفترة التى تولى القيادة فيها (السير مكسويل Sir J. Maxwell) حيث رأى أن خط الدفاع عن حدود مصر الشرقية إنما ينبغى أن يكون قناة السويس نفسها فما نظن أن ذلك يناقض ما ذهبنا إليه ، بل كل ما فى الأمر أن أنصار ذلك الرأى كانوا يستبعدون غزو الأتراك لمصر من ناحية سيناء لأن تلك الصحراء فى نظرهم لا يسهل على الجيوش أن تقطعها . ولو أنهم كانوا يرون إمكان ذلك لما وجدنا هذا الخلاف على ضروره التقدم فى سيناء يظهر بين رجال

---

(١) راجع Serjeant Major R. A. M. C., *With the R. A. M. C. in Egypt* (1918), p. 83

(٢) Lieut. P. G. Elgood, *Egypt and the Army* (1924), p. 121

الحرب فى منطقة القناة [١] ، ولذا نجد أن تقدم الحملة التركية الأولى (أوائل سنة ١٩١٥) من « بئر السبع » وهجومها على القناة فى منطقة « الاسماعيلية » وإن انتهى بالفشل إلا أنه غير الرأى فى مسألة الدفاع عن القناة تغييراً تاماً . وهاهو نص ما جاء فى الجزء الأول من تاريخ الحرب العظمى الذى يعتمد على الوثائق الرسمية وهو يؤيد هذه الوجهة التى ذهبنا إليها :

"In Dec. 1915 (بعد هجوم الحملة التركية الاولى) the policy of defending the Suez-Canal upon its own banks had now been definitely abandoned. It had been decided, as has been recorded, that the line of resistance must be far enough to the east to deny the Canal to the fire of hostile artillery . . ." [٢]

ولم يكد السير مرى (Sir A. Murray) يتولى القيادة فى أوائل سنة ١٩١٦ خلفاً للسير (مكسويل) حتى رأينا هذه السياسة الجديدة تتغلب ورأينا الخطط اللازمة لذلك التقدم على سيناء ترسم : فتشترى الإبل ، ويفكر جدياً فى مد الخط الحديدى شرق القنطرة إلى « قاطية » أولاً ثم إلى « العريش » وما بعدها ... [٣] ويكفى أن نثبت هنا هذه الفقرات من خطاب أرسله السير (مرى) بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ إلى القيادة العليا ففيها رأيه فى تلك النقطة صريحاً جداً : —

"It is clear that the security of Egypt against an attack from the east is not best assured by the construction of a great defensive position in

---

(١) راجع: Lieut. P. G. Elgood : *Egypt and the Army* (1924), p. 67

(٢) راجع *History of the great War* (based on the official documents). Military Operations; Egypt and Palestine : compiled by Lieut. General Sir George Macmunn and Cap. Cyril Falls (1928), V. I., p. 89.

(٣) راجع الكتاب السابق صفحة ١٥٧ وستجد فيه خطابا من (السير مرى) الى (سير روبرتسن) فى ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ يصرح فيه بان خير طريقة للدفاع عن مصر من الشرق هى التقدم الى العريش .

proximity to Suez-Canal... In order to effect the object aimed at, it would be far preferable to push out across the Sinai Penin. towards the Egyptian frontiers'' (١).

أهمية سيناء فى مرور التجارة :

وسنترك الآن أهمية سيناء كطريق لمرور الجيوش والغزوات إلى أهميتها كطريق لمرور القوافل التجارية ونقل البضائع والحاصلات بين افريقيا وآسيا . وهنا يحسن أن نفرق بين مرور تجارة الشرق الأقصى والأوسط وبلاد العرب فى طريقها إلى مصر وبلاد الغرب من جهة ، وبين مرور تجارة شمال بلاد العرب وبلاد العراق والشام بشبه جزيرة سيناء فى طريقها إلى مصر من جهة أخرى ، فنصيب سيناء من مرور تجارة هذه المناطق بها ومدى تفوق الطرق الأخرى عليها فى اجتذاب تلك التجارة يجعلنا نميل إلى ذلك التفريق .

أما تجارة الشرق الأقصى والأوسط وجنوب بلاد العرب فما نظن أن سيناء قد أصابها من مرور تجارتها حظ كبير : لأن تجارة الشرق الأقصى فى طريقها إلى أوروبا كانت تفضل طرقا أخرى كثيرة منها ما يقطع وسط آسيا ويحف بحر قزوين ، ومنها ما يصل إلى الخليج الفارسى ويأخذ طريقه فى الهلال الخصيب والصحراء السورية إلى البحر الأبيض ، وجزء قليل من التجارة — فيا تقول الكتابات الصينية — كان يدور حول الجزيرة العربية إلى موانىء البحر الأحمر الشمالية مثل (هواره Leucé Comé) و (ايله) على رأس خليج العقبة ثم تنقل منها إلى موانىء البحر الأبيض وموانىء سوريا وفينيقيا ليتم صناعتها قبل أن تعرض فى الأسواق(٢) . فاذا كان يصل إلى مصر شىء من

---

(١) راجع كتاب تاريخ الحرب العظمى السابق جزء أول صفحتى ١٧٠ و ١٧١ . وراجع Sergeant Major R. A. M. C., *With the R. A. M. C. in Egypt*, 1918, p. 84.

(٢) يرى F. Firth ان Ta Ts'in التى تقول الكتابات الصينية ان تجارة الصين كانت تنتهى اليها على البحر الأحمر هى (ايله) وليست احدى الموانى المصرية الواقعة على خليج السويس ، وهو

هذه التجارة فالغالب أنها ما كانت تقطع سيناء متفرعة من التجارة الذاهبة إلى موانىء الشام على ساحل البحر الأبيض ، وإنما كان يفضل أن تنقل من موانىء البحر الأحمر على شاطىء بلاد العرب إلى موانىء مصر الواقعة على هذا البحر .

والتجارة بين الشرق الأوسط وبين أوربا ، تلك التجارة التى كانت لها أهميتها منذ القدم والتى كانت تغرى التجار بأرباحها الطائلة ، إذ كانت العطور مثلا تباع بمائة أمثالها ذهباً ، مما أدى إلى تنافس شديد بين الطرق عليها . تُرى هل كان يمر بسيناء شىء كبير من هذه التجارة؟ الجواب على ذلك بالنفى أيضاً . فنحن إن تركنا الطرق الأخرى التى كانت تسلكها تجارة الشرق الأوسط بعيداً عن منطقة البحر الأحمر وركزنا بحثنا فى تلك المنطقة وحدها ، فالكتابات المختلفة وإن أشارت إلى الصعوبات التى كانت تلقاها السفن فى الوصول من الهند إلى البحر الأحمر قبل اكتشاف الرياح الموسمية فى القرن الميلادى الأول ، تجمع على أن تجارة هذا الشرق الأوسط من توابل وعطور وبعض المنسوجات والأحجار الكريمة كانت تجمع فى موانىء الركن الجنوبى الغربى لشبه الجزيرة العربية ليتحكم فيها ملوك سبأو «الحميريون» أو فى (هواره Leucé Comé) إلى الشمال من ذلك ثم ينقل جزء منها بالطرق المختلفة إلى المركز التجارى المعروف (بالبطراء) فى بلاد النبط لتحف بشبه جزيرة سيناء من الشرق فى طريقها إلى موانىء البحر الابيض . ونصيب مصر من هذه التجارة كانت غالبيته تنقل بالسفن من موانىء البحر الأحمر العربية إلى موانيه المصرية المختلفة فلا يأتى إليها عبر سيناء من تلك التجارة إلا جزء قليل .... وإذا كان هناك ما يدعو إلى أن تفضل التجارة طريق سيناء فى بعض الفترات فإن المجهودات التى قام بها البطالسة والرومان فى تحسين الموانىء المصرية على البحر الأحمر

يعتمد فى ذلك على ان البضائع الصينية تختلف عن البضائع الهندية فى ان الأولى معظمها من المنسوجات الحريرية التى يجب أن تتم صناعتها وأن يعاد نسجها قبل أن تطرح فى الأسواق (راجع صفحة ١٠٠ من رسالة الأستاذ حزين عن العلاقات الثقافية والتجارية بين الشرق العربى والشرق الأقصى فى الفترتين الاغريقية الرومانية والفارسية العربية التى كتبها فى ١٩٣٣) وراجع ايضا كتابه : *Arabia and the Far East* (1942), p. 101.

وتسهيل اتصالها بداخل مصر بطرق المواصلات المختلفة ، من شأنه أن يضعف ذلك ويحول عن سيناء ما كان يمر بها من تجارة المحيط الهندى . . .[١] وما قيل عن تجارة الشرق الأوسط يمكن أن يقال تماماً عن منتجات جنوب بلاد العرب التى كان المصريون يحتاجون إليها فى التحنيط والطقوس الدينية : فالمر والعطور وما إليها كانت تنقلها السفن إلى الموانىء المصرية على البحر الأحمر مثل (برنيس) و (Myos Hormos) تلك الموانىء التى كانت تتبادل الأهمية فترة بعد أخرى .

على أنه إذا كان حظ سيناء من مرور متاجر الشرق الأوسط وجنوب بلاد العرب قليلا ، فما يجب أن ننسى أن الجانب الغربى لشبه جزيرة سيناء كان فى بعض الفترات التاريخية طريقاً مهماً لمرور تلك التجارة إلى القطر المصرى ، وأن الحاصلات التى كانت تأتى من المحيط الهندى وجنوب بلاد العرب فتخزن فى موانىء البحر الأحمر العربية ، كانت فى تلك الفترات تنقل بالمراكب إلى ميناء (الطور) — Raithou — قديماً لتحملها القوافل إلى القطر المصرى بحذاء الجانب الأيمن لخليج السويس . . . حقيقة إن المعلومات عن ميناء (الطور) حتى العصور الوسطى معلومات ضئيلة لا يمكن أن يستنتج منها شىء عن مركز تلك الميناء[٢] ، لكنها تظهر فى كتابة جغرافيى العرب (كالقلقشندى والمقريزى) وغيرهما منافسة ميناء السويس من جهة ومينائى « عيذاب » و « القصير » من جهة أخرى مدة النصف الأول من القرن الحادى عشر ، وابتداء من النصف الأخير من القرن الرابع عشر (١٣٥٨ فى رأى المقريزى و ١٣٧٨ فى رأى القلقشندى) . ويمكن أن نميز فى تاريخ نقل التجارة بين الشرق الأوسط ومصر عن طريق البحر الأحمر أربع

---

(١) يمكن الرجوع الى مجهودات البطالسة والرومان فى تحسين موانى البحر الأحمر المصرية والطرق التى كانت تربطها بالداخل فى كتب التاريخ التى كتبت عن مصر فى عصر البطالسة والرومان مثل : A.-E. Bevan, *The History of Egypt* (The Ptolemaic Dynasty) pp. 154-155; B.-M. P. Charlesworth, *Trade Routes and Commerce of the Roman Empire* (Cam. 1926).

(٢) راجع Ptolémée : Ptol. Géog., C. Müller, V. XVI, pp. 993-995.

فترات تتناوبها الموانىء المصرية المختلفة التى تقع عليه وتتفوق فيها ميناء الطور مرتين فيصبح الجانب الغربى لسيناء هو طريق مرور تلك التجارة : —

١ — فترة كانت تنتهى التجارة فيها إلى نهاية خليج السويس فى ميناء « القلزم » و« السويس » ، تستمر حتى نهاية القرن العاشر ، ويكتب (ابن خرداذبه) حوالى سنة ٩٠٠ ميلادية فى كتابه « المسالك والممالك » فيصف « القلزم » بأنها ميناء الملاحة إلى الهند والحجاز .

٢ — والظاهر أن خطورة الملاحة فى خليج السويس لكثرة شطوطه المرجانية ، وهبوب الرياح الشمالية فى جزء كبير من السنة على ذلك الخليج ، جعل التجار يتلمسون موانىء أخرى إلى الجنوب ، فرأينا « الطور » فى العصور الوسطى تظهر أهميتها فى فترة تنتهى حوالى عام ١٠٥٠ فى نظر (المقريزى) .

٣ — ثم يأتى دور « عيذاب » و « القصير » فيذكر (المقريزى) أنه منذ سنة ١٠٤٧ وفى القرنين التاليين كانت « عيذاب » ميناء الحج إلى مكة ، والملاحة إلى اليمن والهند ، ويوافقه كثير من الكتاب وإن أشار بعضهم إلى أنه كانت هنالك ميناءان على البحر الأحمر هما عيذاب والقصير .

٤ — ولعل قبائل (البجاه) التى كانت تتحكم فى المنطقة — منطقة عيذاب والقصير — ويقاسى المسافرون والتجار منها كثيراً[١] تسأل عن شىء كثير من أسباب تحول التجارة عن تلك الموانىء ، فتظهر أهمية « الطور » من جديد منذ حوالى منتصف القرن الرابع

---

(١) راجع رحلة (ابن بطوطة) لترى أنه أراد أن يسافر بطريق (عيذاب) فوجد سلطان (البجاه) يحارب الاتراك المماليك وقد حرق المراكب وهرب الترك أمامه ، وراجع ص ٢٩ من كتاب « الرحلة الحجازية للبتانونى » — ١٩٠٩ — لترى أن البجاه كانوا يحيدون بالقافلة فى الصحراء الشرقية عن موارد الماء ليموت المسافرون عطشا فيستولوا هم على بضائعهم وان الملاحين كانوا يملأون السفن بأكثر مما تطيق وكثيراً ما أدى هذا الى ضياع أرواح الناس غرقا .

عشر ويصفها (أبو الفداء) بأنها ميناء عظيمة ، وأنه يوجد فيها سوق يجتمع فيها التجار[1] ... كذلك يذكر (Piloti) عام ١٤٤٠ أنه حتى حوالى تلك الفترة كانت تنزل البضائع أولا فى عدن — يقصد بضائع المحيط الهندى — ، ثم كانت تنزل بعدئذ فى « جده » لسوء معاملة حكام اليمن ، ومن « جده » تنقل البضائع الخفيفة إلى مصر بطريق البر أما البضائع الثقيلة فتنقل بطريق البحر إلى « الطور » لتأخذها القوافل المختلفة وتوزعها حيث تشاء[2].

ثم يأتى بعد ذلك عصر اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فتضعف أهمية الطور ، وتضمحل حركة مرور التجارة على جانب خليج السويس فى سيناء — كما ضعفت أهمية مصر كلها فى تجارة المرور — وما تستعيد تلك المنطقة بعد ذلك أهميتها فى مرور التجارة بالشكل الذى كان لها من قبل .

وإذا كنا قد أشرنا إلى الفترات المختلفة فى أهمية موانىء البحر الأحمر المصرية وعلاقتها بتجارة الشرق الأوسط وجنوب بلاد العرب ، فما ينبغى أن يتطرق إلى أذهاننا أن انتقال التجارة من ميناء إلى أخرى كان يأتى مفاجئاً ، أو أن الميناء الجديدة كانت تقضى على الموانىء الأخرى قضاء تاماً ، بل إن الانتقال إنما كان يجىء تدريجياً ، فالطور كانت لها شىء من الأهمية رغم تقدم «عيذاب» و «القصير» عليها . . . و (المقريزى) الذى يذكر عام ١٣٥٨ كتاريخ لاضمحلال «عيذاب» و «قوص» يذكر فى مكان آخر من كتابه أن طريق «قوص» لم يهجر تماماً إلا فى عام ١٣٩٧ ، بل إن بعض الكتاب يشير إلى أنه حوالى ذلك التاريخ كان الطريقان يستخدمان ، مما يدل دلالة واضحة على أن الفترة إنما كانت فترة انتقال[3] .

---

(١) راجع *Géographie d'Aboulfida*, traduite par Reinaud, Paris 1848.

(٢) راجع ص ٩٤ من كتاب Weil عن شبه جزيرة سيناء ، وراجع فى ص ١٠٥ من نفس الكتاب ما ذكره Von Harff من انه حوالى عام ١٤٩٧ كان يصل البهار اليها (الطور) مرتين فى العام بانتظام .

(٣) يستأنس فى دراسة هذه النقطة بـ : —
Raymond Weil, *La Presqu'île du Sinaï* (1908), pp. 85-105.

نخرج من هذا كله إذاً بأن سيناء ما كان يعبرها شىء كثير من تجارة الشرق الأوسط وجنوب بلاد العرب ، وكل ما كان يصيبها هو هذه التجارة التى تتبع الطرق الواقعة إلى شرقيها والتى كانت تنتهى بموانىء بلاد الشام على البحر الأبيض ، وتلك التجارة التى كانت تتبع الساحل الشرقى لخليج السويس فى الفترات التى تتقدم فيها ميناء «الطور» على موانىء البحر الأحمر المصرية الأخرى ... ويؤيد هذا تماماً الخرائط التى رسمها الأستاذ (حزين) للطرق التجارية فى البر والبحر بين الشرق العربى والشرق الأوسط والأقصى فى الفترة الإغريقية الرومانية والفترة الفارسية العربية وما يلى ذلك حتى أوائل عصر الاستكشاف ، إذ لا نجد فيها خطاً واحدا يعبر سيناء فى تلك الفترات الطويلة ، وكل ما نصادفه هو ذلك الخط الذى يبدأ من ميناء «الطور» محاذياً لخليج السويس حتى مدينة «القلزم» على رأس الخليج ، وهذا نفسه لا يظهر إلا فى فترات قليلة محدودة[1] .

على أن شبه جزيرة سيناء وإن ضعفت حركة مرور التجارة فيما بين جهات الشرق الأوسط والأقصى وجنوب غربى بلاد العرب من ناحية ، وبين مصر والبحر الأبيض من ناحية أخرى — إذ كانت تجد تلك التجارة طريقها إلى موانىء الشام أو موانىء مصر على البحر الأحمر ثم بالنيل إلى البحر الأبيض — ، فإن حركة تجارية قديمة كانت تمر بها بين بلاد النهرين والشام وشمال بلاد العرب من جهة وبين وادى النيل من جهة أخرى ، حركة كانت تقوى فترة وتضعف فترة أخرى ، تقوى حين تستتب الأمور بين مصر وبين تلك الجهات المحيطة بها ، وتضعف حين تسوء الحالة بينها ، بأن يقل المطر فى تلك المناطق الصحراوية فتنبعث منها غارات سكانها ويكونون عاملا يهدد الحركة التجارية ويوقفها ، أو بأن تكون مصر فى حرب معها ، تتقدم الجيوش منها لتغزو وتفتح فيقف مرور التجارة إلى أن تعود الحالة إلى ما كانت عليه ويسود السلم من جديد

---

(١) راجع الخرائط المرفقة بكتاب الدكتور حزين :
Soliman Ahmed Huzayyin, *Arabia and the Far East; their commercial and cultural relations in the graeco-roman and irano-arabian times* (1942).

... ويضع الأستاذ «حزين» قاعدة يتمسك بهـا فيما يختص بتأثير الجفاف والمطر فى العلاقات التجارية والثقافية بين مصر وبلاد العرب ، فيذكر أن فترات المطر كانت فترات ترتقى فيها التجارة بين مصر وما جاورها ، على حين أنه فى أيام الجفاف كان يضطر البـدو إلى أن يهاجموا الطرق التجارية ويزحفوا على الدلتا فيفر سكانها إلى الجنوب ، وتنتقل قوتهم لتتركز حول (طيبه) فتزيد قوتها الدينية وتزداد الحاجة إلى العطور ، وتكون معظم العلاقات التجارية مع بلاد (پنت) .... وفى رأيه أن فى إمكاننا أن نتخذ التغييرات المناخية التى قال بها (هنتنجتون) فى شمال بلاد العرب — وهو يسلم بآراء ذلك الكاتب على طول الخط ويغلو أحياناً فيها — أساساً ثابتاً للتغيير الذى طرأ على العلاقات التجارية بين مصر وبين تلك المناطق التى تأثرت بتلك التغييرات[١] .

أما تأثير الحروب فى إضعاف العلاقات التجارية فأمر طبيعى أشار إليه كثير من كتاب تاريخ مصر القديم ، . لكن إذا كانت تلك الغزوات قد أضعفت التجارة فى الفترات التى تلتحم الجيوش المصرية فيها بجيوش الحيثيين والاشوريين والبابليين ، فإنها من ناحية أخرى — فى رأى المؤرخ ماسپيرو — كانت عاملا يقويها وينشطها ، لأن الأهالى قبل هذه الالتحامات ما كانوا يأخذون صورة واضحة عما يمكن أن يتبادلوه ، فلما وصلتهم المتاجر بطريق أولئك الباعة الذين كانوا يوافقون الجيوش ويسيرون معها ، أو بطريق أولئك الذين كانوا لا يكتفون بغنائم الحرب بل يبيعون ما معهم ليزيدوا فى لذتهم ويشبعوا رغباتهم ، زادت الحركة التجارية[٢] .... وكلام (ماسپيرو) على هذا الوضع فيه شىء من الغلو ، فما نظن أن العلاقات التجارية بين مصر القديمة وما جاورها ترجع إلى أيام التوسع ونشر نفوذ مصر خارج حدودها ، وما نظن أن المتاجر التى يمكن أن تتبادلها تلك الشعوب كانت مجهولة حتى تأتى الحروب فتظهرها ، وإنما يرى كثير من البحاث أن العلاقات التجارية أقدم من عصر التوسع المصرى فى الخارج بكثير ، ترجع

(١) راجع كتاب الأستاذ حزين السابق صفحتى ٣٠ و ٣١

(٢) راجع MASPERO, *The Struggle of Nations*, p. 282

إلى أيام الاسرات الأولى ، بل لعلها ترجع إلى فترات ما قبل الأسرات وإن لم يدون عن ذلك شىء كثير .

والقوافل التى كانت تمر قديماً بسيناء فى طريقها بين مصر والبلاد المحيطة بها من الشرق كانت تأتى من بلاد الشام بالجوارى اللائى يعملن فى الحريم وبثيران الحيثيين والخيل والسمك والملح والخشب والآلات الموسيقية والمصنوعات الجلدية والزيوت والنبيذ ، وكانت هنالك قوافل كثيرة تأتى من بلاد النهرين ومنطقة الخليج الفارسى ، تقطع الصحراء وتمر بأرض اليهود وشرق الأردن ، تحمل إلى مصر من بلاد الكلدانيين المصنوعات الصوفية التى احتكروها حتى أيام الرومان ، وتحمل من بلاد بابل شيئاً من الجلود والحصير والزيوت ، أما بلاد العرب فالظاهر أن حظ سيناء من مرور تجارتها بسيط مقصور على شىء من المر والعطور ... وهنالك سلعة تحدث عنها (ديودور الصقلى) ، وأخذ عنه بعض المؤرخين أمثال شارپ — فى كتابه عن مصر[١] — الذى ذكر أن بلاد (النبط) التى كانت فقيرة فى كل فترات تاريخها والتى كانت تعتمد على وساطتها بين تجارة المحيط الهندى والبحر الأبيض ، كانت تحتكر إنتاج مادة (الأسفلت L'asphalte) التى كانت تؤخذ من البحر الميت — بحيرة الأسفلت فيما كانوا يسمونه قديماً — ، والتى كان قدماء المصريين يحتاجون إليها ويستوردونهـا بكثرة ليخلطوها ببعض المواد الأخرى وليحنطوا بها أجسام موتاهم فما تبلى . لكن (KAMMERER) فى كتابه عن (البطراء والنبط) ينكر هـذا انكاراً تاماً ويخرج من بحوثه إلى أن (ديودور) كان خاطئاً ، وإلى أن هذه المادة لم يشتهر بتصديرها إلى مصر النبطيون[٢] .

أما تجارة مصر التى كانت ترسلها عبر سيناء إلى تلك الجهات التى إلى شرقيها فكانت

(١) راجع SHARPE, *Egypt*, V. I., p. 3

(٢) راجع تعليقه على كلام (ديودور) A. KAMMERER, *Pétra et la Nabatène* (1928), pp. 50-52 اذ يقول عن كلام ديودور «... à ces histoires fantaisistes ne correspond aucune réalité.... Il faut sans hésiter, rayer cet article des listes du trafic nabatéen.»

أهم وأعظم بكثير مما كان يرد إليها منها ، وذلك نتيجة طبيعية لغناها وكثرة إنتاجها مقارنا بغنى تلك المناطق المجاورة وإنتاجها . . . كانت القوافل تحمل من مصر الحبوب التى اشتهرت مصر بها والتى تدل قصة « يوسف » التى وردت فى الكتب المقدسة على مظهر من مظاهرها ، كما كانت تحمل المنسوجات الدقيقة والأدوات الذهبية وبعض الزجاج والأوانى الفخارية وما إلى ذلك مما عرفت مصر بانتاجه واشتهرت بالاتجار فيه منذ الزمن القديم ، أو مما كانت تصنعه من بعض الخامات التى كانت تأتيها من الشرق فتعيد تصديرها مصنوعة إلى ما يجاورها من الجهات[1] . وكانت هذه التجارة حين تصل إلى حدود مصر أو البلاد التى تتاجر معها تدفع ضرائب لا يقصد بها مجرد كثرة دخل الولاة وزيادة إيراد الحكام ، بل كان يقصد منها — فيما يقول ماسپيرو — حماية التجارة المحلية وتمكينها من أن تنافس بضاعة الدول الأخرى[2] .

هذه التجارة — سيما ما كان يأتى منها من بلاد الشام — قد أضعف مرورها بشبه جزيرة سيناء رقىّ الملاحة فى البحر الأبيض بين شواطىء بلاد الشام وشواطىء القطر المصرى الشمالية ، فقد تحول حديثا إلى ذلك الطريق البحرى السهل كثير من حاصلات الشام بوجه خاص ، ومع ذلك فلا تزال بعض الإبل والخيل والغنم من نجد وشمال بلاد الحجاز وسوريا تأتى عبر سيناء لتباع فى أسواق مصر فى بلبيس وشبين القناطر وما إليها[3] ، يصادفها المسافر فى طريق القوافل الشمالى بكثرة . لكن ما كان يأتى منها قاطعاً خليج العقبة إلى مرسى « النبك » فالسويس قد قل فى الأيام الأخيرة قلة محسوسة ، لعلها

---

(1) يرجع فى العلاقات التجارية القديمة بين مصر والجهات المجاورة لها الى كتب التاريخ القديم مثل :

a) Maspero, *Dawn of civilization* (1896), pp. 470 and 471.
b) Maspero, *The struggle of nations*, pp. 282 to 286.
c) Sharpe, *Egypt*, V, I, pp. 8, 32 to 40 and 121.
d) E. A. Budge, *Babylonian Life and History*, p. 177.

(2) راجع (ماسپيرو) فى كتابه « صراع الأمم » ص ٢٨٦

(3) راجع كتاب « نعوم بك شقير » فى جغرافية سيناء وتاريخها فى دراسة علاقات مصر التجارية بين مصر وما جاورها فى الأيام الحديثة ص ٧٥٣

نتيجة تلك المراقبة الشديدة التى تفرضها الحكومة المصرية مخافة أن تنقل هذه الحيوانات بعض الأمراض إلى مصر من الجهات التى تأتى منها من الحجاز .

ولقد ظهرت لسيناء أهمية جديدة فى المرور حين ظهر الإسلام وانتشر فى مصر وفى بلاد المغرب ، ذلك الدين الذى فرض على المسلمين فريضة الحج من استطاع إليه سبيلا ، . . . كان الحجاج يجتمعون فى مصر فيأتى المغاربة من بلادهم لينضموا إلى اخوانهم من مسلمى مصر ، ثم تبدأ القافلة سيرها إلى أرض الحجاز . . . ولقد تطور طريق الحج إلى مكة كما يأتى : —

أولاً — أقدم طرق الحج كان إلى « قفط » أو « قوص » بالنيل ، يستغرق الحجاج فى ذلك عشرين يوماً تقريباً ، ثم يأخذون بعد ذلك طريق الصحراء الشرقية فيصلون فى خمسة عشر يوماً إلى ميناء « عيذاب » أو « القصير » على البحر الأحمر ومنها إلى ميناء « جده » ثغر بلاد الحجاز . كان ذلك هو الطريق الوحيد حتى منتصف القرن الثالث عشر تقريباً ، وإذا كان بعض الحجاج يأخذون السفن الشراعية من السويس إلى « جدة » مباشرة فقد كان عدد هؤلاء قليلاً بدرجة لا يمكن معها أن نعتبر ذلك الطريق البحرى منافساً لطريق الصحراء . وكان الحجاج يلاقون صعوبات كبيرة جداً فى الوصول إلى مكة : فعرب البجاه الذين كانوا يسيطرون على الطريق إلى البحر الأحمر ويتولون نقل الحجاج حتى البحر على ابلهم ، "كانت أخلاقهم — فيما يقول البتانونى — فظة ، وربما بلغ بهم الأمر إلى تغيير طريق الماء على القافلة لغرض شنيع هو أن ركابها يموتون عطشاً ليستولوا على متاعهم . . . وكان الحجاج يقيمون فى عيذاب أو القصير نحو شهر من الزمان فى انتظار « الفلايك » لتحملهم إلى جده ، وكانت هذه سفنا غير محكمة ، شراعها من الحصير غالباً ، يتعسف أهلها بالحجاج ويشحنونها بأكثر من حمولتها ، وكثيراً ما كانت تغرق وسط البحر فيهلك من عليها ، ومن وصل إلى جدة وصل بعد أسبوعين يتقلب فى اثنائها بين تحكم الملاح وتبرم الرياح وانزعاج الماء واضطراب

الهواء[١] . وكثيراً ما كان يثور هؤلاء « البجاه » على حكام مصر أيام ضعفهم ، فيضطرب الأمن فى تلك المنطقة ويعطل طريق الحج إلى عيذاب فإما أن يؤجل الحجاج سفرهم ، وإما أن يفعلوا ما فعله (ابن بطوطه) حين أراد أن يحج عن طريق عيذاب فلما وصلها وجد البجاه يحاربون الأتراك المماليك وقد خرقوا المراكب وهرب الأتراك أمامهم فتعذر سفره بطريق البحر واضطر إلى أن يسافر بطريق الصحراء وقطع شمال سيناء فى طريقه إلى الحجاز[٢] .

ثانياً — ثم ظهر طريق وسط سيناء « درب الحج » الذى يمر بعجرود شمال مدينة السويس ، يقطع هضبة التيه ، ويمر بنخل ثم يصل إلى العقبة ليدخل بعدئذ فى أرض الحجاز . بدأت أهمية هذا الطريق تظهر حين حجت به « شجرة الدر » فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد (٦٤٥ هـ) ، وأخذت أهميته تزداد حين سير « الظاهر بيبرس » قافلة الحج فيه وأرسل الكسوة الشريفة عن طريقه (٦٦٥ هـ — ١٢٦٧ م) ، وحين حج به « الناصر قلاوون » عام ١٣١٩ فيما يذكر « أبو الفداء » . وكان معقولاً أن يتحول الحجاج إلى طريق سيناء هذا تخلصاً من تلك المصاعب التى أشرنا إليها فى طريق « عيذاب » ، وحرصاً على أرواحهم ، سيما وأن قوافل الحج كان يحميها فى طريق سيناء جنود الولاة والسلاطين . كذلك عظم اهتمام حكام مصر بذلك الطريق الجديد فهم يحفرون فيه الآبار ويصلحون المناطق التى يصعب على الإبل أن تسير فيها سيما (نقب العقبة) الذى كان عقبة كبيرة تتابعت اصلاحات الولاة عليها .

ثالثاً — وتظل سيناء طريق الحج مدة سبعة قرون أو تزيد ، ثم يأخذ الطريق البحرى بين السويس وجدة أهميته منذ حروب محمد على مع الوهابيين ، فإذا كنا فى أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٥) — فيما يذكر نعوم بك شقير — تحول الحجاج

(١) راجع كتاب الرحلة الحجازية بقلم محمد لبيب البتانونى (١٩٠٩) صفحتى ٢٨ و ٢٩

(٢) راجع رحلة ابن بطوطه « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » أو راجع مهذب تلك الرحلة الذى طبعته وزارة المعارف ١٩٣٣ ص ٤٣

إلى طريق البحر وضعف مرور قوافلهم بسيناء شيئاً فشيئاً ، وانحطت اهمية المحطات التى كانت قائمة على طول « درب الحج » وفى مقدمتها (نخل) التى كان لها مركزها والتى اتخذت عاصمة لشبه الجزيرة تستمد أهميتها من مرور قوافل الحج بها ، فلما تحول الحجاج عنها ضعف مركزها ضعفاً كبيراً ولم يبق هنالك ما يبرر بقاء العاصمة فيها فنقلت إدارة سيناء إلى بلدة « العريش » فى الشمال[١] . . . وكان تحول الحجاج إلى طريق البحر معقولاً لا غرابة فيه ، فطريق البر — رغم ما عمل فيه من اصلاحات — كان طريقاً طويلا ، يستغرق من المسافرين أكثر من أربعين يوماً ، فى أرض يصعب السير فيها ، ويقسو الجو ، ويقل المرعى والماء .

تلك كانت أهمية سيناء كحلقة اتصال بين قارتى افريقيا وآسيا ، وذلك مركزها كطريق مرور تقطعها قوافل التجار وجيوش المحاربين ، فهل كان هذا هو كل أهميتها فى المواصلات ، أم قد كان لسيناء من الأهمية ما يمكن أن يقصد لذاته ، وما يمكن أن يغرى الشعوب المجاورة لها على أن تكون لها بسيناء علاقات تتبعها حركة مواصلات لا تمر بسيناء مروراً وإنما تنتهى بها وتعتمد حركتها عليها ؟؟ إن طبيعة سيناء فيما تدل دراستها النباتية فقيرة لا تغرى البدو الذين يجاورونها على أن يقصدوها لمرعاها بل كان يحدث العكس فيغير بدو سيناء على الأراضى المجاورة ، وقبائلها حتى الآن تضطر — فى غير فصول المطر — إلى أن ترحل عنها إلى أرض الشام وشرق الأردن حيث تجد الكلأ متوافراً ترعاه إبلها وغنمها . لم تكن الحياة النباتية فى سيناء إذاً هى التى تغرى بالانتقال إليها ، وإنما شهرتها فى التعدين ، والطمع فى الحصول على ثروة مناجمها هما اللذان كانا يغريان بذلك : فمناجم النحاس والفيروز بشكل خاص كانت داعياً قوياً إلى اهتمام المصريين القدماء بجهات سيناء واستعمارهم الأول لها ، وكانت هذه المناجم تغذى حركة نقل بينها وبين وادى النيل ، وكذلك كانت (أشور وبابل) تعتمد ان فى الحصول على النحاس وبعض الأحجار

(١) يراجع فى تطور طريق الحج كتاب « الرحلة الحجازية للبتانونى » من ص ٢٧ الى ٣٤ و « كتاب تاريخ سيناء وجغرافيتها لنعوم بك شقير من ص ٢٦١ الى ٢٦٣ » و « كتاب مرآة الحرمين »

الصلبة على مناجم سيناء التى كانوا يطلقون عليها اسم (أرض مجان) فى رأى بعض الكتاب[1] .. ويشير (هنرى پالمر) فى كتابه الذى أشرنا إليه عن سيناء إلى أن بابل كانت تهتم بشبه الجزيرة للحصول على (الديوريت) بشكل خاص ، وقد دلت الابحاث على أن التماثيل المصنوعة من ذلك الصخر والتى عثر عليها فى (Telloh) فى جنوب بابل ، إنما أتى بأحجارها من سيناء ، الاقليم الجبلى فى تسمية البابليين « Sholem » أو « Malachite » . والظاهر أن المصريين كانوا كذلك يحصلون على « الديوريت » لصناعة التماثيل من شبه جزيرة سيناء ، ففى دار الآثار المصرية تمثال « لخفرع » من (ديوريت) سيناء . . . . وهنا ملاحظة يصح أن نشير إليها ففيها ما يشعرنا بأن مناجم سيناء كانت مركز جاذبية كبيرة للمصريين والبابليين ، وأن شيئاً من الاتصال والاحتكاك قد أتى عن طريق سيناء فى فن صناعة التماثيل : ذلك أن تماثيل « Telloh » ، التى ترجع إلى فترة معاصرة للأسرة الرابعة فى مصر ، تشابه فى مظهرها العام تمثال « خفرع » ، يؤيد هذا فى نظر (پترى) تشابه وحدة المقاييس فى الأسرة الرابعة فى مصر وتلك الوحدة التى وجدت فى نقوش إحدى تماثيل (Telloh) هذه ، حتى لقد خرج « سپنسر پالمر » من هذا بأنه « لا يستبعد أن تكون مدرسة فنية قد قامت على شواطىء شبه الجزيرة فى القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد ، انتهت فى مصر بذلك الاتجاه الفنى المعروف فى الدولة المصرية القديمة ، وانتهت فى بابل بهذه التماثيل الثقيلة التى لم تصل فى الاتقان الى ما وصلت إليه صناعة التماثيل المصرية »[2] .

---

(١) راجع. E. A. Wallis Budge, *Babylonian Life and History*, pp. 177 and 178.

(٢) راجع Henery Spencer Palmer, *Sinai from the 4th. Egyptian Dynasty to the Present Day*, 1892, pp. 147-149.

ولاحظ أنه يؤيد النفوذ البابلى فى سيناء بارجاع تسمية سينـاء الى اله القمر البابلى (Sin) الذى انتشرت عبادته الى جنوب بلاد العرب واذاً فليس هناك ما يمنع من انتشارها فى سيناء (ويوافقه فى هذا كتاب آخرون) وهو يذكر كذلك على سبيل الموازنة أن اسم الاله البابلى (Nebo) قد أطلق على قمة جبل فى ارض (مواب) .

على أنه إذا اقتصرت الأهمية الاقتصادية لسيناء قديماً على تلك المناجم التى كانت تشتهر بها أجزاؤها الجنوبية ، فلسيناء مكانتها الدينية التى كانت تجذب كثيراً من سكان المناطق المجاورة إليها ، إذ كانت فى رأى بعض المؤرخين مركزا لعبادة مقدسة قديمة تتركز فى منطقة (سرابيت الخادم) يحج إليها المصريون القدماء ويتعبدون فيها قبل خروج موسى وبنى اسرائيل ، وارتبطت جهاتها الجبلية الجنوبية بخروج اليهود ونزول الرسالة على نبيهم ، وكانت فى عزلتها ورهبتها تستهوى المسيحيين الذين كانوا يفرون إليها أيام اضطهاد المسيحية فى مصر ، فاذا دفنت « سانت كاترين » فى منطقة الدير قوى تيار الحجاج من المسيحيين الذين يقدسونها ، يأتون إليها بوجه خاص من الروسيا ، ودول شرق أوروبا الأخرى ، يستمرون على ذلك قروناً حتى تقوم الحرب الماضية وتحدث الثورة البلشفية فينقطع تيار هؤلاء الحجاج ، وتضع الحكومات أيديها على ما رصد لدير « سانت كاترين » من أوقاف . . . . .

وعلينا قبل أن ننتهى من دراسة أهمية سيناء كطريق للمرور أن نرى هل كان الانتقال فيها سهلا لا تجد القوافل فيه صعوبة كبيرة ، أم أنه كان صعباً يعانى المسافرون منه كثيراً ؟ الواقع أنه ليس فى سيناء ما يساعد على تيسير المرور فيها ، بل كل ما فيها يجعله شاقاً غير محتمل : طبيعتها ، جوها ، سكانها ، هذه كلها كانت تتآمر على المسافر فتحدد مناطق سيره وأوقات انتقاله ، وعدد المسافرين . . . أما العوامل الطبيعية من تضاريس ومرعى وماء فسنترك التفصيل فيها إلى أن نأتى إلى دراسة الطرق لنجعلها أساس المقارنة بينها ، ولنفهم على ضوئها مدى أهمية كل طريق . ويكفى أن نشير هنا الى تلك الكثبان التى تنتشر فى شمال سيناء ، وإلى قلة الماء ورداءة نوعه وهو العقبة الكبرى فى المواصلات الصحراوية .

وأما بدو سيناء فقد كان يصيب قوافل المسافرين منهم ضرر كبير : فهؤلاء جماعات رحل متنقلة ، يسكنون بيئة مجدبة فقيرة ، وليس هنالك فى الصحراء قانون حكومى يحول بينهم وبين ما يرتكبون من قتل للانفس ونهب للتجارة والأموال ، ولذا كانوا

يتحينون فرصة مرور تلك القوافل فيعتدون عليها ، وينهبون ما تحمله ، مما كان موضع الشكوى ومحل خوف التجار فى كل فترات التاريخ : فهاهم كتاب التاريخ القديم يشيرون إلى أن التجار كانوا آمنين ما داموا فى حدود الدول المتمدينة كمصر وأشور وبابل ، فاذا دخلوا المنطقة الصحراوية التى تفصل بينها فهم معرضون لاخطار لا حصر لها[١]... وها نحن فى عهد الرومان نرى الحكومة الرومانية تضطر لحماية طرق القوافل فى تلك المناطق الصحراوية إلى أن تقيم محطات حربية على طولها ، وإلى أن توجد الحاميات فى المراحل المختلفة فيها . . . وفى العصور الوسطى وحكم المماليك فى مصر تصبح هذه المناطق موضع خطر جسيم على القوافل ، حتى اضطر التجار إلى أن يسيروا فى حماية القبائل نظير اتاوه سنوية تدفع لمشايخها ، وحتى اضطر الولاة أنفسهم لحماية طريق الحج إلى أن يقسموا مراحله ويوكلوا إلى القبائل المختلفة حماية تلك المراحل ، على أن يعطوها فى مقابل ذلك مكافآت يتقون بها شرها وعدوانها . ولعل أفضل ما يعطينا صورة عن نفوذ البدو أن نثبت هنا ما كتبه «رتشارد پوكوك» عام ١٧٤٣ ، وهو يصف حكم مدينة السويس بواسطة قبطان عمله الحقيقى يتعلق بالبحر ، معه حاكم المدينة (قائم مقام) ، وشيخ من مشايخ العرب يقول عن سلطته ما يأتى : —

"He (شيخ العرب) lives here and *has nearly all the power,* whenever he pleases to interfere; and what gives him much authority is the great scarcity of water, which is brought 6 miles from Naba to the E. S. E.; so that on the least discontent with the people, they (البدو) will not permit water to be brought to the town."[٢]

ولقد استمر نفوذ البدو قوياً وبقوا شبحاً مخيفاً يتحكمون فيمن يمر بسيناء حتى جاء (محمد على) فجاهد كثيراً فى أضعاف سلطان هؤلاء البدو ، وتأمين الطرق ، واستطاع

---

(١) راجع على سبيل المثل Maspero, *The Struggle of Nations*, p. 286

(٢) راجع R. Pococke, *A Description of the East and Some other Countries* (1743), p. 133.

خريطة التضاريس والمواصلات
لشبه جزيرة سيناء

أن ينجح فى هذا إلى حد كبير ، لكن بعد مجهود عظيم[1] . على أن إضعاف البدو إضعافاً تاماً إنما جاء حين قتل (پالمر) فى سيناء أثناء الاحتلال البريطانى والثورة العرابية ، إذ نزع الانجليز من البدو أسلحتهم ، ولم يتركوا لهم إلا تلك السيوف التى لا يستطيعون فى نظام الحكم الحالى أن يفعلوا بها شيئاً كثيراً . . . .

طرق سيناء وتطور أهميتها :

لا بد للذى يدرس طرق سيناء دراسة علميــة من أن يستعيد إلى ذاكرته صورة ملخصة عن مظاهر سطحها ، وعن نظام الماء وتوزيع العيون والآبار فيها ، وعن الحياة النباتية هناك وتوزيع الكلأ والأعشاب ... فعلى هذا الأساس وحده يمكن أن نعلل قيام هذه الطرق فى أمكنتها ، ويسهل أن نفسر عظم الحركة فيها أو ضعفها ، وسنجد المقارنة بينها بعد ذلك مقارنة واضحة لا صعوبة فيها ولا غموض .

فاذا بدأنا من الشمال فنحن أمام منطقة ساحلية ، جامدة السطح ، تحاذى الساحل من (رفح) إلى (بور سعيد) وتسير فى منطقة بحيرة (البردويل) بين البحر وبين البحيرة . هذه المنطقة يتوافر فيها الماء والمرعى ناحية رفح ، لكنا إذا بعدنا عن العريش غرباً قل العشب ، وقل الماء واشتدت ملوحته ، حتى نصل إلى أكوام (الفرما) فى منطقة مجدبة لا عشب فيها ولا ماء . . . . . .

يلى المنطقة الساحلية إلى الجنوب منطقة الكثبان التى تبدأ على بعد قليل من الركن الشمالى الغربى لشبه الجزيرة ، تمتد على طول قناة السويس حتى جنوب مدينة السويس نفسها ، لكنها فى شمال سيناء تكاد توقفها وتحدها خطوط من الارتفاعات ... ورمال الكثبان لا تتماسك إلا إذا ربط بينها العشب الذى ينمو على سطحها ، ولا يتوافر هذا إلا فى مناطق محدودة جداً فى الشمال ، أما فيما عدا ذلك فالرمل مفكك يغور لحد ما تحت

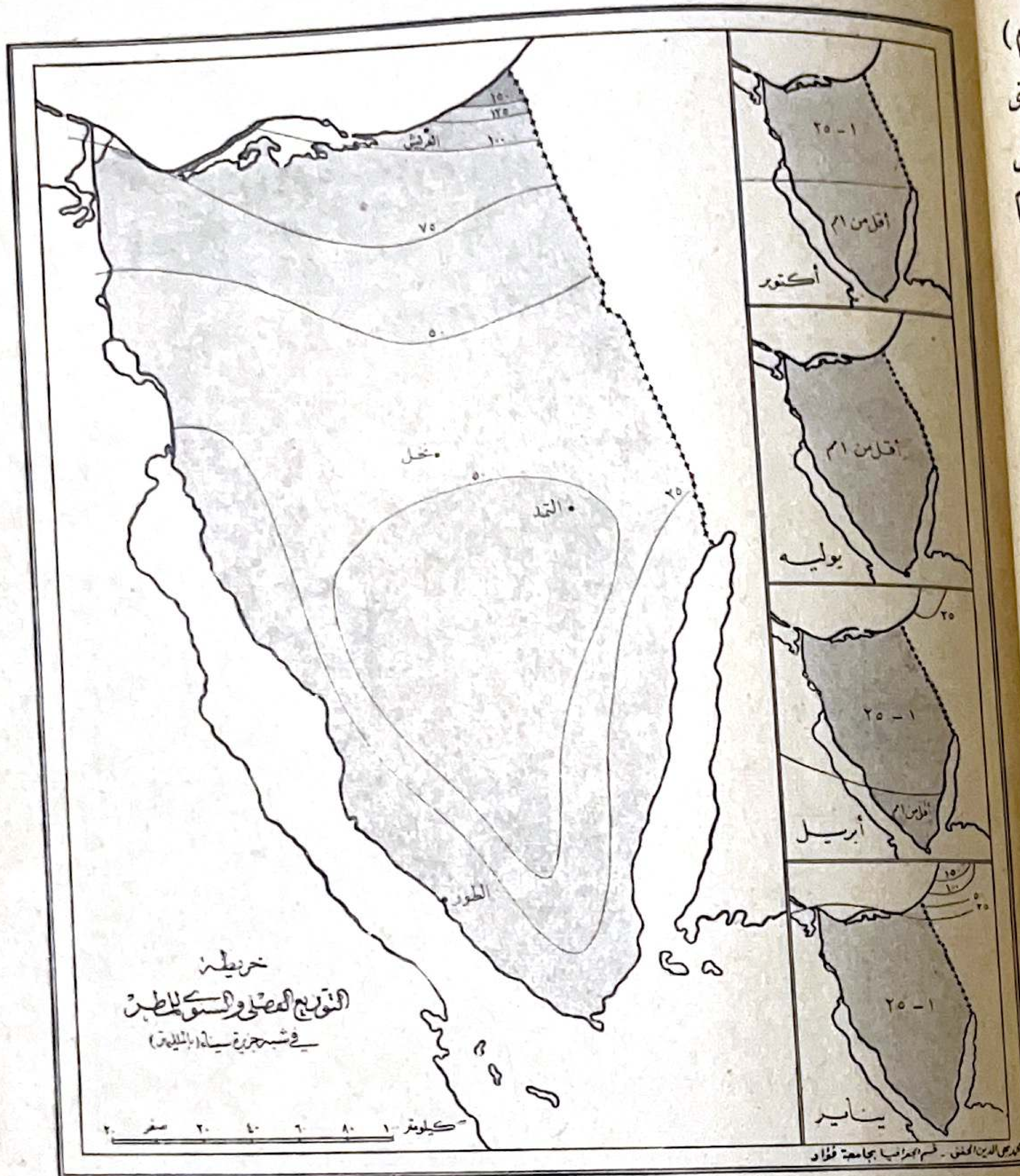
---

(1) راجع BURCKHARDT, *Syria and the Holy Land* (1882), pp. 459-467.

الأقدام . . . . . وشمال سيناء — فيما تبين الدراسة المناخية — يصيبه من المطر أكبر كمية تصيب شبه الجزيرة كلها ، وقد استطاعت الكثبان أن تحتفظ بماء المطر هذا ، وأن تسهل — فى تموجها — الحصول عليه على عمق بسيط بالشكل الذى أوضحه (هيوم) فى كتابه عن جيولوجية مصر . ومن هنا جاء غنى منطقة الكثبان هذه بالماء غنى نسبياً . . . وإذا كان ماء منطقة الكثبان فى جملته أكثر عذوبة ، فان التحاليل التى عملت فى دراسة ماء المنطقة ترينا كيف تشتد الملوحة كلما سرنا غرب العريش قريباً من امتداد بحيرة البردويل ، وكيف تعظم العذوبة كلما جاوزنا العريش شرقاً إلى رفح .

وإلى جنوب منطقة الكثبان يدخل الإنسان فى هضبة التيه ، فى تتابع سهولها المستوية وفى سطحها المتماسك ؛ وهى هضبة تنتهى فى حافة حادة تكون خطوط تقسيم لمجار مائية ساعدت على وجود ممرات أمكن الاتصال بواسطتها بين الشمال والجنوب . وتجرى على سطح الهضبة عدة مجار أهمها (وادى العريش) ، وتعتبر تلك المجارى على صغرها وقلة عمقها وجفافها — إلا فى الفترة التى تلى سقوط المطر مباشرة — ذات أهميــة كبيرة فى المواصلات : فالطرق يغلب أن تتبعها ، والمرعى يوجد فيها ، والمــاء إنما يبحث عنه فى آبار تحفر فى قاعها . . . على أن هضبة التيه قليلة المطر والعشب ، فقيرة فى الماء ، تتباعد الآبار فيها بعضها عن بعض بعداً يضطر المسافر معه الى أن يحمل ما يحتاج إليه من الماء .

والنصف الجنوبى من سيناء هو منطقة الجبال النارية المرتفعة ، تقطعها الوديان العميقة التى عينت الطرق وحددت اتجاهها ، يصيبها نظراً لشدة ارتفاعها مقدار من المطر أكثر مما يصيب هضبة التيه ، كان له تأثيره فى توافر الماء فى وديان كثيرة فى الجنوب ، وإليه يرجع وجود شىء من الحياة النباتية لا نجده فى غالب أجزاء سيناء الأخرى . وماء المنطقة النارية هذه أكثر عذوبة من مياه المنطقة الجيرية لا تكثر نسبة الأملاح الذائبة فيه ، مما زاد فى أهمية المنطقة كمورد من أهم موارد الماء العذب فى شبه الجزيرة كلها . هذه الكتلة النارية لا تصل إلى ساحل خليجى السويس والعقبة ، بل إنا نصادف



خريطة
التوزيع الفصلى والسنوى للمطر
فى شبه جزيرة سيناء (بالمليمتر)

على طول خليج العقبة سهلا رملياً يضيق إلى درجة التلاشى فى بعض الأحيان ، أما على ساحل خليج السويس فيتسع المنبسط الرملى فى «سهل القاع» من رأس محمد الى وادى فيران ، ثم يلى ذلك شمالاً هذه الكتل الجيرية التى تنتهى قرب رأس خليج السويس فى هذه المنطقة الصحراوية التى تصلها نهاية الكثبان الممتدة على طول قناة السويس . . . والماء فى تلك المنطقة الساحلية محدود ، وهو أقل عذوبة من ماء المنطقة النارية تشتد ملوحته فى المنطقة الجيرية بدرجة كبيرة . وفى مناطق الماء وحدها يوجد شىء من النبات هو كل ما نصادفه منه فى هذه المساحة الساحلية ، يتكاثف فى بعض الأحوال القليلة على شكل واحات صغيرة ينمو فيها بشكل خاص النخيل وشجر السيال .

وسَنُخْرِج من دراسة الطرق هنا هذه المسالك الداخلية التى تقتصر أهميتها على مجرد ربط أجزاء شبه الجزيرة بعضها ببعض ، ونوجه اهتمامنا إلى تلك الطرق الخارجية التى لها أهميتها فى ربط سيناء بالمناطق المحيطة بها ، فندرس اتجاهاتها ، ونوازن بين أهميتها ، ونتتبع تطورها فى الفترات المختلفة . . . هذه الطرق التى تربط سيناء بما جاورها يمكن أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات : —

أولاً — المجموعة الشمالية ، وهى التى تعبر سيناء ؛ إما فى منطقة الساحل الشمالى أو فى منطقة الكثبان أو إلى جنوب ذلك بقليل على حدود الكثبان الجنوبية وشمال هضبة التيه . . . وهذه طرق تصل بلاد الشام وما يتصل بها بالقطر المصرى وما يمكن أن يكون القطر المصرى طريقاً إليه كما سنرى .

ثانياً — طرق وسطى ، تقطع هضبة التيه فتربط بين بلاد النبط القديمة وشمال بلاد العرب من ناحية وبين بلاد وادى النيل من ناحية أخرى .

ثالثاً — الطرق الجنوبية ؛ ومن هذه ما يقطع المنطقـة الجبلية إلى خليج العقبة ليصل إلى الأراضى التى تحفها ، أو يسير محاذياً لخليج السويس ليربط بين البحر الأحمر

عند بدء خليج السويس وبين رأس الخليج نفسه ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يصل إلى وادى النيل أو يعبر سيناء إلى بلاد الشام وغيرها .

وإذا أردنا أن نقارن بين هذه الطرق فإن الكتابات المدونة عن حركة الاتصال بين مصر وما جاورها — سواء كان ذلك الاتصال تجارياً أم كان حربياً ، وسواء استعرضنا هذه الحركة قديماً أم حديثاً — تشير إلى أن الطرق الشمالية كان يصيبها من تلك الحركة أكثر مما يصيب غيرها من طرق سيناء الأخرى ، بل إن مركزها فى المواصلات التجارية والحربية فى كل فترات التاريخ مركز لا يمكن أن نقارن به مركز الطرق الوسطى والجنوبية ... فاذا جئنا نتلمس لهذا التفوق تعليلا فانه يمكن أن نرجعه إلى عوامل جغرافية نلخص أهمها فيما يأتى : —

١ — قد رأينا فى بدء هذا الفصل أن التجارة التى كانت تأتى عبر سيناء تجارة غالبيتها تبادل بين مصر وما يمكن أن يتصل بمصر ، وبين بلاد الشام وما يمكن أن يأتى بطرق بلاد الشام من تجارة أشور وبابل مثلا . أما تجارة الشرق الأوسط والأقصى — بل حتى حاصلات جنوب غربى بلاد العرب وما كان يصل إليها — فقد ذهبنا إلى أنها كانت تفضل طريق البحر الأحمر عن أن تعبر سيناء إلى وادى النيل ..... ثم يبقى بعد ذلك شمال بلاد العرب وبلاد النبط نفسها ، ومركز هذه المناطق فى التبادل التجارى مع مصر يأتى بعد مركز بلاد الشام قديماً وحديثاً . فاذا لاحظنا هذه الحقائق سهل علينا أن نفسر لماذا كانت الطرق الشمالية أهم فى حركتها التجارية ، لأنها — على الأساس الذى تقدم — أقرب الطرق إلى أكبر عملاء مصر فى التجارة ، وهى المسالك المباشرة إلى بلاد الشام وشرقى بلاد الشام .

٢ — إن البلاد التى كانت تطمع مصر فى أن تضمها إليها ، وتضع يدها فى بعض عصور التاريخ عليها ، هى بلاد الشام وسهول الجزيرة بلاد الأشوريين والبابليين . فليس فى تلك المنطقة الصحراوية فى شمال بلاد العرب وشرق الاردن ما يغرى مصر

بأن تعبىء الجيوش إليها وتوجه حملات التوسع ونشر النفوذ لاخضاعها ... كذلك كانت القوى الخارجية التى تطمع فى مصر تخرج من مراكز المدنيات فى الهلال الخصيب ، أو تأتى من خارج ذلك الهلال لكنها تخضع أجزاءه أولاً ثم تكمل فتوحاتها فى وادى النيل . فاذا كنا قد أشرنا إلى أن مصر قد تعرضت لغزوات كبيرة للبدو من خارج سيناء ، فهؤلاء كانوا فى الغالب يغيرون أولا على بلاد الجزيرة والشام ثم يأتى غزو مصر خطوة تالية لذلك . ومثل هذا الأساس إن سلمنا به يوضح كذلك لم كانت الطرق الشمالية فى شبه الجزيرة تزداد أهميتها عن باقى الطرق الأخرى بصفتها أقصر طرق الغزو بين مصر وبين جهات الهلال الخصيب .

٣ — إن سيناء وإن اشتركت طرقها المختلفة فى وجود عقبات فيها أساسها قلة الماء وصعوبة السير وندرة المرعى وقسوة المناخ ، فان جزءها الشمالى أقل صعوبة من جزئها الأوسط على وجه الخصوص ... حقيقة قد يكون الماء والمرعى متوافرين فى المنطقة الجبلية كما يتوافران فى المنطقة الشمالية لكن وعورة الطريق وشدة الحرارة فى الخوانق الجنوبية أيام الصيف ، وخطورة السيول زمن المطر ، مضافاً إلى هذا ما أشرنا اليه فى النقطتين الأولى والثانية ، وما كان للبدو الذين يسكنون المنطقة الجبلية من سطوة تجعل السير فى أراضيهم خطراً والتغلب على شرهم متعذراً[1] ، كل هذا جعل الطرق الشمالية طرقاً مفضلة عن غيرها ، وجعل الاتصال فى الغزو والتجارة بين افريقيا وآسيا أشد عن طريق شمال شبه الجزيرة وأقوى .

وهناك ملاحظة لا بد من الإشارة اليها قبل أن ندخل فى تفاصيل دراسة تلك الطرق المختلفة ، تلك هى قلة المعلومات عن حالة الطرق القديمة قلة تجعل من الصعب أن

---

(١) سنشير الى هذا فى دراسة السكان . ويستطيع القارىء ان يرجع الى ما كتب عن خروج الاسرائيليين من مصر والمقاومة الكبيرة التى قاومهم بها العمالقة فى هذا الجزء ، كذلك يمكن ان يرجع الى الصعوبات التى كان يلقاها المصريون القدماء فى منطقة التعدين الجنوبية من هؤلاء السكان مما اضطر الفراعنة الى ان يوجدوا هنالك حرساً قوياً للمعدنين .

توجد تباعاً فى دراستها ؛ والكتاب القدماء على قلة ما كتبوا لا يتعرضون لتفصيل تلك الطرق ولا يهتمون — إلا فى النادر — بذكر مراحلها ، وهم إن تعرضوا لذكر بعض المحطات فانهم لا يعطوننا ما يساعد على تعيين مواضعها وترجيح مواقعها . ومثل هذا الكلام الأخير يمكن أن يقال عن جغرافيى العرب ورحالتهم كابن خرداذبه والبكرى والمقدسى واليعقوبى و . . . و . . . الخ ، وإن كان هؤلاء قد تركوا لنا شيئاً من التقديرات التقريبية ، إن لم نخرج منها بشىء مؤكد ثابت ففيه من غير شك جانب من الفائدة لا ينكر . وإذا جاء دور الرحالة الأوروبيين فى القرون الأخيرة فكتاباتهم تدور معظمها حول دراسة المنطقة الجنوبية من سيناء ، ونصيب الطرق الشمالية من كتاباتهم نصيب ضئيل ، وفى كتابة هؤلاء صعوبة أساسها أن غالبيتهم كانت تجهل اللغة العربية التى يزيدها تعقيداً اختلاف لهجات البدو ، مما يجعل تحريف أسماء الأمكنة التى يذكرونها تحريفاً يصبح من المستحيل معه فى كثير من الأحوال تحقيق ما يريدون تحقيقاً يمكن الاطمئنان اليه . من أجل هذا كله لا تزال الصعوبات قائمة فى دراسة الطرق القديمة ، ولا تزال أسس كثيرة تنقص الباحث لاغنى عنها للوصول إلى نتائج اكثر تحديداً . . . . .

والآن وقد مهدنا للكلام عن الطرق بهذا التمهيد ، يمكن أن نبدأ فى دراستها مجموعة بعد أخرى : —

أولاً — المجموعة الشمالية — فى شمال سيناء آثار كثيرة لا تزال بقاياها قائمة إلى الآن فى تلك (الاكوام والمبانى المتهدمة) التى نصادفها متتابعة متقاربة على ساحل البحر الأبيض من (رفح) حد سيناء الشرقى إلى أكوام (الفرما) قرب مدينة (بورسعيد)، وفى تلك (الخِرَبات) — فيما يعبر البدو هناك — توجد على مقربة من الدرب السلطانى طريق القوافل الرئيسى فى الشمال ، ثم فى تلك (الهَرَّابات) التى نحتت فى الصخور فى بعض المناطق الشمالية ليجرى اليها ماء المطر ويحفظ فيها . . . فاذا أردنا أن نفسر وجود هذه الآثار الكثيرة فى مناطق قاحلة كشبه جزيرة سيناء ، فما يمكن أن نرجعها الى فترة

كان شمال سيناء فيها أكثر خصوبة تتخذ هذه الآثار أدلة عمران قديم عليها ، لأن الكتاب منذ أقدم عصور التاريخ يشيرون الى جدب هذه المنطقة وندرة الحياة النباتية فيها ، لا يشذ عن هذا إلا كتاب العرب الذين يكرر بعضهم كلام بعض ، والذين يرددون — فى غير تحفظ ولا تدقيق — ما وصل اليهم من أن بلاد «الجفار» كانت بلاداً عامرة تجود الزراعة فيها[1] . . . ولعل هؤلاء الكتاب العرب لا يعنون بالجفار هنا ما اصطلحوا عليه «من أنه أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبى متصلة برمال تيـه بنى اسرائيل»[2] ، وإنما يعنون فى هذا المجال المنطقة التى كان يصل اليها ماء الفرع (البيلوزى) من أرض الجفار ، وبهذا التفسير وحده يمكن أن نزيل التضارب فى حالة المنطقة الشمالية بين ما يرويه جغرافيو العرب وما تتفق عليه الكتابات التى سبقتهم عن قحل المنطقة وجدبها . . . كذلك لا نعرف لهذا الجزء من سيناء شهرة قديمـة فى التعدين أو أهمية دينية تقدس من أجلها ، يمكن أن نرجع إلى شىء منها هذه الآثار أو نربط بها تلك المبانى المهدمة كما يرتبط بهذا آثار أخرى فى بعض أجزاء شبه الجزيرة . وإذاً فهذه الآثار لا يسهل أن ترتبط بغير الطرق ، وتلك المبانى ماهى فى الغالب إلا بقايا محطات كانت تمر بها الطرق ويتزود منها المسافرون .

هذه الآثار الكثيرة الموزعة فى المنطقة الساحلية وقرب الدرب السلطانى وإلى جنوب ذلك فى منطقة «القصيمة» و «مغارة» و «أم خشيب» يمكن أن نخرج منها بشيئين : أولهما أن انتشارها وكثرتها بشكل لا يصادف ما يقرب منـه فى باقى أجزاء سيناء يؤيد ما ذهبنا اليه من عظم الحركة فى هذه المجموعة الشمالية وكثرة مرور التجارة والغزوات بها ، وثانيهما أن هذا الانتشار للآثار والبقايا ، وعدم تركزها فى

---

(١) راجع ياقوت فى الجزء الثالث صفحتى ١١٢ و ١١٣ وراجع غيره من كتاب العرب الذين لا يختلفون عنه فيما يذكرون من أن أرض الجفار كانت أرضاً عامرة .

(٢) راجع ياقوت فى الجزء السابق ص ١١٢ وراجع كتب جغرافيى العرب تحت كلمة «الجفار» .

منطقة واحدة فى الشمال يدل على أن الاتصال بين مصر والبلاد التى إلى شرقيها كان يتم بطرق متعددة تعبر الأجزاء الشمالية لسيناء ، بعضها ضاعت معالم كثير من مراحله ، وبعضها الآخر ظل متميزاً من السهل أن نتتبعه . وإذا كان من الصعب أن نجزم بعدد تلك الطرق فان منها ثلاثة تسهل الكتابات المختلفة والآثار الموجودة دراستها وهى : —

١ — الطريق الساحلى . — الذى كان يبدأ من « رفح » ليسير على ساحل البحر أو قريباً منه إلى أن يأتى إلى بحيرة « سربونيس » — البردويل الحالية — فيسير حذاء سواحلها ، ثم يستمر على ساحل البحر إلى مدينة (پيلوز) حيث كان مصب الفرع البيلوزى الذى أمكن الانتفاع به فى الزمن القديم للاتصال بأجزاء الدلتا .

٢ — طريق الرمل . — يأتى من الشام إلى « رفح » أيضاً ليسير فى منطقة الكثبان جنوبى الطريق الساحلى ، يقطع مصب وادى العريش ، ويستمر فى الجفار إلى أن ينتهى على حدود سيناء الغربية فى نهايات اختلفت فى كتابة الجغرافيين ، إذ ظلت (الفرما) نهاية الطريق حتى العصور الوسطى ثم لا نعود نراها ذات أهمية على ذلك الطريق منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادى تقريباً ، بل تظهر (قطيه) يمتد الطريق منها غرباً إلى (الصالحية) على حدود مديرية الشرقية من الشرق[1] .

٣ — طريق إلى جنوب منطقة الكثبان ، يسير فى السهول المتسعة بين الكتل المرتفعة البارزة فيها ، إلى المنطقة الرملية الواقعة شرق قناة السويس ، لينتهى على القنال فى مكان يقرب من مكان الاسماعيلية الحالية ، ولعله كان يستمر فى وادى الطميلات إلى وادى النيل .

أما (الطريق الساحلى) فهو أقدم تلك الطرق الثلاثة كلها ، كانت التجارة والغزوات تفضله لقلة رمله واعتدال هوائه ولكى تكون بعيدة عن مناطق البدو الذين كانوا يهددون

(١) راجع بعد دراسة هذه النقطة بالتفصيل

المسافرين[1] . . . ثم لعله كان كذلك طريقاً تسهل حمايته من ناحية البحر ، مما جعل له أهميته الحربية فى الفترة الرومانية والبيزنطية والاغريقية حيث اهتم بالمحطات الحربية الساحلية وبنيت بها القلاع .

يسير هذا الطريق من « رفح » فى أرض جامدة إلى شمال منطقة الكثبان ، يقطع مصب وادى العريش ويتابع سيره فى أرض جامدة كذلك حتى (الزرانيق) بدء بحيرة (البردويل) ، وهنالك نجد لساناً من الأرض يسير بين البحر وبين البحيرة يتسع حيناً ويضيق حيناً آخر إلى أن نصل إلى منتصف ساحل البحيرة تقريباً فنجد ذلك التل المرتفع المعروف بتل (القلس) وقد اتسعت الأرض عنده ، ثم يستمر الطريق إلى غربيه كما كان إلى أن نصل إلى طرف البحيرة الغربى ، لنتبع ساحل البحر حتى أكوام (الفرما) التى غمرت المنطقة المحيطة بها بعمل قطع فى ساحل البحر الأبيض ليسهل الدفاع عن قناة السويس أثناء الحرب الماضية[2] . . .

والغالب أن ساحل سيناء الشمالى الذى كان الطريق يسير محاذياً له قد طرأ عليه تغيرات فى الفترة التاريخية ، إذ نجد أدلة الانخفاض فيه واضحة فى آثار « المحمدية » — على طرف بحيرة البردويل الغربى — التى يقوم أجزاء منها على الساحل مباشرة وقد غمر ماء البحر بقية مبانيها إلى مسافة طويلة . . . . فى حين أننا نجد أدلة الارتفاع فى منطقة « الفرما » ، إذ يعزو كثير من الكتاب جفاف الفرع البيلوزى إلى شىء من ارتفاع الأرض فى تلك المنطقة . . . . ومن المعقول أن تكون مثل هذه التغيرات مساعدة على تحول

(١) راجع Maspero, *Dawn of Civilization*, pp. 416-427 حيث ترى اقتباساً فيه عن سير حملة بيپى الأول فى الأسرة الخامسة يبين فيه خط سير الحملة ويعلله بخوف القائد من تحرش البدو به .

(٢) راجع Lieut.-General Sir George MacMunn, *History of the Great War* (Egypt and Palestine, 1928), p. 25.
يشير الكاتب الى القطع الذى عمل والذى وصل بواسطته ماء البحر الأبيض الى شمال القنطرة تقريباً فغمر حوالى ٢٠ ميلا على جانب القناة .

سير الطريق تحولا لا يمكن تحديده بالضبط ، لكنه يساعدنا على فهم بعض أسباب قيام طريق الرمل مثلا ، ولعله يكون تعليلا له أهميته فى تلاشى مركز «الفرما» التى كانت مدينة ذات مركز ممتاز على نهاية هذا الطريق الحربى إلى مصر[1] ....

ويمكن أن نلخص محطات ذلك الطريق كما جاءت فى كتابات بعض الكتاب والرحالة فى الفترات المختلفة كما يأتى : —

ماسبيرو	استرابون	TABULA PEUTINGAR عن كامرر	ITINIRAR ANTONINI	قدامه الجغرافى العربى	المقدسى فى احسن التقاسيم	الاسماء الحالية التى نقترحها
زالو	بيلوز	بيلوز	بيلوز	الفرما	الفرما	تل الفرما
	Chabrias					؟
	Gerrha		Pentashœnus			آثار المحمدية
تل كاسيوس	Casium (Cas)	Casio	Casium	القصر	دير النصارى	تل القلس
		Ostracine	Ostracine	المخلصة	المخلصة	آثار الفلوسيات
العريش	رينوكولورا	رينوكولورا	رينوكولورا	العريش	العريش	العريش
رفح	رفح	رفح	رفح	رفح	رفح	رفح

ومن هذا الجدول يمكن أن نخرج بالملاحظات الآتية : —

ا — هناك اتفاق يكاد يكون تاماً بين الكتاب على أن الطريق الساحلى كان يبدأ فى حدود سيناء الغربية من منطقة «الفرما» عند مصب الفرع البيلوزى ، وينتهى عند «رفح» على نهاية حدود سيناء الشرقية ، وأنه يمر بالعريش (رينوكولورا فى التسمية القديمة) ، لكن ذلك لا يمنع من وجود اختلافات على مواضع هذه الأماكن

(١) سندرس فى الصفحات التالية ضياع اهمية الفرما ، وقيام محطة (قطيه) وسنشير الى تاريخ ذلك وأسبابه .

بالتدقيق : فموقع الفرما أو بيلوز يتغير من فترة إلى أخرى — وإن كان داخل دائرة محدوده — و (اميلينو) فى كتابه عن مصر فى الفترة القبطية يتكلم عن (رينوكولورا) فيشير إلى أن الكتاب يضعونها فى موضع (العريش) الحالية ، وهو وإن لم يوافق على هذا يعلن فى صراحة أنه لا يستطيع أن يقترح لها موضعاً خيراً من هذا[1] ... وأما (زالو) التى ذكرها ماسپيرو فهى مدينة كانت تقع على حدود مصر الشرقية فى موقع غير معروف تمـاماً ، تبدأ منها الطرق التى تسير إلى شرق مصر قاطعة سيناء (أرض شور) ، ولعلها كانت محطة سابقة لمدينة (بيلوز) تدخل ضمن تلك السلسلة من المدن المحصنة التى أقامها فراعنة مصر لحماية الدلتا من غارات بدو الصحراء ... والظاهر أن الاهتمام بتحصين مدينة (بيلوز) — كغيرها من المدن الساحلية — وجعلها المركز الحربي الهام على حدود مصر انما جاء فى أيام الرومان ، اذ دلت الابحاث على ان الآثار السابقة لتلك الفترة قليلة فى هذه المنطقة[2] .....

ب — كذلك يكاد يكون مسلماً به عند الكتاب جميعاً وجود محطة فى منطقة تل «القلس» : فكاسيوس ، وكاسيوم ، وكاسيو ، أسماء واحده غاية الأمر أنها محرفة . ولفظ «القصر» الذى ذكره (قدامه) إما أن يكون تحريفاً للقلس أو نعتاً للبناء الذى كان موجوداً هنالك والذى كان يراه الرحالة العربى ضخماً يطلق عليه اسم (القصر) ، وهذا البناء أقيم أولاً ليكون حصناً يحمى الطريق وكان به معبد كبير عليه ظل قائماً معروفاً يشير البدو اليه ، ولا يبعد أن يكون «المقدسى» فى كتابه

(١) راجع E. Amélineau, *La géographie de l'Égypte à l'époque copte* (1890), p. 404.

(٢) راجع Hume, *A brief history of north Sinaï and of Pelusium* (1918), p. 57; والكاتب يعتمد على (ا) Mr. Griffith, *Description of Kantara* (ب) Chap. XIV *of the Egyptian Exploration Fund Publications by* Prof. Petrie.

(أحسن التقاسيم) قد تأثر بهذا فسمى المحطة (دير النصارى) نسبة إلى ذلك المعبد[١].

أما (استراكين) التى ذكرتها *Tabula Peutingar* و *Itinirar Antonini* فتقع بين (رينوكولورا) وبين (كاسيوس)، وقد أشار اليها كتاب آخرون كثيرون، وعين (اميلينو) موقعها بالتحديد، إذ كتب تحت كلمة (استراكين) أنها على بعد ٢٤ — ٢٦ ميلا من (رينوكولورا) و ١٦ — ٢٣ ميلا من (كاسيوس) وأنها مدينة تلاشت[٢] . . . فاذا جئنا نبحث عن مدى علاقة الموضع الذى سماه الكاتبان العربيان — قدامه والمقدسى — (بالمخلصة) ووصفاه بأنه محطة بين القصر أو دير النصارى وبين العريش فعلينا أن نذكر أن (قدامه) حدد بعد (المخلصة) عن العريش بـ ٢١ ميلا وعن القصر بـ ٢٤ ميلا[٣] . . وهذا التقدير يقرب جداً مما قدره (اميلينو) للمسافة بين (استراكين) وبين (رينوكولورا) من جهة وبينها وبين (كاسيوس) من جهة أخرى. وما دامت الآثار بين (تل القلس) ومدينة العريش لا توجد إلا فى منطقة واحدة على الساحل فان ذلك كله يرجح أن المخلصة واستراكين يقعان فى مكان واحد.

ج — إن المنطقة من الطريق الساحلى التى نجد شيئاً من الاختلاف فى محطاتها هى الواقعة بين (كاسيوس) وبين (پيلوز): فعلى حين أننا نرى أحياناً اسم GERRHA و CHABRIAS فى (كتابة استرابون) اذا بنا فى الـ ITINIRAR ANTONINI نرى اسم PENTASHOENUS وفى الخريطة المرسومة لجغرافية (پلينى) — فى أطلس البرنس يوسف كمال — نرى إلى الداخل قليلا GERRON و CHABRIAS CASTRA[٤]، على حين أن غالبية الخرائط التى نقلت فى

(١) راجع ياقوت فى الجزء السابع ص ٨٥ اذ يشير الى وجود الحصن فيما نقل عن الحسن بن محمد المهلبى المصرى.

(٢) راجع (اميلينو) فى كتابه جغرافية مصر فى الفترة القبطية تحت كلمة (استرا كين) ص ٢٨٨ و ٢٨٩.

(٣) راجع أطلس البرنس يوسف كمال (عن الفترة العربية جزء أول) ص ٥٦٤.

(٤) راجع أطلس البرنس يوسف كمال (قبل بطليموس جزء أول) الخريطة المقابلة لصفحة ٩٨.

أطلس البرنس كمال للفترة السابقة لبطليموس ثم فى أيام (بطليموس) والفترة الرومانية كلها تضع GERRHA محطة تالية إلى غربى (كاسيوس) على الطرف الغربى لبحيرة (سربونيس)[١]، مكان آثار (المحمدية) الحالية؛ أما PENTASHOENUS و CHABRIAS اللتان ذكرهما بعض الكتاب بين (كاسيوس وپيلوز) فمن الصعب أن نجد فى كتابتهم أو فى الخرائط المرسومة لتوضيح ما كتبوا شيئاً كثيراً يساعد على تعيين موضعهما، ولعلهما كانتا أقل أهمية، سيما وأن المسافة بين كاسيوس وپيلوز ليست من الطول بحيث تستدعى قيام ثلاث محطات هامة بها، ولأن الآثار التى تصادفنا بين آثار المحمدية وأكوام الفرما التى يمكن أن تكون بقايا هاتين المحطتين آثار بسيطة لا يمكن أن تقارن بآثار المحمدية أو أكوام الفرما . . .

* * *

هذا الطريق الساحلى هو أغنى جهات سيناء كلها بآثاره وبقاياه، غنى يرجع إلى شدة الاهتمام به واقامة الحصون فيه، ولذا حفظت لنا تلك البقايا معالم الطريق فما نجد صعوبة فى تلمس مواقع المحطات المختلفة التى ذكرناها فيه. ويرجع الاهتمام بهذا الطريق إلى الفترة الرومانية والبيزنطية، فقد سبق أن أشرنا إلى أن الابحاث التى عملت فى بعض أجزاء الطريق قد دلت على أن آثار الرومان والبيزنطيين هى الغالبة وعلى أنه لا توجد آثار سابقة لذلك إلا نادراً. وذلك معقول إذا لاحظنا أن الرومان هم أول من اهتم بالطرق فى العصور القديمة، أما قدماء المصريين فكانوا يهتمون بحماية حدودهم الشرقية على طول برزخ السويس، أما الطرق التجارية والحربية فى صحراء سيناء نفسها فما كانوا يوجهون اليها — فيما يظهر — اهتماماً كبيراً.

وسنبدأ الآن من الغرب فنجد آثار مدينة (پيلوز) أو الفرما ممثلة فى كومين عظيمين يحيط بهما الآن بقايا مستنقعات هى نتيجة غمر المنطقة بماء البحر الأبيض لحماية

(١) راجع أطلس البرنس يوسف كمال (فترة بطليموس والرومان).

القناة فى الحرب الماضية . يمتد هذان الكومان حوالى ميلا ونصف ميل فى خطين متوازيين ، الشرق منهما أقل فى الامتداد ولكنه أعظم فى الارتفاع ، أما الغربى فيمتد حوالى الميل ويتسع إلى نصف ميل وما يرتفع إلى أكثر من ٤٠ قدماً ، وبين الكومين أرض مستوية ربما كان الفرع البيلوزى ينتهى عندها . وهنالك بقايا حصن وآثار سور من الطوب الأحمر وبعض أعمده من الجرانيت . ويدل كبر الكومين واتساع المنطقة التى تشغلها الآثار على عظم مدينة بيلوز وأهميتها مما يطابق الكتابات عن تلك المدينة التى كانت مفتاح مصر من الشرق .

فاذا انتقلنا شرقاً فانا نصادف بعض أكوام بسيطة لعلها بقايا CHABRIAS و PENTASHŒNUS إلى أن نصل إلى الطرف الغربى لبحيرة (سربونيس) حيث نجد خرائب وأكواما كبيرة فى المكان المعروف الآن بالمحمدية . وتدل كبر المساحة التى تشغلها هذه الآثار على عظم هذه المحطة واتساعها ، وبقايا الحصن القائم هنالك تدل على أنه كان حصنا كبيراً لا تزال حوائطه باقية أغار عليها البحر بشكل واضح فتركها قائمة يصطدم الماء بها ، كما تمتد بقايا المبانى داخل البحر إلى مسافة بعيدة عن الساحل يستفيد منها الصيادون فى مهنتهم حيث تأوى اليها الأسماك . . . وغالب مبانى المحمدية من الطوب الأحمر ، لكن توجد بعض مبان من الحجر كما يصادف الزائر بقايا العملة الرومانية . وفى مكان المحمدية هذه كانت تقوم GERRHA فيما نرجح ، وربما كانت غارة البحر عليها داعياً لقيام PENTASHŒNUS التى تضعها كثير من الخرائط المرسومة للعصور القديمة فى أطلس البرنس يوسف كمال إلى الداخل قليلاً .

أما (كاسيوس) فموقعها فى مكان تل القلس الحالى ، يشير كتاب الفترة الرومانية والبيزنطية إلى وجود حصن هام ومعبد بها كما يشير بعض كتاب العرب الى وجود حصن للنصارى فيها[1] . وإذا لم تكن آثار (القلس) ظاهرة الآن فما يبعد أن تكون

(١) راجع ياقوت فى الجزء السابع ص ٨٥ .

الرمال تغطى جزءاً منها ، وأن يكون البحر قد أغار على جزء آخر . وليس فى اللسان الموجود بين البحيرة والبحر — بين آثار (استراكين) وآثار المحمدية — مكان يمكن أن يقوم فيه حصن ومعبد خير من منطقة القلس هذه : فهنالك نخيل وماء على عكس باقى اللسان فهو مجدب يندر فيه النبات ، كما أن هذا المكان متوسط بين المحطتين يحسن أن يقوم الحصن فيه . . .

وتنعدم الآثار إلى شرق (القلس) حتى نأتى طرف البحيرة الشرقى عند الزرانيق التى يسكنها الآن صيادون يعيشون فى أكشاك . هنالك نجد آثار (الفلوسيات) ، يقع نصفها فوق كثيب رملى مرتفع نوعاً ، ويقع النصف الآخر فوق أرض ملحية يغير ماء البحر عليها ، ويصعب أن تصل الإبل اليها إذ تغوص أقدامها فيها . . . هذه التسمية تسمية حديثة ربما تكون مشتقة من (الفلوس) لكثرة ما كان يجد الناس هنالك من عملة قديمة . هذا الموضع هو فى الغالب مكان (استراكين) التى سماها كتاب العرب (المخلصة) . ويشير (اميلينو) وغيره من الكتاب الذين كتبوا فى القرن التاسع عشر إلى وجود قرية فى هذا الموضع تعرف باسم STRAKI[1] . وهذا الاسم غير معروف فى سيناء الآن ولعله كان موجوداً ثم نسى منذ عهد قريب . ولقد درس هذه المنطقة دراسة مفصلة M. Jean CLÉDAT : *Fouilles à Khirbet el Flusiat*.[2] ، وهو يراها آثار مدينة (استراكين) التى كانت لها أهميتها الحربية بصفتها واقعة على تفرع الطريق الساحلى فى شمال البردويل والطريق الذى كان يسير جنوب البحيرة إلى وادى النيل . ولقد لفت هذا الموقع نظر الامبراطور VASPASIAN حين كان يهاجم سوريا فاهتم به وإن كان الاهتمام الأكبر إنما جاء أيام (جستنيان) الذى وسع المدينة وأوصل مبانيها

(١) راجع (اميلينو) تحت كلمه (استراكين) ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

(٢) راجع ; HUME, *A brief history of north Sinai and of Pelusium* (1918), pp. 59-60; والكاتب يعتمد على ابحاث CLÉDAT, *Annales du Service des Antiquités*, t. XVI., 1916, pp. 6-32.

إلى البحر وأصبحت هذه المدينة — فيما يذكر (أميلينو) — فى الفترة الرومانية عاصمة I Augustamnie Province ومركزا لكرسى دينى مهم[1] . . . ولا تزال آثار كنيستها واضحة تشغل مساحة كبيرة . . . والذى يزور المنطقة يجد عمودين من الرخام هناك على أحدهما صليب ، كما يشاهد آثار الفخار والزجاج بكثرة .

فاذا سرنا إلى الشرق من ذلك فانا نجد بقايا طريق من الحجر يمتد من (المزار) — أمام الفلوسيات — إلى (المساعيد) قرب العريش ، وهو ظاهر فى الرمل لا نستطيع أن نحدد تاريخه وإن كان (چارفس بك) فى كتابه عن سيناء يرجعه إلى فترة قديمة جداً[2] . . . والذى يهمنا بعد ذلك هو منطقة (العريش) وآثارها . . هذه المنطقة لم تدرس بعد دراسة علمية ولم يكتب عنها شئ له قيمه ، لكن وقوعها على تلاقى طريق البطراء بطريق بلاد الشام ، وغنى منطقتها بالماء الصالح للشرب ، ووجودها على مصب وادى العريش حيث يمكن أن يقوم حولها شئ من الزراعة ، كل ذلك جعل لها أهميتها كمحطة رئيسية على ذلك الطريق ، أشار إليها الكتاب القدماء ، ولم يغفل ذكر (رينوكولورا) — التسمية القديمة لها — كاتب منهم ، كما أشار إليها جغرافيو العرب كلهم ، واعتبروها سوقاً عظيمة . . . . لقيت هذه المحطة من غير شك عناية الرومان ، وكان بها كنيسة كبيرة ودير ، والظاهر أن الحصن الذى اهتم ببنائه (السلطان سليم) — حين فتح مصر — ، والذى هدمته قنابل الحرب الماضية ، إنما يقوم على انقاض حصن أقدم منه وتغطى بقايا الفخار مساحة كبيرة تدل على ان المدينة كانت تبلغ مساحتها حوالى ثمانية أميال مربعة ، وكثيرا ما يعثر الأهالى — وهم يعدون الأرض للزراعة — على حوائط أبنية قديمة ، كما أنهم استفادوا من الأحجار التى وجدوها فبنوا بها مساكنهم .

لكن هل تقوم مدينة (العريش) الحالية مكان (رينوكولورا) القديمة تماماً ؟ ! الإجابة على هذا السؤال صعبة لأن المنطقة لم تدرس ، ولأن الكثبان قد تكون مغطية لجزء

(١) راجع (أميلينو) تحت كلمة (استراكين) ص ٢٨٨ و ٢٨٩ .

(٢) راجع .Jarvis, *Yesterday and Today in Sinai*, p. 106

من الآثار القديمة ، لكن مما لا شك فيه أن دائرة المدينتين واحدة ، وإن كان هناك اختلاف فى موقعهما فهو اختلاف لا يهمنا كثيراً فى هذا البحث .

أما الآثار الباقية بعد ذلك فهى أكوام بسيطة على الساحل شمال (الشيخ زويد) بخمسة كيلومترات ، يوجد بها بقايا من الطوب ومن المبانى الحجرية ، عثر فيها على عملة غالبها من أيام (قسطنطين) . كذلك توجد بقايا إلى الشمال الشرقى والى الجنوب من (رفح) أهمها بقايا حصن قرب الساحل له حوائط ترتفع إلى ١٥ قدماً ، وعلى مقربة من ذلك الحصن أكوام كبيرة تدل على أهمية المكان .

نستطيع من هذا كله إذاً أن نعين موضع المحطات القديمة على الطريق الساحلى : فرفح لا تزال معروفة ، ورينوكولورا فى دائرة العريش الحالية ، واستراكين فى موضع الفلوسيات ، وكاسيوس مكان القلس و Gerrha محل المحمدية و Pentashœnus و Chabrias بين المحمدية والفرما ثم ننتهى إلى پيلوز وموضعها فى أكوام الفرما الواقعة على مقربة من بورسعيد الحالية .

والظاهر أن أهمية هذه المحطات قد ضعفت فى أواخر الحكم الرومانى واضمحلت حالة تلك الحصون . ولعل ذلك راجع إلى ضعف الحكم الرومانى فى مصر فى أواخر أيامه ، ضعفاً أدى إلى سحب الحاميـات من تلك الحصون والاكتفاء بتحصين الفرما وتقويتها ، فلم يلق المسلمون فى غزوهم لمصر مثلاً أية مقاومة لا فى العريش ولا فى غيرها من المحطات التى تسبق الفرما من ناحية الشام[1] . لكن ليس معنى ذلك أن الطريق قد اضمحلت أهميته أو تحولت التجارة عنه ، فسنرى أنه ظل الطريق الرئيسى حتى العصور الوسطى ، ما كان يعيبه إلا قلة الماء فيه إلى غربى العريش حتى الفرما ، قلة كان يضطر معها المسافرون والجيوش إلى أن يحملوا حاجتهم من الماء . . . أما خطورة منطقة بحيرة (سربونيس) التى كانت تصغر مساحتها أحياناً وتصبح فى بعض نواحيها مغطاة بالرمل لا يراها الجيوش حتى لقد هلك منها عدد كبير فيما يقول بعض المؤرخين (!) فوضع المسألة

(١) راجع مثلا كتاب (بتلر) عن فتح مصر .

على هذا الوجه يجعلها أقرب إلى الخرافات منها إلى الحقائق ، ولعل التعليل الأقرب إلى الصحة هو أن هلاك الناس إنما كان يقع على ذلك الامتداد الضيق بين البحر والبحيرة حين يضطرب البحر وترتفع أمواجه فيغرق الذين يصادفهم سوء الحظ هنالك . . بهذا يفسر الذين يرون هذا الطريق طريق خروج الاسرائيليين غرق فرعون ، لكن هذه نقطة لا تدخل فى صلب البحث فما يهمنا أن نناقشها ويكفى أن نمر بها مراً[1] . . . .

*
* *

وأما (طريق الرمل) الذى يطلقون عليه الآن «الدرب السلطانى» بصفته طريق القوافل الرئيسى ، فالمقريزى يتكلم عنه محدداً تاريخ قيامه ومشيرا الى أن "الطريق الذى يسلكه المارون على الرمل — يقصد الدرب السلطانى — لم يكن هو الطريق القديم بين مصر والشام ، ولم يوجد إلى بعد الخمسماية من الهجرة — بدء القرن الثانى عشر الميلادى — عندما انقرضت دولة الفاطميين ، حين أغار الفرنجة على الساحل عام ٤٩٠ هـ وأخذوا العريش فعطل السفر على الساحل[2] . . " . ولو كان (المقريزى) قد قصد أن طريق الرمل لم تكن له أهمية منافسة لطريق الساحل إلا منذ أوائل القرن الثانى عشر الميلادى لكان فى كلامه أكثر احتياطاً ، أما إرجاعه وجود الطريق إلى ذلك التاريخ فتحديد لا يقوم على أساس من التأكيد . فقد رأينا من الكتاب عن الفترة القديمة من يرى أن (استراكين) — التى وضعناها مكان الفلوسيات الحالية — كانت منذ القدم نقطة يتفرع الطريق عندها إلى طريق الساحل شمال بحيرة (سربونيس) من ناحية وإلى طريق الرمل جنوبى البحيرة من ناحية أخرى . . . . وكثير من جغرافيى العرب كابن خرذاذبه (٢٧٢ هـ — ٨٨٥ م)[3] ، وقدامه فى كتابه «الخراج وصنعة الكتابة»

---

(١) الخلاف كبير على طريق الاسرائيليين . وقد أخذ جارفس بك برأي انصار الطريق الشمالى وشغل بذلك جزءا كبيراً من كتابه فى الفصل التاسع "The 40 years wandering", p. 158.

(٢) راجع خطط المقريزى . الجزء الأول ص ٢٢٦ وما بعدها .

(٣) راجع المسالك والممالك (طبع ليون) تأليف ابن خرذاذبه .

(٣١٨ هـ — ٩٣٠ م)[1] . . وغيرهما يصرحان بوجود طريقين أحدهما يمر بالساحل والآخر يمر بطريق الرمل فى أرض الجفار . وإذاً يكون من الأسلم ألا نتقيد بما قيد (المقريزى) نفسه به ، وأن نرجع قيام ذلك الطريق إلى فترة أقدم مما حدد المقريزى بكثير . . أما أهمية طريق الرمل فهى تبدأ أول أمرها أقل من أهمية الطريق الساحلى لكثرة رماله ، وقسوة مناخه ، وربما كان استخدام الإبل للنقل فى صحراء سيناء قد جاء متأخراً . . . ثم تأخذ أهمية الطريق فى الزيادة ، لا لمجرد أن الفرنجة قد هددوا الساحل — كما ذكر المقريزى — بل تقوم إلى جانب ذلك أسباب أخرى ساعدت على إضعاف الطريق الساحلى ربما كان طغيان البحر على الساحل من بينها ؛ . . فاذا هدد الصليبيون الساحل بعد ذلك كانت هذه العوامل مجتمعة سبباً فى زيادة أهمية طريق الرمل ، وعاملا فى إضعاف الطريق الساحلى الذى أشرنا الى أن معظم محطاته قد بدأت تضعف أهميتها وتقل العناية بها فى أواخر حكم الرومان فى مصر . . . والخريطة التى رسمها (بتلر) فى كتابه «فتح مصر» ترينا أن تقدم العرب إلى «الفرما» إنما كان من طريق الرمل لا من طريق الساحل[2] . . . ، مما يمكن أن نفهم منه بروز أهمية هذا الطريق وتقدمه على الطريق الساحلى ، تقدماً أخذ يزداد شيئاً فشيئاً حتى أصبح طريق الرمل هو الدرب السلطانى ، وأصبح طريق الجفار هو الطريق الرئيسى ، تقطعه الجيوش ، وتسلكه التجارة بين مصر والشام ، ثم مدت فيه سكة حديد فلسطين أثناء الحرب الماضية ، ولا تزال الإبل الآتية من بلاد الحجاز والشام تفضله إلا فى بعض أيام السنة حيث تفضل طريق الساحل لتتفادى ذباباً مميتاً فى طريق الرمل يقتل الإبل فى بعض أيام الربيع والصيف[3] . . .

وسنحاول الآن — قبل أن ندرس سير الطريق وتفاصيله — أن نلخص محطاته ومراحله كما وردت فى بعض الكتابات فى الفترات المختلفة ليكون ذلك أساساً للدراسة المقارنة : —

---

(١) راجع فى نفس هذا الكتاب السابق ما هو ملحق به من كتاب قدامه «الخراج وصنعة الكتابة» صفحتى ٢١٩ و ٢٢٠ .

(٢) راجع (بتلر) فى كتابه فتح مصر .

(٣) راجع كتاب نعيم بك شقير عن سيناء صفحة ٢٦٠ .

الفتح الاسلامى	ابن خرذاذبه ٢٧٢ هـ — ٨٨٥ م	قدامه ٣١٨ هـ (٩٣٠ م) ابن حوقل ٣٦٦ هـ (٩٧٧ م) المقدسى ٩٨٥ م	الادريسى ١١٥٤م	أبو الفداء و (أواخر القرن	الفتح العثمانى	رحلة الشيخ النابلسى (١٧٣٠ م)	طريق الحملة الفرنسية	طريق ابراهيم باشا	السكة الحديدية الفلسطينية الحالية
الفرما	الفرما	الفرما	الفرما	الفرما					القنطرة
	العذيب					الدويدار			
						رمل الغرابى			
				قطيه	قطيه	قطيه	قطيه	قطيه	
						بئر العبد			بئر العبد
	الثعامه	البقاره				رأس الادراب			
	الوراده	الوراده	الوراده	الوراده		ام الحسون			
						قبر الساعى			
						بئر المساعيد			
العريش	العريش	العريش	العريش	العريش	العريش	العريش	العريش	العريش	العريش
رفح	رفح	رفح	رفح	رفح	رفح	رفح	رفح	رفح	رفح

ونستطيع أن نخرج من هذا الجدول بالملاحظتين الآتيتين : —

الأولى : أن طريق الرمل ظل يبدأ من رفح على حدود مصر الشرقية ، وينتهى عند الفرما على حدود سيناء الغربية حتى حوالى القرن الثانى عشر الميلادى ، ثم تذكر «الفرما» بعد ذلك على أنها خراب قليلة الأهمية منذ هاجمها (بلدوين) ملك بيت المقدس عام ١١١٨ م وخربها [1] . ولذلك نجد أن William of Tyre حين يتكلم عن غزو (املريك) لمصر فى أكتوبر سنة ١١٦٩ يذكر أن الفرما فى أيامه كانت خرابا [2] ، وهذا نفس ما كتبه (أبو الفداء) الجغرافى العربى فى أواخر القرن الثالث عشر [3] . . . ومن تلك المدة نجد الكتاب والرحالة يعينون لنا طريق السفر بعيداً عن الفرما إلى الجنوب منها ، وما يشيرون الى تلك المدينة التى كانت المحطة الرئيسة إلا إشارة المؤرخ يتحدث عن حقيقة تاريخية . فالذين أرخوا للفتح العثمانى مثلا لا يذكرون ما يدل على أن (الفرما) كانت حصناً قاوم الفاتحين كما كان يقاومهم دائماً من قبل ، ولا يشيرون إلى أن العثمانيين صادفوا فرعاً للنيل أثناء تقدمهم الى مصر . . . فاذا جئنا نتلمس علة لزوال أهمية مدينة الفرما التى كانت أكبر حصن على حدود سيناء الغربية ، والتى شهدت مواقع شتى بين غزاة مصر وبين المدافعين عنها ، فما يكفى أن نرجعها إلى تخريب الصليبيين لها ، فكثيراً ما خربت على أيدى غيرهم ثم عادت لها أهميتها ثانية لهذا الموقع الحربى الفريد الذى كانت تمتع به على مصب الفرع البيلوزى . . وما دام تخريب الصليبيين لها قد قضى عليها فى تلك المرة قضاءً تاماً فلا شك أن عوامل أخرى قد أثرت فى مركزها وأضعفت من أهمية موقعها ، ولعل جفاف الفرع البيلوزى يمكن أن يسأل فى الجوهر عما أصاب مدينة «الفرما» من ضعف عجلته غارة الصليبيين .

(١) Hume, *A brief History of north Sinai and of Pelusium* (1918), pp. 62-63

(٢) الكتاب السابق ص ٦٢ .

(٣) يتكلم ابو الفداء عن الفرما فيقول «. . . ما هى الآن الا خرائب . . .» راجع *Géographie d'Aboulfida*, traduite par M. Reinaud (Paris 1848) p. 146

الثانية : وباضمحلال أهمية (الفرما) وتحول الطريق إلى جنوبها تظهر محطة (قطيه) وهى محطة لم تكن معروفة من قبل ، فاذا ظهرت ساعدها موقعها على أن تكون محطة هامة كما سنرى . . . وإذا لم يكن عندنا ما يعين تاريخ قيام هذه المحطة بالدقة ، ففى إمكاننا أن نرجعه إلى حوالى القرن الثالث عشر الميلادى ، حيث ترد فى كتابة الكتاب والرحالة منذ ذلك الوقت على أنها محطة رئيسية فى طريق الجفار بين مصر والشام . ولعل من المفيد هنا أن نشير إلى أن (المقريزى) يرجع وجود مدينة (الصالحية) على أطراف مديرية الشرقية إلى عام ٦٤٤ هـ — منتصف القرن الثالث عشر الميلادى تقريباً — حين أنشأها الملك الصالح نجم الدين بن الكامل [1] ، فمن المحتمل ان ترجع نشأة هذه المدينة إلى نفس الفترة التى قامت فيها (قطيه) ، بصفتها أول محطة هامة فى طريق القوافل بعد أن نترك سيناء وندخل فى أرض مديرية الشرقية .

ونحتاج إلى تحقيق موقع محطتين فى هذا الطريق : «الورّاده» وهى المحطة الهامة التى تلى «العريش» ناحية مصر ، ومحطة «البقّاره» التى تليها . أما الوراده فتسمية لا أثر لها فى الخرائط الحديثة ، لكنا فى أطلس البرنس كمال نجد «الوراده» موضوعة قريبة جداً من الطرف الجنوبى الشرقى لبحيرة البردويل ، أى أنها قريبة من محطتى البردويل والميدان الحاليتين [2] . . . وفى منطقتى البردويل والميدان آثار مهدمة متسعة يطلق عليها اسم «الخرابات» : فعند الميدان على بعد دقائق غربى الدرب السلطانى توجد أكوام قيل لنا أنها تمتد إلى البحيرة ، رأينا فيها آثار جدران يظهر أن كثيراً منها قد هدم أثناء إعداد الأرض لزراعة الشعير والبطيخ . ومثل هـذه الآثار نراها قرب محطة البردويل أيضاً ، ومن المحتمل أن تكون هذه المنطقة هى موضع (الوراده) التى ذكرها جغرافيو العرب على بعد مرحلة من العريش فى طريق الجفار إلى مصر . . كذلك

(١) راجع خطط المقريزى : جزء أول صفحة ٢٢٦ وما بعدها .

(٢) راجع فى اطلس البرنس كمال (للفترة العربية جزء ٢) فى صفحة ٦٣٣ خريطة لجغرافية الكندى تمثل موقع الوراده فى المكان الذى اشرنا اليه .

يقابلنا على مقربة من محطة (مستبك) الحالية القريبة من بئر العبد شبه تل يلاصق الدرب إلى يساره، تقوم عليه بقايا جدران من الحجر، وربما كانت هذه هى بقايا محطة (البقاره). ويلاحظ أن هذه الآثار الأخيرة أصغر من البقايا التى تصادفنا عند الميدان ومحطة البردويل. ولو صح أن هاتين المنطقتين هما مكانا الوراده والبقاره، إذاً لخرجنا بأن الأولى كانت محطة أكثر أهمية، ولكان فى ذلك تفسير لوجود هذه المحطة الأولى فى كل كتابة الرحالة والجغرافيين فى العصور الوسطى، الذين حرصوا على أن يذكروا الوراده فى حين أن منهم من كان يغفل ذكر محطة البقاره، مما يدل على أنها كانت أقل من الوراده شأناً. وإذا كنا قد حاولنا أن نحقق موضع هاتين المحطتين فما ينبغى أن ننسى أنه ليس لدينا دراسة للخرائب الموجودة على طريق الرمل يمكن أن نعتمد عليها فى تحقيق الأمكنة، ومثل هذه الدراسة إن تمت لا يبعد أن نخرج منها بنتائج أدق، وننتهى بها إلى تحقيق هذه المواضع تحقيقاً صحيحاً....

وطريق الرمل هذا يدخل سيناء من القنطرة التى يأتيها الدرب من «الصالحية»، فيبدأ فى سهل قليل الرمل، يغطيه العشب ويمتد إلى مسافة ١٦ ميلا فى ارتفاع بسيط جداً إلى ناحية الشرق، لنصل بعد ذلك إلى منطقة الكثبان التى ترتفع فى بعض الأماكن إلى ٢٠٠ قدماً، والتى تستمر حوالى ٩ أميال يصعب السير فيها إلى أن ندخل واحة (قطيه) التى يكثر ماؤها ويمتد نخيلها على مسافة كبيرة. وهنا يلاقى الطريق الدرب الآتى من الاسماعيلية قاطعاً منطقة الكثبان المحاذية لقناة السويس... فاذا التقى الطريقان دخل الدرب ثانية منطقة الكثبان حتى بئر العبد على بعد ١٦ ميلا من (قطيه)، وهى محطة هامة على الدرب السلطانى تحيط بها واحة صغيرة يكثر فيها النخيل، وعلى بعد قليل من بئر العبد نصل إلى المكان المعروف (بخشوم الأدراب)، يتفرع الطريق عنده إلى ثلاثة فروع أهمها الأوسط الذى يمر «بالبريج» حيث يكثر الرمل ويصعب السير، ثم يمر بالمزار لندخل فى منطقة أقل رملا حتى نقرب من العريش فيعظم ارتفاع الكثبان حول المدينة وعلى بعد منها، ثم يقطع الطريق مصب وادى العريش الذى

نكثر به زراعة الفاكهة والخضر، لندخل فى منطقة كثبان متتابعة لكنها أكثر تماسكا وأقل ارتفاعاً، وكثيراً ما نصادف فى الطريق إلى رقع أراضٍ سهلة يكثر فيها العشب والحشائش، بل وكلما قربنا من الحدود الشرقية صادفنا مناطق لزراعة القمح والشعير[1]..

ويعيب هذا الطريق صعوبة السير فيه لكثرة الكثبان وعدم تماسك الرمل، وتلك عقبة صادفتها الجيوش التى قطعت سيناء من هذا الطريق، وجعلت مهمة نقل الجيوش والعربات أثناء تقدم الانجليز إلى فلسطين فى الحرب الماضية مهمة شاقة، إذ صعب على الفرسان بوجه خاص أن يطاردوا الأتراك طويلا[2]... كذلك كان يضطر الترك والانجليز إلى وضع ألواح (Boards) على المساحات الرملية البسيطة لتمر العربات عليها، أمّا المساحات الرملية المتسعة فكانوا يعالجونها بوسائل شتى انتهت باستخدام الشبكات السلكية التى أفادت المشاة والسيارات، لكن حوافر الخيل كانت تقطعها[3]... ولا شك أن الاسراع فى مد سكة حديد فلسطين أثناء تقدم الانجليز فى سيناء إنما كان لتلافى هذه الصعوبة[4] التى ستظل عقبة فى تمهيد طريق للسيارات لا يسهل التغلب عليها.

فاذا تركنا هذه العقبة، وتركنا بعض عقبات أخرى مشتركة فى معظم طرق سيناء كقسوة المناخ وهبوب الرياح المحملة بالرمل فى بعض أشهر السنة، فان هذا الطريق يفضل الطرق جميعاً لأنه أغنى الطرق الشمالية بالماء والعشب مما يجعل فى الإمكان أن يقطعه عدد كبير من الناس والحيوان. وما نظن أننا بحاجة إلى أن نفصل القول فى

---

(١) تكاد سكة حديد فلسطين الحالية تسير مع هذا الطريق تماما الا فى منطقتين شرق القنطرة حيث تسير شمال الطريق لتتفادى الكثبان المرتفعة، وحين تقترب من العريش حيث تأخذ الطريق الساحلى شرق بحيرة البردويل لصلابة السطح فيه.

(٢) راجع Sergeant Major R. A. M. C., *With the R. A. M. C. in Egypt* (1918), p. 94

(٣) راجع كتاب تاريخ الحرب العظمى صفحتى ٢٠٢، ٢٠٣.

(٤) كان التفكير فى مد السكة الحديدية أقدم من ذلك وقد ألقى انطون يوسف لطفى بك محاضرة فى الجمعية الجغرافية المصرية بجلسة ٢٠ مارس ١٨٩١ عن أهمية مد هذا الخط.

أهمية الكثبان فى الاحتفاظ بماء عذب يسهل الحصول عليه ، أو نفيض فى غنى هذه المنطقة بالعشب والنبات ، أو نعدد الآبار المنتشرة على طول الطريق فى كل مرحلة من مراحله وإنما نحيل القارىء إلى مواضع هذه الدراسة فى المراجع المختلفة ، وإلى خريطة المساحة التى لا تذكر كل الآبار ، لكن ما فيها يعطى صورة واضحة عن غنى هذه المنطقة بالآبار إذا قارناها بغيرها . . . فاذا جئنا نتساءل بعد ذلك لم فضل الترك فى هجومهم الأول على القناة (١٩١٥) طريق القصيمة ومغارة إلى الاسماعيلية ولم يسلكوا هذا الطريق ، فتفسير ذلك راجع إلى اعتبارات حربية منها تأكد الأتراك من شدة اهتمام الانجليز بطريق السويس والقنطرة ، وخوفهم من خطر السفن الحربية التى كانت تهدد شمال سيناء وقتئذ ، فلما كان عام ١٩١٦ واشتد نشاط الغواصات الألمانية والنمساوية فى مياه شرق البحر الأبيض ، وجعلت اقتراب أساطيل الحلفاء من ساحل سيناء الشمالى صعباً ، استطاع (Kreiss) القائد الألمانى للحملة التركية أن يسلك الطريق الشمالى فى حملته الثانية على القناة التى لم يتجشم الأتراك فيها من الصعوبات ما تجشموه فى حملتهم الأولى[١] .

ويمكن أن ننتهى من دراسة هذا الطريق بأن نشير بوجه خاص إلى نقطتين هامتين فيه هما العريش وقطيه : أما أولاهما فتقع على مصب وادى العريش (نهر مصر كما كانوا يسمونه) ، تتحكم فى الطريق الى داخل سيناء بواسطة هذا الوادى ، كما تقع على الطريق الآتى من الشام إلى مصر وعلى طريق النبط الذى كان يأتى من البطراء لينتهى إلى البحر الأبيض ولتصل إحدى نهاياته إلى «رينوكولورا» . وإذاً فقد كانت العريش نقطة تلاقى عدة طرق هامة مما جعل لها منذ القدم مركزاً ممتازاً ، كما أن غناها بالماء الذى يجود عندها أكثر مما يجود فى كثير من مناطق سيناء الأخرى والذى يكثر حولها بطريقة تكفى حوالى ٤٠٫٠٠٠ أو ٥٠٫٠٠٠ حسب تقدير السلطات البريطانية فى

---

(١) راجع كتاب تاريخ الحرب العظمى السابق صفحتى ٨٩ ، ٩٠ .

خريطة
تبين هجوم الأتراك على القنال في الحرب الماضية

الطريق الرئيسي سنة ١٩١٥
طرق أخرى للهجوم
° آبار

بورسعيد
بحيرة المنزلة
الفلس
سبخة البردويل
رفح
بئر السبع
الشيخ زويد
العريش
بئر المزار
بئر الدويدار
قاطيه
بئر العبد
بئر العفين
بئر النصف
بئر الجفجافة
المقضبه
العوجة
بئر المحدث
فردان
الجسر
الاسماعيلية
طوسون
سرابيوم
جبل المغاره
جبل الحلال
القصيمه
بئر الحمة
روض سالم
بئر حسنه
جبل يلق
كثيب الخشب
بئر الجفجافه
جبل أم خشيب
شالوفه
الكوبري
السويس
الشط
بئر مبعوق
نخل
عين صدر
الكنتلا
بئر التمد
العقبه
المفرق
خليج السويس
خليج العقبه

الحرب الماضية ، كل هذا أعطاها أهمية على ذلك الطريق وجعل (Sir A. Murray) فى خطابه الذى أرسله إلى المكتب الحربى البريطانى فى ١٥ فبراير سنة ١٩١٥ يجعل للاستيلاء على العريش أهمية خاصة ، سيما وأنها فى نظره قريبة من الساحل يمكن للأسطول أن يدافع عنها[١] .. وأما (قطيه) التى رأيناها تظهر على طريق الرمل بعد اضمحلال الفرما ، فقد ورثت تلك المدينة فى أهميتها ، إذ أصبحت هى محطة المكوس بين مصر والشام يصفها (ابن بطوطه) فى رحلته ، «بأن بها تؤخذ الزكاة من التجار ، وتفتش أمتعتهم ، ويبحث عما لديهم أشد البحث ، وفيها الدواوين والعمال والشهود ، ومجباها فى كل يوم ألف دينار من الذهب ، ولا يجوز عليها أحد من الشام إلا ببراءة من مصر ولا إلى مصر إلا ببراءة من الشام[٢] ...» وأهمية هذه النقطة ترجع إلى غناها بماء أكثر عذوبة من ماء غيرها من المناطق المحيطة بها ، وإلى وقوعها على تفرع الطريق إلى الاسماعيلية من جهة وإلى القنطرة من جهة أخرى ، كما أنه على مقربة منها يتفرع الطريق إلى الساحل عند (المحمدية) ليصل بعد ذلك إلى بور سعيد ، وهو الطريق الذى فكر حديثا فى مد خط حديدى يتفرع من خط فلسطين عند محطة (الرمانه) غربى (قطيه) بقليل ... هاتان النقطتان الرئيسيتان ابرزت لنا الكتابات الحربية أهميتهما ، وأشار (السير مرى) صراحة فى خطابه السابق إلى أن الذى يستولى عليهما يستطيع أن يتحكم فى هذه المنطقة فى سيناء التى هى (بوابة هامة) إلى مصر والشام ، اذ سيكون فى يده مفاتيح الطرق وتحت تصرفه موارد الماء ....

وأما (درب الشام) : الذى هو أكثر طرق المجموعة الشمالية إلى الجنوب ، فليس لدينا عن تطور أهميته معلومات كثيرة يمكن أن نعتمد عليها ، وكل ما عندنا إشارات موجزة لا دقة فيها ولا يستطاع منها تعيين سيره كما عينا سير الطريقين السابقين ... والظاهر

---

(١) راجع كتاب تاريخ الحرب العظمى السابق ص ١٧١ .

(٢) راجع مهذب رحلة ابن بطوطه (الجزء الأول صفحتى ٤٣ ، ٤٤) .

أن قلة المعلومات عن هذا الطريق إنما ترجع إلى أن حركة المرور فيه كانت قليلة إذا قسناها بحركة المرور فى الطريق الساحلى وطريق الجفار ، بسبب قلة الماء فى تلك المنطقة قلة تجعل من الصعب على الانسان والحيوان أن يقطعها ، ولأن من الطبيعى أن يكون المناخ فيها أشد قسوة لبعده عن تأثير البحر الذى يلطف من هذه القسوة قليلاً .

يبدأ هذا الدرب من «غزه» أو من «خان يونس» ببلاد الشام فى أرض مكشوفة قد ترتفع قليلا فى بعض المناطق ، ويسير إلى الجنوب الغربى تاركا آثار الزراعة وراءه ليقترب شيئاً فشيئاً من منطقة الكثبان الرملية فى شمال سيناء التى يقطعها فى صعوبة ليعبر بعد ذلك (وادى العريش) قرب (المقضبة) ، إحدى النقط الحربية الهامة فى شمال سيناء حيث يلتقى عندها جملة طرق تأتى من العريش بطريق وادى العريش ، ومن (القصيمة) بطريق السيارات الذى مد حديثاً ومن السويس والاسماعيلية وبلاد الشام . وإلى غربى (المقضبة) يدخل الطريق فى تلك المنبسطات المتتابعة الجامدة التربة التى يغطيها الصوان فى كثير من جهاتها فيجعل السير فيها أقل صعوبة من منطقة الرمال التى الى شمالها ؛ ثم يمر الدرب بين تلك الكتل الجبلية التى تبرز فى تلك المنبسطات فى خطوط متوازية : فيسير أولاً بين جبل (لبنى) و (ريسان عنيزه) ، ثم يسير الى يسار (جبل مغاره) حتى يأتى (بئر الحمه) فيلاقى طريقاً آخر آتياً من الشرق ، يبدأ من بلاد الشام من «بئر سبع» ويمر «بالعوجاء» ، ثم يدخل سيناء عند «القصيمة» التى تعتبر كذلك مركزاً حربياً رئيسياً على الحدود الشرقية لسيناء بصفتها نقطة تلاقى طرق أكثر أهمية من تلك الطرق التى رأيناها تتلاقى عند «المقضبة» ، طرق كلها رئيسية ممهدة لسير السيارات[1] : من بئر السبع الواقعة الى الشمال الشرقى منها ، ومن العريش الى شمالها الغربى ومن العقبة والسويس على رأس خليجى العقبة والسويس . . وهذا الطريق

(1) أحسن ما كتب عن طرق السيارات ، هو ما جاء فى كتاب جارفس بك الذى كتب فصلا شرح فيه حالة الطرق ، وقدر مسافاتها ، ورسم خريطة لذلك .
Jarvis, *Yesterday and Today in Sinai* pp. 291-312 الطبعة الثالثة

الآتى من الشرق يسير غربى (القصيمة) فى تلك المنبسطات المتتالية الى يسار جبل «الحلال» حتى يصل نقطة الحسنة التى تشرف عليها كتل «الحلال وخريم ويلج» ، والتى تتحكم كذلك فى مجموعة طرق تقطع سيناء فى جميع نواحيها ؟. وعند (الحسنة) ينحرف الطريق الى الشمال الغربى حافاً بجبل (يلج) من شرقيه ، حتى يلاقى عند (الحمة) الطريق الذى يدخل سيناء من الشمال الشرقى بطريق (المقضبة) فى وادى العريش . . . وعند (بئر الحمة) يتفرع الطريق ، فاما أن يتابع سيره الى الغرب مباشرة حتى يصل «الاسماعيلية» — وبهذا نختصر المسافة فى الوصول الى برزخ السويس لكنه يسير فى منطقة رملية عديمة الماء يصعب السير فيها حين يقطع الطريق هذه الكثبان الممتدة على طول القناة — واما أن يسير الى الجنوب الغربى ، فى طريق أكثر طولا ، لكنه نسبياً أكثر ماء ، وهذا يستمر لمسافة طويلة فى أرض صلبة الى أن يأخذ (وادى أم خشيب) لينتهى أيضاً الى تلك الكثبان التى تمتد الى شرقى القناة فيقطعها الى الاسماعيلية . . . «ونعيم بك شقير»[1] لا ينهى هذا الطريق الذى سماه (الدرب المصرى) عند الاسماعيلية لكنه يراه ينتهى عند السويس ، ماراً ببئر الجدى ، ومتبعاً وادى (الطوال) فوادى (الحج) . . . وليس هنالك ما يمنع من اعتبار (السويس) نهاية ثانية للطريق الآتى من الشام ، لأن من التجار من كانوا يفضلون هذا الطريق بين الشام والسويس ، بدل ان يسلكوا ذلك الطريق الآخر الذى يسير فى هضبة التيه ، قاطعا فروع وادى العريش ، ومارا بالحسنة لينتهى اما الى العريش فالساحل الى غزه ، واما الى القصيمة فبئر السبع وهو الطريق الذى مهد الآن للسيارات تمهيداً تاماً[2] . . .

ولا يمتاز هذا الطريق الجنوبى الا بان السير فيه أسهل من السير فى طريق الجفار إلى شماله ، لان سطحه أكثر استواء وأشد تماسكا ، ولأن الكثبان فيه قليلة ، تكاد تكون مقصورة على منطقة محدودة فى الركن الشمالى الشرقى لشبه الجزيرة ، وعلى تلك

(1) راجع تاريخ سيناء لنعيم بك شقير صفحتى ٢٦١ ، ٢٦٢ .
(2) راجع وصف هذا الطريق بكتاب (جارفس بك) صفحة ٢٩٢–٢٩٩ من الطبعة الثالثة .

الكثبان الهلالية التى هى امتداد الكثبان الشمالية على جانب القناة الى جنوب شرق مدينة السويس بقليل . . . لكن هذه الميزة تضعف جدا حين ننظر الى الخريطة فنجد موارد الماء على طول ذلك الطريق قليلة جدا ومتباعدة بعضها عن بعض ، وحين نرجع إلى دراسة توزيع العيون والآبار فنرى تبايناً كبيراً فى الكم والنوع بين هذا الطريق وبين ذلك الدرب الذى يشق طريقه الى الشمال فى منطقة الكثبان . . .

والواقع أن الماء فى هذا الطريق يكاد يكون مقصوراً على الجزء الشرقى من المنطقة : فى (القصيمة) حيث توجد عين «الجديرات» ، وفى بعض آبار نجدها فى وادى العريش أهمها بئر «المقضبة» ، ثم فى آبار «الحسنة» . . وفيما عدا ذلك لا يصادفنا فى هذه المساحة الشاسعة الا آبار قليلة جدا ، لا يستساغ ماؤها ، ولا يمكن الاعتماد عليها الا فى فترات محدودة بعد سقوط المطر الكثير [1] . . والظاهر أن مشكلة الحصول على الماء التى تواجه المار فى تلك المنطقة مشكلة قديمة ، بدليل تلك الخزانات المتسعة التى نحتت فى الصخر فى مناطق متفرقة فى ذلك الطريق عرف منها خزانات مغاره وام خشيب وجبل الحلال ، حيث يوجد ما يسميه البدو (بالهرابات) التى ترجع فى الغالب الى أيام الرومان ، والتى تتسع لكميات عظيمة من الماء تجرى اليها بعد سقوط المطر ، فتخزن فيها ويمكن أن يعتمد عليها عدد كبير من الناس ومن الحيوان . . ولقد صادف الاتراك ، فى هجومهم على القناة بهذا الطريق عام ١٩١٥ ، صعوبات كبيرة فى الحصول على الماء ، فقد وضعوا أيديهم اولا على ماء (الجديرات) فى منطقة القصيمة واستفادوا منه ، ثم حاولوا أن يستغلوا هذا المورد ليسهلوا مهمتهم فمدوا أنابيب منه الى (الحسنة) لكنهم وجدوا ذلك الأمر صعباً واستحال مد الأنابيب

(1) راجع وصف الطريق الى الاسماعيلية E. Hull, *Mont Seir, Sinai and Western Palestine* (1815), appendix, p. 219.
ولاحظ بشكل خاص فى صفحة ٢٢١ ما يصف الكاتب به ماء بئر الحمة الذى يعتبر من الآبار الهامة فى ذلك الطريق اذ يقول عنه «ان ماءه قليل ردىء الطعم فاسد الرائحة» .

بعد ذلك [1] ، فاضطروا الى استخدام خمسة آلاف جمل لحمل الماء اللازم للحملة ، وساعدتهم الظروف فى تسهيل مهمتهم فسقط المطر فى فصل التقدم بكميات لا بأس بها [2] ، واستطاعوا أن يجدوا فى الآبار المتفرقة ماء اعتمدوا لحد كبير عليه ، وكانت القيادة الألمانية حريصة جداً على الماء لا تصرفه الا للضرورة القصوى والا بقدر معلوم .

والغزوات التى أخذت هذا الطريق تشعرنا الكتابات التى كتبت عنها — على الرغم من قلتها — بأنها اضطرت الى ان تسلك هذا السبيل لوجود ما يمنعها من أن تأخذ الطرق الشمالية : (فماسبيرو) فى كتابه «فجر الحضارة» يتكلم عن حملة من حملات الأسرة الخامسة أيام (پيپى الأول) ضد قبائل الـ *Hiru-Shaitu* بقيادة وزيره الأول (أونى) ، وينقل الينا وصف ذلك الطريق الوزير القائد للحملة بأنه بعد أن تجمعت الجموع على حدود الدلتا سارت فى الصحراء فى طريق يصفه (ماسبيرو) بأنه يبدأ قرب الاسماعيلية — يمر بمغاره ، وجبل الحلال حتى البحر الميت ، أى فى نفس الطريق الذى نتكلم عليه الآن — ، ويشير الكاتب إلى أن سكان المناطق الشمالية كانوا يحرشون بهم ؛ . ومعنى ذلك أنهم سلكوا الطريق إلى الجنوب ليتلافوا ضررهم ، كما اضطروا الى أن يهاجموهم بحرا حيث أنزل المصريون جيوشهم فى منطقة *Tiba* ، التى يضعها (ماسبيرو) بين غزه وبحيرة سربونيس [3] .

وفى كتاب (الجغرافية التاريخية للأراضى المقدسة) إشارة الى طريق مباشر من بئر السبع الى مصر ، ذكر المؤلف ان (يعقوب) قد سلكه فى طريقه الى مصر ، وأشار الى أن جيوشا لصلاح الدين قد سارت فيه الى بيت المقدس . . . . ويكاد الكاتب يشعرنا بأن مثل هذه الجيوش كانت مضطرة الى أن تسلك هذا الطريق —

(1) راجع تاريخ الحرب العظمى (الجزء الأول الخاص بمصر وفلسطين) ص ١٧٢ .
(2) راجع تاريخ الحرب العظمى جزء أول صفحة ٢٨ .
(3) راجع Maspero, *Dawn of Civilization*, p. 420.

ولعل اضطرارها كان لتلافى خطر الصليبيين الذين يحتمل أن كان لهم النفوذ فى المنطقة الساحلية — اذ يعقب المؤلف على هذا بما يأتى [1] : —

"... It is an open road, but wild and never, it would seem, used for the invasion of the Judea from Egypt. The clearer way to most of Syria from Egypt lay along the coast".

أما الحملة التركية التى اتخذت هذا الطريق سبيلا لهجومها على القناة عام ١٩١٥ فقد أرجعنا ذلك — فى الكلام على طريق الرمل — لا الى أفضلية هذا الطريق ، وانما الى اضطرارها الى ذلك ، لتأكدها من اهتمام القوات الانجليزية بالطريق الرملى المطروق ، ولأن البحر كانت السيادة فيه فى تلك المدة للحلفاء ، مما كان يجعل تقدم جيوش الترك قرب الساحل محفوفا بالمخاطر ، ولذلك رأيناهم بعد فشلهم فى الهجوم الأول ، وزوال خطر سفن الحلفاء الحربية على سواحل سيناء الشمالية ، يفضلون طريق الرمل الشمالى فى هجومهم الثانى على القناة تخلصا من الصعوبات الكبيرة التى لاقوها أثناء هجمتهم الأولى . . . .

ثانياً — المجموعة الوسطى :

تأخذ سيناء الوسطى — كطريق لمرور القوافل التجارية ، وكممر للغزوات الحربية — مركزاً ثانوياً لا يمكن أن يقارن بمركز سيناء الشمالية لاسباب فصلناها فى بدء الكلام على طرق المجموعة الشمالية ، وأشرنا اليها ونحن نتكلم فى مقدمة هذا الفصل على أهمية سيناء كطريق للمرور [2] . . . ويقل اهتمام الكتّاب القدماء بالاشارة الى

(1) راجع George Adam Smith, *The Historical Geography of the Holyland* (1894) pp. 278-279.

(2) راجع مقدمة هذا البحث .

تلك الطرق الوسطى عن اهتمامهم بالطرق الشمالية : فيكتفى (پلينى) بأن يذكر أن الطريق المباشر من خليج السويس الى (أيلا) على رأس خليج العقبة يبلغ ١٥٠ الف خطوة ، تقطع فى حوالى ٦٠ ساعة وأنه من (أيلا) الى (غزه) حوالى تلك المسافة وأن المثلث الذى تمر رؤوسه بنهاية خليج العقبة والسويس وغزه يكاد يكون مثلثاً متساوى الأضلاع [1] . . . . واذا كانت خريطة (پوينتنجار) — التى وضعت فى القرن الثالث الميلادى ، والتى عينت الطرق الحربية فى الامبراطورية الرومانية — قد رسمت لنا طريقاً يقطع سيناء فى ذلك الجزء الاوسط منها ، يبدأ من «ايلا» وينتهى عند «القلزم» ماراً «بفارو» و «ميديا» [2] فليس معنى ذلك أن هذا الطريق يمكن أن يقارن فى أهميته بذلك الطريق الرومانى الحربى الذى كان يقطع سيناء على طول ساحلها الشمالى من «رفح» الى «پيلوز» . . كما أنه لا شك فى أن عناية الرومان بالطريق الساحلى الشمالى كانت أشد بكثير من عنايتهم بطريق سيناء الاوسط بدليل أننا نصادف الى الآن آثار اهتمامهم فى الشمال ممثلة فى تلك القلاع المتتابعة ، وفى آثار المحطات الباقية التى تدل على اهتمام كبير بهذه المنطقة الساحلية [3] . . . فى حين أننا لا نصادف من ذلك شيئاً فى الطريق الحربى الاوسط مما يثبت لنا أن الاهتمام بذلك الطريق الاوسط كان أقل والا لتركوا فيه أدلة اهتمامهم به من حصون وقلاع . . .

واذا كان قد جد لوسط سيناء أهمية فى المرور ، فذلك انما جاء حين اتخذه المسلمون من مصر وبلاد المغرب طريقاً لهم للحج الى مكة ، وقد رأينا أن ذلك لا يكون عقب الفتح الاسلامى مباشرة ، فقد ظل طريق الحج لعدة قرون يأخذ طريق النيل الى الصحراء الشرقية فميناءى «عيذاب» و «القصير» على ساحل البحر الاحمر ،

(1) راجع Ritter, *The comparative geography of Palestine and the Sinaitic Pen.* (translated by William Gage, 1866) vol. I, p. 41.

(2) راجع الخريطة المرفقة بكتاب A. Kammerer, *Pétra et la Nabatène* (1929).

(3) راجع دراسة هذه الآثار وبقايا المحطات فى الكلام على المجموعة الشمالية من الطرق .

ثم تحول الطريق الى سيناء بعد أن حجت به «شجرة الدر» ، وبعد أن سير «الناصر قلاوون» قافلة الحج عبر سيناء حوالى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى [١] . . .

وطبيعى فى اختيار طريق الحج عبر سيناء الى مكة ، ألا تتخذ الطرق الشمالية — رغم مميزاتها — حتى لا تطول المسافة على القوافل ، وألا تتبع الطرق الجنوبية لشدة وعورة السير فيها ، وإنما يتخذ الطريق الأوسط عبر هضبة التيه ، حيث يكون سطح الهضبة جامداً وأكثر استواء ، وحيث يكون أقصر الطرق بين رأسى خليجى العقبة والسويس .

ويقطع التيه فى وسطها طريقان مهمان : —

(١) درب الحج : يبدأ قرب رأس خليج السويس ، ويسير قاطعاً هضبة التيه الى العقبة .

(٢) درب الشعوى : يبدأ قرب رأس خليج السويس ، ويسير الى الجنوب أكثر من درب الحج الى أن ينتهى عند العقبة أيضاً .

أما (درب الحج) : فقد أخذ تسميته من مرور قوافل الحجاج فيه مما يدل على الوظيفة الرئيسية له ؛ . كان هذا الطريق مطروقا منذ منتصف القرن الثالث عشر للميلاد كما قدمنا ، ظل يذكره الكتاب كلهم ويعددون محطاته واحدة بعد أخرى ، كما سار فيه معظم الرحالة الذين جابوا سيناء فى القرون الحديثة فوصفوه وعينوا مراحله... واستمرت له أهميته حتى تحول طريق الحج الى البحر بطريق السويس فجأة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وعندئذ اضمحلت أهمية درب الحج اضمحلالا يقربه الى اذهاننا ما طرأ على أهمية محطة (نخل) — كبرى محطاته ، والنقطة المركزية فيه — فقد استمرت مركزاً تجارياً يجد الحجاج فيه ما يحتاجون اليه ، واختيرت العاصمة

(١) راجع مقدمة هذا البحث .

الادارية لشبه الجزيرة كلها ؛ . ثم ضعف مرور الحجاج بطريق سيناء نخسرت (نخل) من ذلك كثيراً ، وانتقلت العاصمة الادارية الى «العريش» فى الشمال ، وراح أحد الرحالة يبحث عن هذه المحطة التى ذكرها كتاب العصور المختلفة مشيرين الى أهميتها ، لكنه عجب اذ لم يجد هنالك الا قلعة مهدمة يحرسها جند قليلون [١] !

كان (درب الحج) يبدأ قرب القاهرة ، حيث كان يتجمع الحجاج فى مكان يعرف (ببركة الحاج) — وهى فيما يذكر صاحب (الخطط التوفيقية) «قرية موضوعة فى الشمال الشرقى للقاهرة ، وفى غربى الترعة الاسماعيلية بنحو ستة آلاف متر جنوب (الخانقاه) ، وفى شرقى قرية المرج بنحو ٣٠٠٠ مترا ، ويقال لها بركة (الجب)» [٢] — ، ثم يقطع الصحراء الى قرب مدينة السويس فى طريق يسمى درب الحج أيضا ، أفاض فى وصفه ووصف الطرق الاخرى التى تقطع الصحراء الى السويس كثير من الرحالة سيما «روبنسن» و «بركهاردت» [٣] ، وينتهى ذلك الدرب فى صحراء السويس عند قلعة (عجرود) ، وكانت محطة هامة الى شمال السويس الحالية بقليل عند بدء الدخول فى شبه جزيرة سيناء .

فاذا جاوزنا برزخ السويس عند رأس الخليج ، فدرب الحج يقطع أول الأمر تلك المساحة المنبسطة الى شرقى السويس ، يصادفه فيها تلك الكثبان الهلالية التى رأيناها تمتد على طول القناة جنوبا ، فيقطعها ليدخل وادى (الحج) ويصل به الى حافة هضبة التيه ، ليدخل الى هضبة التيه نفسها ؛ . وهنالك يلاقيه طريقان آخران يأتيان من السويس : أحدهما يمر ببئر (المر) ويقطع حافة التيه فى ممر (متله) ليأخذ وادى (متله) حتى يلاقى درب الحج ؛ . والثانى يسير من السويس منحرفاً أكثر

(١) راجع كتاب جارفس بك فى الطبعة الثالثة صفحتى ٦ و ٧ .

(٢) راجع الجزء التاسع من الخطط التوفيقية لمصر القاهرة : لعلى باشا مبارك ص ١٦ .

(٣) راجع Edward Robinson, *Biblical researches in Palestine and the adjacent regions* (1867), pp. 34 to 46; Burckhardt, *Syria and the Holy Land* (1882), pp. 459 to 466.

إلى الجنوب ، يمر ببئر (مبعوك) ويقطع حافة التيه بواسطة ممر (الراحة) ليأخذ وادى (العشارى) حتى يلاقى درب الحج أيضا [١] .

تتلاقى هذه الطرق جميعا ، ويأخذ (درب الحج) طريقه فى هضبة التيه المنبسطة التى يكثر الصوان فوق سطحها ، فيقطع فروع وادى (البروك) — أكبر روافد وادى العريش — فى اتجاه يكاد يكون مستقيما حتى يصل الى (نخل) قرب قطعه لوادى العريش . . فاذا جاوز (نخل) أخذ اتجاهه الى الجنوب الشرقى فقطع فروع وادى العريش الشرقية ، واستفاد فى بعض الاحيان منها ، حتى اذا انتهى الى حافة التيه الشرقية ومر (بالثمد) أخذ طريقه بين تلك التلال التى تعين خط التقسيم بين فروع العريش الشرقية وفروع وادى (الجرافى) الذى يصل ماؤه الى منخفض العرابة والبحر الميت ، وهنالك يقطع فروع «الجرافى» ليصل الى (نقب العقبة) القائم فى الصخور النارية ليهبط الى العقبة منه وليستمر بعد ذلك جنوباً الى (مكة) . . .

ويمكن أن نلخص الصعوبات المختلفة التى كان يلاقيها المسافرون فى درب الحج فى النواحى الآتية : —

ا — منطقة الكثبان : التى يصادفها المسافرون بين السويس وهضبة التيه ، وهى منطقة يصعب فيها سير الناس والابل . ولعل صاحب «الرحلة الحجازية» حين يتكلم عن طريق الحج فى سيناء فيصفه بأنه «يسير كله فى ارض رملية ناعمة تسوخ فيها أخفاف الجمال قبل أقدام الرجال» [٢] انما يعنى هذه المرحلة من الطريق أكثر مما يعنى غيرها . . . وربما كانت صعوبة السير فى ذلك الرمل من الاسباب التى دعت إلى وجود طريقين آخرين يقطعان هذه المنطقة من السويس الى الهضبة ويسيران

---

(١) فى كتاب نعيم بك شقير عن سيناء وصف لهذين الطريقين يمكن الرجوع اليه من ص ٢٧٠ الى ٢٧٢.

(٢) راجع الرحلة الحجازية بقلم محمد لبيب البتانونى (١٩٠٩) ص ٣٣ .

طرق القوافل في وسط سيناء

درب الحج
درب الشعوي
طرق أخرى
آبار

جبل يلج
وادي العريش
وادي قريه
وادي الجراف
وادي البروك
بئر جدي
وادي الجدي
جبل جدي
الناطور الثالث
الناطور الثاني
الناطور الأول
وادي الحج
جبل الزرافة
وادي باها
السويس
وادي الأعيدة
جبل الراحه
جبل سومار
وادي صدر
وادي العريش
نخل
بئر سعيد
وادي أبو طريفيه
وادي العقبه
بئر القريص
بئر الثمد
النقب
عقبة أيله
خليج العقبة
خليج السويس

كيلومتر ٥٠ ١٠ ٣٠ ٢٠ ١٠ صفر ٥ ١٠

أكثر انحرافاً الى الجنوب ، لأن الكثبان تقل كلما سرنا إلى الجنوب كما تضيق المسافة التى تشغلها . . وسنجد حين نتعرض لطريق السيارات الذى يتبع الآن درب الحج فى معظم مراحله ، ان رمال الكثبان تغير عليه أحيانا فيتطلب تمهيده شيئا كبيرا من العناء ، الأمر الذى اضطرت معه ادارة سيناء الى أن تبدأ برصفه فى منطقة الرمال .

ب — نقب العقبة : الذى يضطر المسافر الى ان يعبره ليصل الى العقبة ، وهذا الجزء هو أشد أجزاء الطريق وعورة ، ولا يزال حتى الان — كما سنرى — أخطر المناطق فى طريق السيارات الى العقبة . . ولقد اهتم ولاة مصر المختلفون (قلاوون) و (ابن طولون) و (السلطان سليم) . . منذ قيام طريق الحج بتمهيد تلك العقبة ، لكن رغم كل هذا ظلت منطقة وعرة يشير (المقريزى) فى خططه الى «انها عقبة لا يصعد اليها من هو راكب . . . . » [1] ويصورها الذين كتبوا عن طريق الحج تصويرا مخيفا : فهى (دليل الحج للوارد الى مكة من كل فج) «أن المرور من هذه العقبة شديد الصعوبة جدا ، فيلزم كل الحذر فى نزولها وصعودها وخصوصا الصعود ، وقد أجرى تنظيمها نوعا المرحوم عباس باشا ومع هذا فصعوبتها لم تزل شديدة» [2] . . . . (والبتانونى) فى الرحلة الحجازية يتكلم عن العقبة ، فيذكر «ان المسافر يصعد اليها بمنحدر من مسافة طويلة من الغرب حتى يصل الى قمتها ، فاذا أراد أن ينزل الى الجهة الشرقية سار نازلا صاعدا وصاعدا نازلا فى أرض حجرية تارة وأخرى رملية ناعمة وأخرى خشنة زلطية ، الى أن يمر فى مضيق لا يسع الا جملا جملا ويسمى قطع (لاز) ، وطريق هذا القطع حلزونى تقريبا أصلحه أحمد بن طولون و . . و . . . ومع ذلك فان المسافر لا بد أن ينزل عن دابته ويسير على قدمه حتى يقطع

---

(١) راجع الخطط للمقريزى جزء أول ص ١٨٤ .

(٢) راجع دليل الحج للوارد الى مكة من كل فج تأليف محمد باشا صادق صفحتى ١٣ و ١٤.

العقبة فى ست ساعات نزولا وضعفها صعودا[1] . . بل ان (چارفس بك) وهو يتكلم عن طريق السيارات الى العقبة يشعرنا فى صراحة بخطورة هذا الجزء من الطريق حين يصف الهبوط من النقب فى تلك العبارة التى ننقلها عنه فيما يلى : ـ

"The descent should not be attempted unless the brakes are in perfect order and the driver has every confidence in himself and his car. The traveller must also take into consideration the question of whether he will be able to return or not, as not every make of car has sufficient power to climb this very steep ascent" [2].

جـ ـ مشكلة الماء فى كميته ونوعه : فالآبار الموجودة محدودة جدا ، والماء يكاد ينعدم فى المنطقة الصحراوية بين حافة التيه وخليج السويس ، وفى اتساع الهضبة لا نصادف الماء الا حول (نخل) ، وفى بعض آبار متفرقة حول (الثمد) . وهذا الماء لا يشربه الانسان الا مضطراً إذ تقل العذوبة وتكثر الاملاح ؛ . ولا بأس من أن نورد هنا ما كتبه الرحالة (بوكوك) عام ١٧٤٣ عن الماء فى محطات درب الحج ـ كما قصه عليه فيما يقول هو ـ أحد الذين قطعوا الطريق اربع عشرة مرة[3] . . . ، ففى هذا تلخيص جميل لما كتبه غالبية الرحالة الآخرين عن حالة الماء فى هذا الطريق:

المحطة	الماء ونوعه	تاريخ وصوله	المحطة	الماء ونوعه	تاريخ وصوله
١ ـ بركة الحج	بحيرة	بدأ فى ٢٧ شوال	٦ ـ نخل	ماء يورم الجسم	٤ القعدة
٢ ـ الدار الحمراء	ليس بها ماء	٢٨ »	٧ ـ اللحابة	ماء يصلح لشرب الحيوان	٥ »
٣ ـ قلعة عجرود	ماء ردىء	٣٠ »	٨ ـ محطة سماها		
٤ ـ النواطير	لا ماء	أول القعدة	Soot	لا ماء	٦ »
٥ ـ وادى التيه	» »	٢ »	٩ ـ العقبة	ماء كثير حسن	٩ »

(١) راجع الرحلة الحجازية بقلم محمد لبيب البتانونى ص ٣٤ .

(٢) راجع Jarvis, *Yesterday and Today in Sinai* p. 204

(٣) راجع Richard Pococke : *A Description of the East and Some other Countries* (1743) p. 265.

حقيقة ان الولاة فى الفترات المختلفة قد اهتموا براحة الحجاج ، فحفروا آبار (نخل) وركبوا عليها ساقية تملأ أحواضاً تسع ٣٠٠٠ قربة ، كما حفروا بئر (أم عباس) قرب وادى (القريص) ، وبعض آبار أخرى متفرقة ، لكن ذلك لم يزل صعوبة الماء وان تغلب على جانب من المشكلة . . ولذا ظل الكتاب حتى الأيام الاخيرة يشيرون الى هذه العقبة فى درب الحج . . . وفى أثناء الحرب الماضية حين توقع الانجليز هجوم الأتراك على القناة بطريق سيناء أجمع قوادهم على استبعاد طريق (نخل) وهو من الطرق التى يحتمل أن تهاجم القنـاة منها ، وكان اساس ذلك هو تعذر توافر الماء لعدد كبير . . وفى الخطاب الذى أرسله (السير مرى) الى القيادة العليا للجيش البريطانى ، والذى أشرنا اليه أكثر من مرة ، نجده يصرح بهذا ، ويرى ان ذلك الطريق فى أشهر الحر لا يمكن أن يتجمع فيه أكثر من ١٠٫٠٠٠ شخصا ، يضطرون إلى حمل الماء لمسافات بعيدة[1] .

ويصح أن نشير الآن الى المراحل التى تعرض لها الرحالة فى الفترات المختلفة وهم يقطعون سيناء من وسطها ، لنرى الى أى حد يتفق سير الدرب أو يختلف ، ولنحاول فى تلك المقـارنة أن نحقق الأسماء التى وردت فى كتابة الرحالة المختلفين بقدر الامكان . . . وأقدم معلوماتنا عن طرق وسط سيناء مستمدة من خريطـة (بويتنجار) فى القرن الثالث الميلادى ، ثم تكثر اشارات جغرافيى العرب فى العصور الوسطى الى محطات هذا الطريق ، لكن كتاباتهم كلها مقتضبة لا تعطينا صورة واضحة عن مراحل الطريق تماما . ونحن فى الحقيقة مدينون بتفاصيل هذا الطريق الأوسط الى كاتبين متقاربين جداً فى الكتابة ، يعتبران بحق رواد هذا الجزء من سيناء : أحدهما المؤرخ التركى حاجى خليفه (Haji Chalfa) الذى رحل من القاهرة الى مكة عبر هذه المنطقة عام ١٦٥٨ ، والثانى هو الرحالة الفرنسى (Thevenot) الذى رحل

(١) راجع تاريخ الحرب العظمى (الجزء الأول الخاص بمصر وفلسطين) صفحة ١٧٢ .

طرق السيارات الحالى عن جارفس بك ١٩٣٠	روبنسن فى كتابه أبحاث انجيليه جزء اول صفحة ٥٨٧ ١٨٦٧	رويل عن رتر صفحتى ٤٦ ، ٤٧ و قبل صفحة ١١٦ ١٨٢٢	بركهاردت عن رتر صفحة ٤٤ و قبل صفحة ١١٦ ١٨١٦	بوكوك فى كتابه وصف الشرق صفحة ٢٦٥ ١٧٤٣	توماس شو عن رتر صفحة ... و قبل صفحة ... ١٧٢١	[illegible] عن ... صفحة ٤٢ و ... صفحة ١١٦ ١٦٥٨	حاجى خليفه عن رتر صفحة ٤٢ و قبل صفحة ١١٦ ١٦٥٨	الادريسى فى نزهة المشتاق (صفة المغرب وأرض السودان ومصر) طبع ليدن صفحة ١٦٣ القرن الثانى عشر	جغرافيو العرب فى القرن العاشر الميلادى أمثال قدامه و ابن رسته و المقدسى و ابن خرداذبه: المقدسى فى احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم طبع ليدن صفحة ٢١٥ القرن العاشر	جغرافيو العرب: ابن خرداذبه فى المسالك و الممالك طبع ليدن صفحة ١٣٩ حوالى عام ٩٠٠م	TABULA PEUTINGAR الخريطة المرفقة بكتاب كامرر عن النبط القرن الثالث
شط السويس	عجرود	عبر المستنقعات القريبة من رأس خليج السويس	عجرود	قلعة عجرود	عجرود	... عجرود	عجرود	عجرود	عجرود	عجرود	قلزم Clysma
وادى متله	النواطير	وادى الحج	روس النواطير	النواطير	راس النوا...	...نواطير	روس النواطير				Medeia (Medileh)
							عيون موسى				
							المنصرف	الدوينه أو الريثه	المدينة	الدنبه	
							القبيبات				
التيه	جبل حسن		وادى التيه	وادى التيه	وادى التي...	Rastagay...	وادى التيه				
نخل	نخل	نخل	قلعة نخل	نخل	قلعة Nahor	...نخل	بطن نخل				
التمد	وادى القريص	التمد					القريص	الكرسى	الكرسى	الكرسى	
				العاليه	العاليه	ابيار العاليه	ابيار العاليه				
							ملاح (قرب عراقيب البغله)				
							راس الركب (قرب الحفرات)	الحفر	الحفر	الحفر	Pharo
نقب العقبة	رأس النقب	رأس السطح	سطح العقبة	سطح		...ح العقبة	سطح العقبة	منزل		منزل	
العقبة	العقبة	العقبة	قلعة العقبة	العقبة	قلعة العق...	...لعة العقبة		ايله	ويله	ايله	Aila

فى نفس العام من «السويس» . . هذان الكاتبان هما اللذان سهلا مهمة من تبعهم من الرحالة أمثال (Shaw — ١٧٢١) و (Pococke — ١٧٣٨) و (بركهاردت — ١٨١٦) الخ[1] .

وفيما مرّ مقارنة المحطات التى وردت فى كتابة الرحالة القدماء والحديثين ، رجعنا فيها الى ما أمكن الحصول عليه من كتبهم ، واستفدنا فى الجزء الباقى مما لخصه (Weill) فى كتابه عن سيناء[2] ، الذى هو فى الحقيقة نقل لتلخيص (Ritter) فى الجزء الاول من كتابه[3] .

تلك هى كتابة الرحالة المختلفين منذ القرن الثالث الميلادى — حيث وصلتنا أقدم الكتابات عن طرق وسط سيناء — ، حتى منتصف القرن التاسع عشر ، وهو آخر عهد ازدهار المرور فى ذلك الطريق ، اذ تحول طريق الحج بعد ذلك الى طريق البحر الذى كان ينتهى الى جدة ثغر الحجاز ، قارنا الطريق فيها بطريق السيارات الحالى الذى يقطع وسط سيناء بين شط السويس والعقبة . . . ومن هذه المقارنات يمكن أن نخرج بملاحظات كثيرة أهمها ما يلى : —

(١) إن بداية الطريق ونهايته لا نكاد نجد خلافا جوهريا بين الكتاب عليها ، فالطريق يبدأ فى الغالب من (عجرود) الى شمال السويس بساعات : ليتفادى بذلك المستنقعات التى اضطر (روبل) الى أن يعبرها عند رأس خليج السويس ، والتى أشار إليها (روبنسن) بالتفصيل فى كتابه[4] . وحتى لا يضطر الآن من

---

(1) راجع Ritter : *The Comparative Geography of Palestine and Sinaitic Pen.* (Translated by Willion Gage) 1861, V. I, pp. 42-43.

(2) راجع Raymond Weill : *La Presqu'île du Sinaï* (1908) p. 116.

(3) راجع كتاب (رتر) ؛ الجزء الأول من صفحة ٤٢ الى ٥٠

(4) راجع E. Robinson : *Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions* (1867), pp. 48-49.

القاهرة فى الصحراء الى أن يسير جنوبا الى السويس ثم يعود فيسير ثانية الى الشمال ليصل الى وادى الحج ، مبدأ الطريق فى صحراء سيناء . . ومن أجل ذلك قامت قلعة (عجرود) وحفر بئرها ، ليكون فيها حامية تحمى الطريق عند دخوله فى شبه الجزيرة وليتمكن المسافرون من أن يتزودوا بالماء وان لم يكن يصلح للشرب كثيرا . . . و (القلزم) — Clysma — التى وضعتها خريطة (بويتنجار) على رأس خليج السويس يختلف كثيرا فى تعيين موقعها ، والجدل فى تحقيق مكانها بالضبط لا يزال قائما بين الكتاب والعلماء الاركيولوجيين[1] .

أما نهاية الطريق فقد اختلفت تسميتها وان ظل الموقع واحدا تقريبا ؛ . ذلك أنه منذ القدم قامت على نهاية خليج العقبة نقطة كان لها من الأهمية التجارية ما يقرب من أهمية مثيلتها على رأس خليج السويس ، كانت بوجه خاص منفذا لسفن «سليمان» الى (أوفير) بلاد الذهب ، يتفرع منها طرق مختلفة الى بلاد الشام استفادت من منخفض العرابة والبحر الميت ووادى الأردن ، وطرق أخرى الى مصر أهمها ذلك الطريق الاوسط الذى نحن بصدده ، وطريق الى بلاد العرب يستمر حتى الجنوب . . وقد اختلفت تسمية هذه النقطة من فترة الى أخرى كما اختلف موقعها فى بعض العصور وان كان اختلافا غير جوهرى[2] : فهى التى عرفت فى كتب اليهود باسم (عصيون جبير Ezion Geber) ، وهى التى أطلق عليها (بلينى) اسم (Laena) ، ثم حرفت هذه التسمية فاطلق عليها الرهبان حوالى القرن السادس اسم (Ailea) الذى كان كتاب العرب يعرفونه تماما ويطلقونه عليها فى كتبهم ؛ . واذا كان (المقدسى) قد شذ فسماها فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم» (ويله) فانه لم يغفل اسم (ايله)

---

(1) يمكن الرجوع الى (كاترمر) حين يتكلم عن القلزم ، فهو يناقش الآراء المختلفة ويتحدث فى اسهاب عن موقع المدينة ، وهو مالا يدخل فى صلب بحثنا حتى نهتم كثيراً بمناقشته .

(2) Et. Quatremère : *Mémoires géographiques et historiques sur l'Égypte et sur quelques contrées voisines,* V. I. pp. 151 to 187.

وانما ذكر أن هذه التسمية « يطلقها عليها العام »[1] . . . أما كلمة « العقبة » فقد ظهرت أولا مضافة الى (ايله) ، فكان يقال (عقبة ايله) ، ثم غلبت على الاسم القديم منذ القرن السابع عشر ، وأضيفت اليها أحياناً كلمة (قلعه) نسبة الى الحصن الذى كان قائما فيها ، والذى اهتم به بوجه خاص (صلاح الدين الأيوبى) فى صراعه على العقبة ضد الصليبيين ، ومن المحتمل جدا أن هذه التسمية انما أخذت من صعوبة (النقب) الموصل الى رأس الخليج والذى كان عقبة حقيقية لا يتغلب المسافرون عليها بسهولة .

(٢) ان اسم (نخل) لا يظهر فى الجدول قبل كتابة (حاجى خليفه) حوالى منتصف القرن السابع عشر ، لكن ينبغى أن نكون حريصين فى ارجاع وجود تلك المحطة الى ذلك التاريخ المتأخر ، فالغالب أن طريق الحج منذ قطع وسط سيناء وتحول عن طريق عيذاب والقصير فى منتصف القرن الثالث عشر كان يمر بتلك النقطة ، لكن لعل أهميتها كمحطة رئيسية انما برزت بعد الفتح العثمانى لمصر ، حين اهتم سلاطين الترك بها ، وحين بنيت فيها قلعة لتأمين الطريق فى منتصف المسافة بين نهايتيه فى شبه الجزيرة ، تلك القلعة التى يضيفها الى اسم « نخل » كثير من الكتاب .

(٣) ليس من السهل أن نحقق الأسماء التى أوردها جغرافيو العرب ، فهم ــ كما سبقت الإشارة ــ لم يتركوا لنا شيئاً من المعلومات تسهل علينا هذه المهمة ، وانما اكتفوا بأن يعدوا تلك المحطات عداً . . لكن يوقفنا منها هذه المحطة التى سماها (الادريسى) (الدوينه أو الربيثه) ، فعندنا فى تلك الوديان التى تنحدر من حافة التيه الغربية واد يضيع فى الرمل قبل أن يصل خليج السويس يعرف باسم (الربينه) ، يقطع

---

(١) راجع « أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم » للمقدسي طبع ليون ١٩٠٦ ص ١٧٨ وراجع فى صفحة ١٧٩ اشارة قد تفيد فى الخلاف الذى كان قائما على ملكية العقبة اذ يقول « وفى ويلة نزاع بين الشاميين والحجازيين والمصريين كما فى عبادان ، واضافتها الى الشام أصوب لان رسومهم وارطالهم شامية . . . . »

حافة التيه ويؤدى الى (عين صدر) الشهيرة بمائها فى الطريق الثانى الذى يقطع وسط التيه ، والذى يغلب أن يكون صلاح الدين قد اتبعه الى العقبة وبنى بقرب تلك العين قلعة لا تزال آثارها باقية الى الآن . . فإذا صح انطباق هذه التسمية على ما ذكره (الادريسى) ، واعتبرنا المحطة التى سماها « ابن خرذاذبه » (الذنبه) تحريفا (للربينة) كان معنى ذلك ان الطريق الى العقبة فى القرن الثانى عشر وما قبله انما كان يسير الى الجنوب أكثر من درب الحج الذى وصفناه ، ولعله يتفق أكثر مع الطريق الثانى الذى سنتكلم عنه بعد قليل .

أما محطة (الكرسى) ــ أو (الكريسى) فى بعض الكتابات ــ فالغالب انها تتفق مع اسم (القريص) فرع وادى (العقبة) أحد روافد وادى العريش الشرقية ، وهى محطة ذكرها (حاجى خليفه) بهذا النص الأخير كما ذكرتها الكتابات الأخيرة عن محطات درب الحج[1] . . . واما (الحفر) التى تذكر بعد الكرسى من ناحية العقبة ، فلعلها مكان الجفرات التى ذكرها (حاجى خليفه) سابقة لمحطة رأس العقبة ، والتى جاءت فى (الخطط التوفيقية) سابقة لمحطة نقب العقبة أيضا وفسرها صاحب الخطط « بأنها اسم لحفائر فى الطريق »[2] . . . ولعل من المفيد ان نذكر هنا ما ذهب اليه Weill من أن (الحفر) هذه قد تتفق مع Phara التى جاءت فى خريطة (پويتنجار) سيما وأن (فارا) هذه تظهر على الخريطة الرومانية قريبة من رأس خليج العقبة أى فى المنطقة التى تقع فيها (الجفرات) .[3]

(٤) هناك اتفاق على المحطة التالية (لعجرود) من منتصف القرن السابع عشر ، فهى (النواطير) ، اما الخلاف فى رسم الكلمة فى كتابات الرحالة المختلفين فأساسه

---

(١) راجع الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك الجزء التاسع ص ٣٣ .
و « الرحلة الحجازية بقلم محمد لبيب البتانونى ص ٣٤ .
(٢) راجع الخطط التوفيقية الجزء الرابع عشر صفحة ١٠ .
(٣) راجع Raymond Weill : *La Presqu'île du Sinaï* (1908), p. 116.

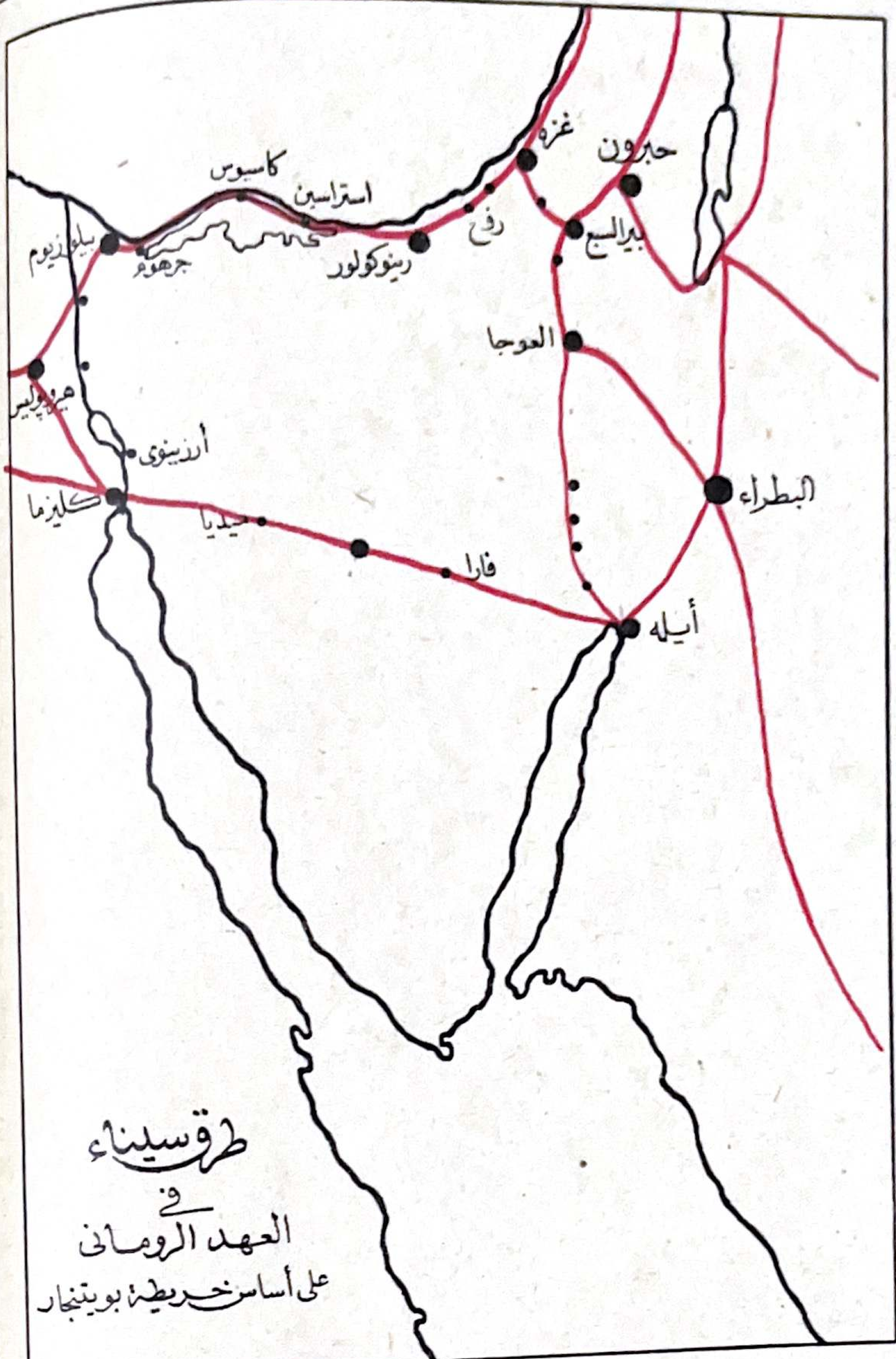
أنهم كانوا يجهلون اللغة العربية ، ومن الصعب اذا أن يتبينوا لهجة البدو ليكتبوا الكلمة صحيحة . أما تلك (النواطير) فأبنية عالية تشبه طواحين الهواء ، أقيم منها ثلاثة فى الطريق تسهل الدخول فى هضبة التيه من ناحية السويس ، يهتدى بها المسافر فلا يضل طريقه فى ذلك المتسع المتشابه من الرمال بين السويس وهضبة التيه[١] ؛ كذلك يمكن أن نقول إن المحطة السابقة (لايلة أو العقبة) هى (نقب العقبة) ، أطلق عليها جغرافيو العرب اسم (المنزل) ، وسماها بعض الكتاب (رأس العقبة) ، وكتبها كتاب آخرون باسماء محرفة من الصعب أن نتبينها وان رأيناها كلها تشير الى هذا المكان من الطريق .

(٥) بقى أن نشير الى محطة (Medileh أو Medeia) التى جاءت فى خريطة (پويتنجار) بعد محطة (Clysma) ناحية السويس ، وهذه المحطة تظهر فى الخريطة التى نقلها (كامرر) فى كتابه عن «البطراء والنبطيين» بين نخل والسويس ، ولعلها تقع على مدخل التيه فى أحد الممرات التى تقطع حافتها الغربية ، سيما وأن هناك آثاراً ظاهرة فى خريطة المساحة على مدخل التيه بطريق (وادى الحج) ، لو أثبتت الدراسات أنها آثار رومانية لكان فى هذا ما يحتمل معه وجود إحدى محطات ذلك الطريق عندها ، ولما بعد أن تكون هى محطة (Medeia) نفسها . . ويحسن أن نشير هنا أيضا الى أن (Weill) يضع هذه المحطة فى وادى (متله) أحد الوديان التى تنحدر على حافة التيه الغربية ناحية خليج السويس ، ويرى أن الاسمين متفقان تماما[٢] . . . واذا كنا لا نتعرض لكلام (Weill) بنقض أو تأييد ، فكل ما يمكن

---

(١) راجع الرحلة الحجازية ص ٣٣ .

(٢) راجع (Weill) فى كتابه عن شبه جزيرة سيناء صفحة ١١٦ ، وراجع خريطة مصر فى الفترة الرومانية التى طبعتها مصلحة المساحة المصرية لترى أنها تضع هذه المحطة مكان تفرع الطريق الحالى الى نخل والحسنة ، وتجعلها أيضا نقطة تفرع طريقين أحدهما الى (ايلة) والآخر الى بلاد الشام .


غزة
حبرون
كاسيوس
استراسين
رفح
بيلوزيوم
جرهوم
رينوكولور
بئر السبع
العوجا
أرزينوى
كليزما
البطراء
فارا
أيله
طرق سيناء
فى
العهد الرومانى
على أساس خريطة بويتنجار

أن يؤخذ عليه انما هو تأكيد ذلك التحقيق الذى رآه بمجرد وجود التقارب بين التسميتين ، اذ كان الأسلم ان يترك الأمر مرجحا ، بدل ذلك الجزم الذى لا يستند على الدراسة الاركيولوجية التى تستطيع وحدها أن تكون أساساً متيناً لتحقيق المحطات .

ويمكن أن ننهى الكلام عن درب الحج بوصف مختصر لطريق السيارات الذى يقطع سيناء فى وسطها بين السويس والعقبة ثم الى البطراء ، وسنراه يتبع طريق الحج فى كثير من أجزائه ، يسهل حيث كان يسهل سير القافلة ، ويصعب حيث كانت القوافل تجد الدرب صعباً . . . وسنعتمد فى ذلك الوصف على ما كتبه (چارفس بك)[1] . . . فى كتابه عن سيناء ، وعلى تقرير محفوظ بمصلحة الحدود المصرية كتبه (القائم مقام هاتون بك) فى أواخر عام ١٩٣٠ عن الطريق بين الشط والعقبة : —

تعبر السيارات قناة السويس عند «الكوبرى» الى شمال مدينة السويس بخمسة أميال ، ثم تسير جنوبا الى (الشط) لتتجه منه شرقاً فى الصحراء ؛ ويقطع الطريق فى تلك الصحراء الممتدة بين السويس وحافة التيه ٢٥ كم متتبعاً (وادى الحج) فى معظم سيره ، فى سطح مهد بالطين على أساس حجرى لا يعوقه إلا رمال الكثبان حين تسفيها عليه الرياح والذى لم تجد معه مصلحة الحدود بدأ من أن تعمل على رصفه لتتخلص بهذا من مشكلة الرمال ، . . ويدخل الطريق هضبة الراحة من ممر (متله) ، فى انحدار ١ — ٧ ، وهو ممر عملت مصلحة الحدود كثيرا فى تمهيده حتى أصبح الآن ميسراً لسير السيارات[2] ، ليهبط منه بعد كيلومترين فى وادى (صدر الحيطان) ، نهاية وادى الحج ، فاذا دخل درب الحج فى هضبة التيه ، تفرع منه فرع إلى «الحسنة» ليصل الى «بئر السبع» أو الى مدينة العريش ، وسار طريق السيارات فى

---

(١) راجع كتاب (چارفس بك) فى الفصل ١٧ من صفحة ٢٩٢ الى ٣٠٩ ، ولاحظ الخريطة التى رسمها لبيان طرق السيارات فى آخر الكتاب .

(٢) راجع تقارير مصلحة الحدود السنوية ، فى السنوات الأخيرة لترى مقدار ما عمل فى هذا الممر من اصلاحات .

سطح جامد لا يصعب السير فيه ولا يتطلب حذراً الا فى قطع الوديان الكثيرة التى تأتى من حافة التيه قاطعة الهضبة لتصل الى وادى العريش ، فاذا وصل (نخل) تبع طريق الحج أيضا الى (الثمد) ، فى أرض تشبه الأرض السابقة ، وان وجد فى بعض أجزائها ما يجعل السير السريع فيها صعبا . . ومن (الثمد) يترك طريق السيارات طريق الحج ، ليقطع وادى (الجرافى) وفروعه الى (الكنتلا) حيث يلاقى طريق السيارات الآتى من العريش على طول حدود سيناء الشرقية ؛ . وتعتبر الكنتلا احدى النقط الحربية التى تنبأ لها (چارفس بك) بمستقبل حربى هام ، والتى يصفها بأنها تشرف على سهل ممتد حولها ، وتتمتع بماء عذب لا يتوافر فى المناطق الأخرى المجاورة لها[1] . . . ثم يسير الطريق إلى جنوب (الكنتلا) ليصل إلى العقبة بعد أن يمر بنقب العقبة الذى أشرنا الى وعورته رغم ما تقوم به مصلحة الحدود من اصلاحات فيه . . .

وأما (درب الشعوى) : وهو الطريق الجنوبى فى وسط سيناء ، فالمعلومات عنه قليلة جداً مما يدل على أن أهميته فى المرور كانت أهمية محدودة لا يمكن أن تقارن بأهميـة (درب الحج) ، لكن المرجح أنه استخدم قبل درب الحج ، وأن جيوشاً كجيوش (صلاح الدين) قد سلكته أثناء حروبه مع الصليبيين . . . وإذا صح ما يذكره (نعيم بك شقير) — الذى كانت له فرصة الاختلاط بالبدو أثناء وجوده فى شبه الجزيرة والذى بنى معلوماته على ما قصه عليه شيوخهم المسنون — من أن (درب الشعوى) هو أقدم الطرق الى نقب العقبة عهداً[2] ، فان الطريق الذى يتحدث عنه جغرافيو العرب فى القرن الثانى عشر وما يسبقه — أى قبل قيام طريق درب الحج — إنما يقصد به درب الشعوى هـذا ، سيما وأنا قد رأينا أن المحطة التالية لمحطة (عجرود) يكتبها (ابن خرذاذبه) «الذنبه» ، ويكتبها الادريسى «الدوينه» أو «الربيثة» فى حين

(1) راجع كتاب (چارفس بك) صفحة ١٤ .

(2) راجع كتاب نعيم بك شقير عن شبه جزيرة سيناء صفحة ٢٦٥ .

أننا نجد على الخريطة وادى «الربينة» يتصل بدرب الشعوى فى هضبة الراحة ، ولعل الاختلاف فى الأسماء راجع إلى عدم الدقة فى نقل رسم الحروف أكثر مما هو راجع الى اختلاف المكان[1] ؛ . ولعل مما يقوى ذلك الاحتمال أننا لا نجد فى كتابة أولئك الرحالة اسماً لمحطة فى الطريق تشعرنا بأنه كان يسير مكان درب الحج ، كما أن باقى المحطات التى يذكرونها نستطيع أن نتلمسها على طول درب الشعوى نفسه .

يبدأ هذا الدرب كما يبدأ درب الحج ، فيقطع المنطقة الصحراوية التى تصادفنا الى شرق السويس ، ويستفيد من وادى الراحة فى قطع هضبة الراحة ، ليدخل أرض التيه شمالى «عين صدر» حيث توجد آثار قلعة لعلها بنيت لحماية ذلك الطريق . . وفى هضبة التيه يسير الدرب فى ذلك السطح الجامد شرقاً ، قاطعاً أعالى فروع (البروك) أولا ، ثم يقطع وادى العريش نفسه شمال بئر «أم سعيد» بقليل ، فروافد العريش الشرقية — أبى طريفيـة ، ووادى الرواق ، فالفيحى ، فوادى القريص — حتى يصل الى (الثمد) ، ثم يستفيد من وادى (الشعيرة) ، ويسير معه قليلا ليتفرع إلى فرعين أحدهما يسير الى الجنوب الشرقى حتى ينتهى الى جزيرة فرعون ، والآخر يستمر شرقاً حتى يلتقى بدرب الحج عند (نقب العقبة) . .

وإذا كان درب (الحج) يفضل (درب الشعوى) فى أنه أسهل منه ، وكانت المسافة فيهما متقاربة تقطعها الابل فى ستة أيام ، فان الميزة التى تميز هذا الطريق عن سابقه ، وتجعل بدو التيه الجنوبى يتخذونه الى السويس منذ القدم حتى الآن ، تنحصر فى أنه أغنى فى الماء والمرعى ، تستقى القوافل فيه من بئر مبعوك على مدخل هضبة التيه ، ومن عين صدر على مدخل التيه ، ثم من بئر أم سعيد ، وبئر القريص والثمد وما بعدها ، واذا فقد كانت القوافل تستغنى فى درب الشعوى عن أن تحمل ما يلزمها من علف وماء . . . .

(1) راجع فى الجدول السابق المحطات التى ذكرها ابن خرذاذبه والمقدسى والادريسى .

البحر الشرقى من القلزم الى الحجاز وجده ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدار صينى وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحى حتى يرجعون الى القلزم ثم يحملونه الى الفرما ثم يركبون البحر الغربى ، فربما عدلوا بتجاراتهم الى القسطنطينية فباعوها الى الروم وربما صاروا بها الى ملك الفرنجة فيبيعونها هناك[1] » . وكلام (ابن خرذاذبه) أيضاً ليس فيه تحديد للطريق من الفرما الى القلزم ، لكن لعل ذلك الطريق كان يقطع برزخ السويس ، ويكون ذلك الطريق البرى الذى يشير اليه هذان الكاتبان اذاً حلقة فى سلسلة وسائل الاتصال بين البحرين الأبيض والأحمر ، ذلك الاتصال الذى كان يتم بطرق مختلفة انتهت فيما نعلم بحفر قناة السويس.

وهناك كثيرون من جغرافيى العرب يشيرون الى أن القلزم لم تكن ميناء مصر فحسب ، بل كانت أيضاً ثغر بلاد الشام ؛ بهذا أشار (ياقوت والاصطخرى والمقريزى و . . و . . . .) الخ[2] . ومعنى هذا أنه يحتمل أن قد كان هنالك طرق برية تأتى من الشام قاطعة شمال سيناء ، أشرنا اليها فى الكلام على الطريق الجنوبى من المجموعة الشمالية ، كانت تحمل حاصلات الشام الى القلزم ، وحاصلات الحجاز واليمن الى الشام . . . وعلينا أن نتذكر هنا ما سبق ان ذكرناه عند الكلام على تطور أهمية ميناء الطور ، من أنها كانت تنافس ميناء (القلزم) فى مرور التجارة فى بعض الفترات التاريخية ، ففى مثل تلك الأوقات كانت تحل الطور محل القلزم كميناء تخرج منها تجارة الشام الى اليمن والحجاز ، وتمر بها تجارة تلك الجهات الى بلاد الشام.

وأما الطريق البرى الذى يكاد يمس حدود سيناء الشرقية ، فالذين كتبوا عن النبط ومدينة البطراء يذكرون أن من بين الطرق التى تربط بين خليج العقبة والبحر

(1) راجع المسالك والممالك تأليف ابى القاسم بن عبد الله بن خرذاذبه طبع ليدن ١٣٠٦ ﻫ صفحتى ١٥٣ و ١٥٤ .

(2) راجع ياقوت . الجزء السابع تحت كلمة القلزم صفحتى ١٤٥ و ١٤٦ .
و راجع الخطط للمقريزى تحت كلمة القلزم فى الجزء الأول صفحة ٢١٣ .
و راجع المسالك والممالك للاصطخرى تحت كلمة القلزم ص ٣٣ .

ويصح قبل أن ننتقل إلى المجموعة الجنوبية أن نشير الى أنه كانت هناك عدة طرق تأتى من الشمال لتلاقى الطريق الأوسط فى سيناء وقد تتجاوزه الى الجنوب ، بعضها كانت تتخذه تجارة البحر الأبيض سبيلا لها الى البحر الأحمر بطريق خليج السويس ، . منها ما كان يحاذى حدود شبه الجزيرة من الشرق لينتهى الى خليج العقبة ، . ومنها ما كان يربط بلاد الشام بمنطقة (سانت كاترين) حيث كان يحج كثير من المسيحيين.

أما من البحر الأبيض فقد أشار (پلينى) الى أن المسافر من البحر المصرى (يقصد البحر الأبيض) الى البحر الأحمر يأخذ البر ، وأن البحرين يربطهما ثلاثة طرق مستقلة : أحدها يبدأ من (پيلوز) قاطعاً الصحراء فى أرض رملية لا يعرفها الإنسان إلا بعلامات قائمة بين مرحلة وأخرى ، يهتدى بها المسافر حين يهب الهواء فتضيع معالم الطريق ، . . والثانى يبدأ على بعد ميلين من جبل (كاسيوس) — القلس — يقطع الصحراء التى يسكنها عرب الـ Autéens ويتصل بالطريق السابق بعد ستين ميلا ، والثالث يبدأ من Gerrha[1] (لعلها المحمدية الحالية) ، وهو طريق صعب لا ماء فيه ، وكل هذه الطرق تنتهى الى طريق واحد يصل أخيراً لى Arisonoé قرب رأس خليج السويس[2] . . وكتابة (پلينى) وإن كانت صريحة فى وجود هذه الطرق ، إلا أنه ليس بها من المعلومات ما يمكننا من أن ندخل فى شئ من تفاصيل تلك الطرق التى لا نصادف فى كتابة الجغرافيين القدماء عنها شيئاً كثيراً . و (ابن خرذاذبه) الذى كتب حوالى بدء القرن العاشر الميلادى يشير إلى طريق يسلكه التجار بين الفرما والقلزم ، حين يتكلم عن (مسلك التجار اليهود الرذانية) فيقول «إنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً يجلبون من المغرب الخدم والجوارى والغلمان والديباج وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ، ويركبون من فرنجة فى البحر الغربى فيخرجون بالفرما ، ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم ، وبينهما ٢٥ فرسخا ، ثم يركبون

(1) راجع فى هذا الفصل موقع هذا الموضع .

(2) راجع أطلس البرنس يوسف كمال . الجزء الأول (قبل بطليموس) فى ظهر صفحة ٩٧ .

الأبيض ، طريقاً يبدأ من (أيله) ، يسير إلى غربى منخفض العرابة والبحر الميت ، وينتهى عند (رينوكولورا) — العريش — على مصب (نهر مصر) الذى نعرفه الآن باسم وادى العريش[1] . طريقاً يقول عنه (استرابون) إن القوافل بين (البطراء) ومصر كانت تتبعه غالباً ؛ . . ويوجد الآن على حدود سيناء الشرقية طريق حسن للسيارات يتوافر الماء فيه ، يأتى من «العريش» الى «القصيمة» ليصل إلى «الكنتلا»[2] ، ويمكن أن ينتهى الى العقبة أو البطراء . . . وطريق السيارات هذا يستفيد فى بعض أجزائه — كما كان يستفيد طريق القوافل قبله — من الوديان التى تنصرف الى وادى العريش من جهة والوديان التى تنصرف الى وادى «الجرافى» من ناحية أخرى .

ثم يبقى الطريق الذى كان يسلكه الحجاج المسيحيون الى «دير سانت كاترين» فى القرن ١٥ و ١٦ ؛ وقد كان يأتى من غزه ، يقطع هضبة التيه ، ويستفيد من روافد وادى العريش حتى إذا أتى حافة التيه الجنوبيـة قطعها من نقب (المريخى) أو (الراكنه) ليصل الى (دبة الرملة) ، وليأخذ الوديان فى المنطقة الجبلية الجنوبية إلى دير سانت كاترين[3] .

ثالثاً : المجموعة الجنوبية :

ويقصد هنا هذه الطرق التى تقطع منطقة الجبال النارية فى ذلك المثلث الذى تبلغ جبال سيناء فيه أشد ارتفاعها ، والذى تتعمق الوديان فيه على شكل خوانق تعلو جوانبها علواً كبيرا . . . وسنرى أن هـذه الطرق تستفيد جداً من تلك الوديان الهامة التى ذكرناها فى جنوب سيناء ، فهذه هى التى تعين سير الطرق تعييناً تاماً لا شذوذ فيه إلا

---

(1) يمكن الرجوع فى دراسة الطرق التى كانت تربط بين البحر الأبيض وخليج العقبة الى كتاب (Ritter) فى الجزء الأول منه صفحة ٢١ وما بعدها أما الطريق الذى نشير اليه فقد ذكره
A. Kammerer : *Pétra et la Nabatène* (1929), p. 56.

(2) راجع Jarvis : *Yesterday and Today in Sinai*, p. 301.

(3) راجع E. Robinson : *Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions* (1867), Appendix, p. 601.

فى المنطقة الساحلية الرملية المحصورة بين هذه الكتل الجبلية وبين البحر ، فانها هنالك تسير فوق الرمل ، وتقطع مصبات الوديان الآتية من خطوط التقسيم الداخلية لتضيع فى المنطقة الرملية كما هو الحال فى سهل «القاع» «والمرخاء» بشكل خاص .

وتأتى أهمية هذه المجموعة — كطرق للمرور فى سيناء — فى الدرجة الأخيرة بين طرق شبه الجزيرة كلها لأسباب أهمها : —

١ — وعورة مسالكها وصعوبة السير فى أجزاء كثيرة منها ، لانتشار الكتل الصخرية فى الوديان ، تلك الكتل التى تنفصل عن الجبال والتى تعجز مياه السيول عن أن تدفعها أمامها فتتركها عقبة فى الطريق . . . . ولصعوبة الانتقال من واد إلى آخر وقطع الخطوط الفاصلة بينها ، فما يتم ذلك إلا بما يسمية البدو (النقوب) ، وما هذه إلا مسالك وعرة على جوانب الجبـال ، تصل بين أعالى الوديان ، يسير الانسان فيها فى طريق ملتو حتى يصل القمة ثم يهبط على الجانب الآخر بنفس الصعوبة ، وكثيراً ما يستحيل أن تسير الإبل المحملة فى مثل هـذه النقوب ، ويتعذر على الراكب أن يظل راكباً بل يضطر إلى أن يترجل ليقود دابته بنفسه فى ذلك الانحدار الشديد . . . وكان وجود الرهبان فى تلك المناطق الجبلية فى سيناء داعياً إلى أن يبذلوا مجهوداً كبيراً فى تمهيد هذه النقوب كما نرى فى نقب (هوى) — الذى يصل بين وادى «سلاف» رافد فيران وبين الدير — ، ونقب (حبران) فى أعلا وادى «حبران» ونقب (الطرفاء) فى طريق الطور إلى الدير بواسطة وادى «عسلة» — و . . و . . الخ ، لكن رغم كل هذا لا تزال الصعوبة قائمـة يعانى منها المسافرون فى بعض تلك النقوب عناء كبيرا . . . .

٢ — إن جهات آسيا التى يمكن أن يصل إليها الانسان من مصر بواسطة طرق المجموعة الجنوبية ليست غنية بدرجة يمكن أن تقوم معها حركة تجارية تغذى هذه الطرق . . كما كانت تجارة النبط فى (البطراء) — وما يصل اليها من تجارة الشرق بطرق بلاد العرب البرية المختلفة — لا تجد داعياً يدعوها إلى أن تطيل على نفسها المسافة

فتسير من رأس خليج العقبة جنوباً فى تلك الوديان الطويلة المتعرجة ، ثم تعود فتسير شمالاً الى رأس خليج السويس فى طريقها إلى مصر ، بل كانت مثل هذه التجارة — التى كانت قائمة لحد ما قبل اكتشاف الرياح الموسمية فى القرن المسيحى الأول — تأخذ طريق الوسط بصفته أكثر استقامة وأقرب بين الخليجين ، أو تسير شمالاً لتأخذ طريق الساحل المطروق . . . حقيقة إن المنطقة الجبلية الجنوبية أغنى بمرعاها ومائها من المنطقة الوسطى ، مما قد يكون داعياً إلى أن تفضلها القوافل على طريق الوسط ؛ لكن ينبغى ألا ننسى أن المسافر مضطر بعد أن يجاوز منطقة الجبال النارية الى أن يقطع منطقة صحراوية قاحلة قبل ان يصل الى رأس خليج السويس ، منطقة يقل ماؤها ، أو تشتد ملوحته حتى ليتعذر على الانسان — بل والحيوان — أن يشرب منه إلا مضطراً . هذه المسافة يستغرق المرور فيها ثلاثة أيام أو أكثر ، مما يزيد على نصف المدة التى تستغرقها القوافل فى قطع الطريق الأوسط المستقيم ، وإذاً فهذه الميزة التى تتمتع بها الطرق الجنوبية لا تعادل ما يعيبها من طول ووعورة . . .

على أن ذلك كله لا ينبغى أن يفهم منه اننا نجرد الطرق الجنوبية من كل أهمية ، فهذا الذى ذكرناه انما توحى به الموازنة بينها وبين طرق سيناء الأخرى فى الوسط والشمال ، لكن هنالك أموراً أعطت بعض تلك الطرق الجنوبية أهمية موضعية لا يمكن أن تتجاهلها بحال من الأحوال : —

ا — وجود بعض المعادن فى جنوب سيناء كالنحاس والفيروز ، وشهرة تلك المنطقة ببعض الأحجار كالديوريت مما جعلها مطمع القوى المحيطة بشبه الجزيرة ، ودعا إلى وجود حركة نشيطة إلى منطقة التعدين هذه ، من المناطق المجاورة لها بشكل عام ، ومن مصر بشكل خاص ، فالثابت أن قد كان لمصر مستعمرة للتعدين فى منطقة «مغارة» و «سرابيت الخادم» ، وكان الطريق اليها معبداً لنقل الجنود والعمال [1] . . . .

(1) يشير «بترى» الى هذا الطريق فى الفصل الأول من كتابه
Flinders Petrie : *Researches in Sinai* (1906), pp. 7 and 8.

ب — إن اضطهاد المسيحيين فى مصر فى أوائل دخول المسيحية والتماسهم بعض هذه الأماكن الرهيبة مراكز يلجأون اليها للعبادة ، أوجد فى القرون المسيحية الأولى حركة تغذى طرق سيناء الجنوبية ، تدل آثار الرهبان المتفرقة الكثيرة على أنها كانت حركة عظيمة . فلما أخذت هذه المنطقة أهميتها كمركز دينى تقدسه بعض الطوائف المسيحية قامت هنالك حركة يمونها الحجاج المسيحيون إلى منطقة الدير وكنيسة (سانت كاترين) ، حركة ضعفت الآن جداً بعد إذ ظلت قوية قروناً طويلة ، وبعد أن كانت تدر على الدير ورهبانه الخير الكثير .

ج — كذلك كان للجانب الغربى لشبه الجزيرة المحاذى لخليج السويس أهمية فى مرور التجارة التى كانت تأتى — فيما سبق أن اشرنا — بطريق البحر الأحمر لتخزن فى ميناء «الطور» ثم تحملها القوافل فى طريق يحاذى الساحل الغربى لتوصلها إلى مصر وإلى بلاد الشام . . ولقد تعرضنا لتلك النقطة بشىء من التفصيل فى بدء هـذا الفصل ، حين تكلمنا على أهمية سيناء كطريق للمرور ورأينا كيف أن ميناء (الطور) كانت فى بعض الفترات التاريخية تنافس ميناء (السويس) من ناحية وميناءى (عيذاب والقصير) من ناحية أخرى لأسباب فصلناها فى موضعها من البحث وتكلمنا عنها طويلاً [1] .

ولعلنا نستطيع أن نضيف إلى هذا كله أن غنى بعض أجزاء هذه المنطقة الجنوبية بالماء وتوافر شىء من الحياة النباتية فيها ، وطبيعة القبائل البدوية المتنقلة التى لا تعرف الاستقرار ، كل ذلك كان يغرى دائماً بأن يمتد اليها سلطان تلك القبائل ، وبأن تكون مسرحاً لهجراتها الطويلة أو القصيرة ، بل إنا لنرى سيناء الجنوبية فى فترات طويلة تخضع غالباً لغزو تلك القوى المجاورة فتمتد أرض (مدين) — فيما يرى بعض الكتاب —

(1) راجع مقدمة هذا البحث .

إلى غربى خليج العقبة[1] ، وتشمل (العرب البطراء) الجزء الأكبر من سيناء الجنوبية فما يضعف سلطانها عليها إلا بعد أن اضمحلت هى على يد الرومان .

هذه المجموعة الجنوبية التى وضعناها — كطريق للمرور — فى المرتبة الأخيرة بين مجموعات طرق سيناء الأخرى ، ارتبطت بحادث تاريخى أدى الى اهتمام الكتّاب بتفصيل الكلام فى طرقها ، وكان من نتيجة ذلك أن أصاب هذا الجزء من سيناء ما لم يصب أجزاءها الأخرى من الكتابة عن تفاصيل تلك الطرق ومراحلها وموارد الماء وأماكن الرعى فيها .... ذلك الحادث هو خروج الاسرائيليين من مصر وقطعهم سيناء فى طريقهم الى أرض الميعاد ، وهو حادث اهتمت الكتب الدينية به ؛ وورد فى أحد أسفار التوراة ذكر طويل له ، وجاء الكتاب فى القرون الحديثة يبحثون عن تلك الطرق التى يمكن أن يأخذها الاسرائيليون على أساس الدراسة الجغرافية لشبه الجزيرة ويحققون المراحل المختلفة على ضوء الحالة الواقعية الملموسة ، وكان اتجاه الغالبية الساحقة منهم الى أن طريق الاسرائيليين إنما سار إلى الجنوب لأن نصوص التوراة صريحة فى هذا ، ولأن فيها ما يدل على أن الله قد أمر (موسى) بألا يسير الى الشمال بل يتخذ طريقه الى الجنوب . ومن هنا تركزت الدراسة فى المنطقة الجنوبية وأخذ هـذا الجزء الأهمية الأولى فى دراسة الرحالة والباحثين .

وطريق الاسرائيليين فى نظر غالبية الكتاب يخرج من شرق الدلتا (أرض جاسان) الى برزخ السويس ، فيسير جنوباً الى رأس خليج السويس والمستنقعات الموجودة حوله ليعبر موسى وقومه ويغرق فرعون وجنوده ، ويسير الطريق بعد ذلك جنوباً فيمر بعيون موسى ويقطع الوديان المعروفة هنالك إلى أن يأتى وادى غرنديل والطيبة ، الى سهل المرخاء ثم يأخذ وادى فيران الى جبل موسى ، وهو فى هذا كله يتبع الطريق العادى ،

---

(1) راجع Richard Burton, *The Land of Midiam*, 2 vol., (1879) V. I. p. 295.
اذ يرى الكاتب أن حدود أرض مدين كانت مرنة وأنها ضمت فى بعض الفترات سيناء ، وان لم يستمر ذلك طويلا . . .

طريق السيارات الحالى الى دير سانت كاترين . وهنالك يمر الطريق بعين أبى صوير ليأخذ وادى سعال الى عين الحدحيره فوادى واتر الى ساحل خليج العقبـة ، ومن ثم يأخذ الطريق اتجاهه الى أرض الميعاد ببلاد فلسطين[1] .

وأنصار هذا الرأى يعتمدون أولاً على نصوص التوراة ، ويرون أن المراحل التى ذكرها الكتاب المقدس يمكن أن نجد ما يطابقها فى جنوب سيناء[2] ... أما ردهم على وجود حاميات فى منطقة التعدين فى سيناء الجنوبية يمكن أن تصد الاسرائيليين فيستند إلى أن موسى قد تفادى هذا الخطر بأن أخذ طريق سهل المرخاء على الساحل ، ولم يأخذ الطريق المؤدى الى مناطق التعدين فى مغارة وسرابيت الخادم ، ويرون أن مثل هذا الاعتراض يمكن أن يكون حجة لهم ضد أنصار الطريق الشمالى ، إذ يرون أن حدود مصر كانت محصنة جداً من تلك الناحية الشمالية بصفتها طريق الغزو اليها من ناحية الشرق ، واذاً فقد كانت الحامية المصرية هنالك قوية ومن المجازفة أن يسير الاسرائيليون فى ذلك الطريق الشمالى الذى أبعدهم الله عنه حتى لا يصطدموا بالمصريين . . . فاذا جاءوا يناقشون مدى احتمال موارد المنطقة الجنوبية لهذا العدد الكبير من الاسرائيليين ، فهم يشكون أولاً فى اعتبار شبه الجزيرة أيام خروج موسى وقومه على مثل حالتها الراهنة من حيث الماء والنبات ، وهم فى الوقت ذاته لا ينكرون أن الاسرائيليين قد لاقوا صعوبات كثيرة فى قطع شبه الجزيرة ، وأن رحمة الله — حسب نصوص التوراة — هى التى أعانتهم فى تلك المنطقة المجدبة القفراء !! .

---

(1) يرجع فى هذا الى معظم الكتب التى كتبت عن سيناء ومنها :
H. Spenser Palmer : *Sinai* (1892), pp. 150 to 219.
R. Lepsius : *Letters from Egypt; Ethiopia and Sinai* (1852), pp. 302 to 321.
Sharpe : *History of Egypt*, vol. I.
Palmer : *Ordnance of Survey*, 1897.

(2) يرى معظم أنصار طريق الجنوب أن ما ورد فى التوراه من أسماء يمكن تحقيقها كما يأتى : من السويس الى بئر أبى صويرة أو هوارة (المرة) الى غرنديل (عليم) الى المرخاء ، الى فيران (رفيديم) ، الى جبل موسى ، الى عين الحدحيرة (حظيرون) . . . الخ

وأقلية الكتاب التى تخالف هذا الرأى ، تذهب الى أن طريق الاسرائيليين إنما قطع سيناء فى جزئها الشمالى المطروق ... وقد تزعم هذا الرأى (Brugsch Bey) الذى ألقى بحثا فى سبتمبر ١٨٧٤ ، قال فيه إن غرق فرعون لم يكن عند رأس خليج السويس وإنما كان فى بحيرة (سربونيس) ، التى يذكر الكتاب القدماء أنها كثيرا ما كانت تغطى بالرمل ، وأنها ابتلعت عدداً كبيراً من الجيوش التى كانت تمر بها دون أن تلتفت الى خطورة المنطقة[1] .

ويأخذ (جارفس بك) فى كتابه عن سيناء بهذا الرأى ويردد رأى (Brugsch Bey) ومن تبعه فيما كتبوا عن تية بنى اسرائيل ، وسنذكر هنا باختصار النقط التى استعرضها فيها بيان لوجهة نظر أنصار الطريق الشمالى بعد اذ اشرنا الى وجهة نظر أنصار طريق الجنوب[2] .

ا — أن المنطقة الجنوبية مجدبة ، واذا سلمنا بأنها كانت أكثر مطراً مما هى الآن فليس لدينا ما يمكن أن نعتمد عليه فى أن الحالة كانت تسمح بوجود الثيران وزراعة القمح ، فكل ما يزرع فى الجنوب هو النخيل والفاكهة وقليل جداً من القمح ، أما المنطقة التى يمكن زراعة القمح فيها فى سيناء فمقصورة على المنطقة فى شمال سيناء المحصورة بين العريش ورفح والقصيمة ، واذا نحن أخذنا برأى بعض الكتاب واعتبرنا (الف) بمعنى عائلة . فإن تلك المنطقة التى تزرع القمح فى الشمال يمكن أن تكفى هذا العدد من الاسرائيليين (٢٧ ألفاً) .

---

(1) Major H. Brown : *The land of the Exodus* (1899), pp. 65-66.

(2) راجع الفصل التاسع من كتاب (جارفس بك) Jarvis : *Yesterday and Today in Sinai* ; p. 158 *to the end of the chapter.*

وسترى فى صفحة ١٦١ و ١٦٢ أن الكاتب يصرح بأن آراءه ليست نتيجة بحث فى كتب وانما هى نتيجة تجارب له فى الصحراء مدة ٩ سنوات ، وان تجاربه هذه تعطيه ميزة عن غيره من العلماء الذين يتبعون آراء مسلما بصحتها منذ ١٧٠٠ سنة !!

ب — إن المن والسلوى ، أكثر فى الشمال منه فى الجنوب ، ذلك الجزء الذى لا يعرف عنه أنه يشتهر بالسمان .

ج — إن المصريين كانوا يجهلون طريق شمال سيناء بدليل أنهم لم يتركوا لهم بقايا فيه ، على حين أنهم كانوا يستقرون فى مناطق التعدين فى الجنوب ، واذا فقد كان الأسلم للاسرائيليين أن يتفادوا مراكز الجند فى الجنوب ويأخذوا طريق الشمال إلى فلسطين

والواقع أنه من الصعب أن نرجح رأياً على آخر ، أو نخرج من الكتابات المختلفة برأى قاطع فى الموضوع ، وما نظن أن هذه النقطة تمس صلب بحثنا مساً جوهرياً ، يدعونا إلى أن ندخل فى مناقشة دقيقة لها وجهاتها الدينية الحساسة ، وفيها من النصوص المقدسة ما قد يتعذر معه أن يصل البحث العلمى الى منتهى حريته ، وما يضطرنا الى أن نترك نقط البحث ناقصة غير مستوفاه ، واذاً فخير لنا أن نترك الباب فى هذه النقطة مفتوحا مكتفين بعرض آراء الطرفين هذا العرض السريع .

وفى سيناء الجنوبية ثلاثة طرق خارجية نوجز الكلام عليها فيما يلى : —

الأول : طريق يربط بين رأس خليج السويس ورأس خليج العقبة ، يبدأ من السويس ، ويمر بعيون موسى ، ثم يسير جنوباً فى هذه المنطقة الصحراوية ، يقطع الوديان التى تنحدر غرباً من حافة التيه الغربية واديا بعد آخر ، لا يصادف الماء إلا فى هذا البئر الذى يصعب الشرب منه ، بئر (هواره) فى وادى عماره ... فاذا وصل (غرنديل) صادفنا واحة ماؤها آسن يكثر بها نبات النخيل والسيال ، ... ويستمر الطريق فى تلك المنطقة الصحراوية ، يفصله عن البحر جبل (حمام فرعون) إلى أن يأتى وادى «الشبيكة» فرع وادى الطيبه فيسير فيه ، وهنالك نستطيع أن نأخذ أعلا الطيبة ، (وادى الحمور) إلى دبة «القرى» ثم الى منطقة التعدين القديمة فى وادى النصب وسرابيت الخادم ، ومن ثم نستطيع أن نصل وادى فيران فى طريق أكثر التواء لكنه

أكثر ماء ، . . على أن الطريق العادى يستمر جنوباً فى أدنى وادى الطيبة إلى « أبى زنيمة » لنقطع هضبة طباشيرية إلى سهل المرخاء فنمر ببئر المرخاء الآسنة ، ثم يكون أمامنا (وادى بعبعة) ، فإما أن نختصر الطريق فنأخذ ذلك الوادى الى « ممر بودره » لنصل وادى فيران بطريق وادى مكتب ، وإما أن نستمر جنوباً فنأخذ وادى سدرى الى مكتب وفيران ، . . على أن أسهل الطرق يستمر جنوباً فى سهل المرخاء الرملى حتى مخرج فيران من الكتلة الجبلية ، فيسير الطريق فيه حتى يصل الى « واحة فيران » — بعد إذ تلاقيه الطرق الفرعية الأخرى التى ذكرناها — التى أطلق عليها كثير من الرحالة اسم « جوهرة الصحراء » إذ ينتقل الإنسان فيها من جدب ومحل الى منطقة يكثر الماء العذب فيها ، ويتوافر النبات ، كما نصادف آثار مساكن قديمة هى بقايا مدينة (باران) التى كانت مركزاً هاماً للرهبنة فى شبه الجزيرة ، فاذا تركنا الواحة ووصلنا الى « البويب » فنحن أمام طريقين يوصلان الى منطقة الدير ، أقصرهما وادى سلاف فنقب (هوى) الى الدير ، وأسهلهما وادى الشيخ الى الدير . . . ويصح أن نشير الى أن منطقة الدير هذه فى مقدمة جهات سيناء غنى فى النبات ووفرة فى الماء الذى لا يفضله فى العذوبة ماء آخر فى شبه الجزيرة كلها . . .

ومن الدير يمر الطريق بعين (أبى صويرة) ، ثم يصل خليج العقبة بأحد طريقين : طريق يتبع وادى (سعال) المجدب القليل الماء ليصل الى (عين الحدحيرة) ويأخذ أحد فروع وادى (واتر) الى ساحل العقبة فرأس الخليج ، وطريق آخر يأخذ سبيله الى الشمال فى وادى (زليقة) ووادى العين ، يمر بعين (أم احمد) ، ويأخذ أدنى وادى (واتر) الى ساحل العقبة فرأس الخليج . . .

وهذا الطريق هو الذى يتلمس فيه غالبية الكتاب طريق خروج الاسرائيليين من مصر ، وهو فى الوقت ذاته الطريق الذى كان يمكن أن يؤدى الى منطقة تعدين النحاس والفيروز فى سيناء سواء من ناحية مصر أو من الأقاليم الواقعه شرقى شبه الجزيرة . . . وباستخدام فروعه المختلفة كانت القبائل المجاورة تتلمس توسعها وزحفها على سيناء

الجنوبية ترعى فى وديانها وتستقى من مائها ، ولعل أكبر توسع فيها إنما كان (للنبط) سادة البطراء الذين كانت تشمل مملكتهم معظم هذا الجزء من شبه الجزيرة ، والذين ينسب اليهم بعض الكتاب تلك (النقوش السينائية) التى تنتشر فى سيناء الجنوبية ، سيما فى وادى « مكتب » ووادى « حبران » . واذا كان النبط أمة تجارية اشتغلت بنقل البضائع بين الشرق والغرب ، فلا يبعد أن بعض قوافلهم كانت تستفيد من طرق سيناء الجنوبية ، لكن لا على أن تكون طرقاً هامة يمكن أن تقارن بالطرق التجارية الأخرى التى كانت تربط (البطراء) بما جاورها فى مصر وبلاد الشام .

ويتبع طريق السيارات الحالى الجزء الأول من ذلك الطريق بين السويس ودير سانت كاترين : فهو يعبر قناة السويس عند « الكوبرى » فيسير جنوباً الى « الشط » ويمر بعيون موسى ليقطع المنطقة الصحراوية هنالك فى سطح سهل لا صعوبة فيه الا حيث يقطع الطريق تلك الوديان المتعدده التى تنحدر من حافة التيه الى خليج السويس ، فهنا يجد السائق شيئاً من الصعوبة وهو يقطع تلك الوديان . . . . وتصبح الأرض وعرة قليلا عند ما يسير الطريق على جانب جبل حمام فرعون ، لكنه لا يلبث أن يتبع فى سهولة وادى الطيبة الى أبى زنيمة فسهل المرخاء . . . فان أراد المسافر اختصار المسافة أخذ وادى سدرى ووادى مكتب الى فيران بين حوائط جبلية مرتفعة ، وفى طريق متعرج ملتو ، لكن ينبغى أن يتأكد السائق من أن الطريق صالح لأن السيول حين تجرى فى وادى سدرى تفسده وتجعل السير فيه متعذراً . . . فاذا وجدت صعوبة فى سدرى ومكتب ، فطريق السيارات يتجه فى المرخاء جنوباً ناحية الطور ، الى مخرج وادى فيران فيتبعه الى وادى الشيخ فدير سانت كاترين على بعد 156 ميلا من كوبرى السويس بزيادة تسعة أميال عن طريق سدرى ومكتب الى فيران[1] . . .

(1) يراجع كتاب جارفس بك صفحات ٣٠٦ الى ٣٠٩ ويراجع كذلك تقرير اللواء احمد شفيق باشا مدير الحدود سابقاً عن رحلته من السويس الى الدير فى يناير ١٩٠٦ وهو تقرير مطبوع بمصلحة الحدود .

الثانى : طريق الطور والسويس الذى يوازى خليج السويس ، وهو الطريق الذى كانت تقطعه القوافل بكثرة فى الفترات التى كانت تصبح فيها (الطور) ميناء المرور بين تجارة الشرق والغرب عن طريق مصر ، مدة النصف الأول من القرن الحادى عشر ، وابتداء من النصف الأخير من القرن الرابع عشر الى أن تحولت التجارة عن طريق مصر الى طريق رأس الرجاء الصالح[1] .

وهذا الطريق يتفق مع الطريق السابق فى الجزء الواقع بين السويس ومصب وادى فيران ، وهنالك يتجه طريق الطور جنوباً متبعاً وادى القاع الذى يقطع سهل القاع بين حافة المثلث الجبلى وهذه الكتل المتوازية التى تمتد على ساحل البحر من شمال الطور حتى قرب مصب فيران . . . وهذا الطريق رملى لا يصعب السير فيه ، ولا يعيبه إلا ندرة الماء الصالح للشرب الذى لا يصادفه المسافر إلا اذا وصل ميناء الطور ، ولعل هذا من العوامل التى أكسبت الطور أهميتها كمرسى يمكن أن تعتمد السفن على مائها ، يضاف الى ذلك أن المراسى الطبيعية الصالحة — فيما عدا الطور — على جانب خليج السويس الشرقى قليلة جداً . . . وقد نضيف الى هذا سهولة اتصال الطور بأجزاء شبه الجزيرة ، لا باتباع هذا الطريق الذى نتكلم الآن عنه فحسب ، بل يمكن أن نصل منها إلى قلب شبه الجزيرة ثم إلى أجزائها الشمالية والشرقية بطريقين آخرين : طريق عسلة والطرفاء ، وطريق حبران ووادى سلاف ، وهما طريقان يتوافر الماء والمرعى فيهما ، ولا يبعد أن شيئاً من تجارة الجهات المجاورة لسيناء كان يصل إلى الطور بطريق هذه المسالك ، سيما وأنا نجد كتابات ونقوشاً على جوانب وادى حبران ، إن لم نستطع ارجاعها الى فترة محدودة ، وجماعات معينة ، فلا أقل من أن نتلمس فيها اشارة إلى أن ذلك الوادى كان وادياً مطروقاً فى بعض عصور التاريخ .

وطريق السيارات ممهد الآن بين السويس وبين الطور ، يسير فى نفس الطريق

(١) راجع مقدمة هذا البحث.

الذى وصفناه ، يتفق أولاً مع طريق السيارات بين السويس والدير إلى أن يتركه عند مفرق وادى فيران ، ليسير طريق الطور جنوباً وعرا بعض الشىء فى الخمسة أميال الاولى الى أن يتبع وادى القاع فيصبح السير سهلا ، فإذا كنا على بعد خمسة أميال من الطور سار الطريق فى رمل لين نوعاً ، لكن ذلك لا يعتبر صعوبة كبيرة فى طريق السيارات[1] .

الثالث : درب النبك ، وهو طريق يقطع سيناء الجنوبية من جنوبها الشرقى عند «النبك» على خليج العقبة ، الى شمالها الغربى عند السويس ، كان يتخذه تجار الحجاز طريقاً لإبلهم وغنمهم إلى أسواق مصر ، يعبرون خليج العقبة من ميناء (الشيخ حمد) فى الحجاز فيصلون (النبك) فى حوالى ساعة ونصف ، ومنها يستفيدون من وادى «الكيد» ، ووادى «مدسوس والأملح» إلى وادى «النصب» ومنه إلى علوة (العجرمية) ، يسيرون منها حتى وادى الأخضر ومن ثم يقطعون بعض الوديان إلى (دبة القرى) ليأخذوا وادى الحمور إلى الطيبة ثم يصلون الى السويس بالطريق الساحلى المعروف[2] .

والماء فى هذا الطريق متوافر ، فالدراسة المفصلة لموارد الماء فى سيناء تدل على أن «بالكيد ونصب» ماء دائماً يمكن الاستفادة منه ، وعلى أن فى وادى الأخضر عينا لا بأس بمائها ؛ وبئر النصب بئر قديمة اعتمد عليها المعدنون فى أيام قدماء المصريين . . . . ولا يصعب توافر الماء العذب إلا فى الجزء من الطريق بين الطيبة وعيون موسى ، فكل ما نصادفه فيه من برك وآبار لا يعطينا إلا نوعاً من الماء يعافه الحيوان بله الإنسان . على أن أهمية هذا الطريق تكاد تكون الآن فى حيز العدم ، لتشديد الحكومة المصرية فى

(١) يمكن الرجوع فى وصف ذلك الطريق — بجانب ما كتبه جارفس بك فى كتابه — الى تقرير محفوظ بمصلحة الحدود ، Hutton Bey : *Car Petrol Report; Suez* (Shatt) *to* (Tor), June 1925.

(٢) استفدنا فى ذلك من كتاب نعيم بك شقير عن سيناء ص ٢٦٧ الذى نقله عن أحد تجار الابل (حسن الالجن) من عرب الحويطات .

السماح لحيوانات الحجاز باستخدام هذا الجزء من سيناء خوفاً من أن تنقل العدوى فيهلك المرض ما يملك البدو فى سيناء من إبل وأغنام .

بهذا نكون قد عالجنا أهم طرق سيناء الخارجية التى تربطها بالمناطق المجاورة ، ومن ذلك نرى أن تلك المساحة المتسعة لا يمكن أن ننظر إليها كأنها حاجز فاصل لا يمكن عبورها بين آسيا وإفريقيا ، إذ أن الطرق التى تقطعها قائمة منذ القدم فى الشمال والوسط والجنوب ؛ . . وإذا كانت قلة الماء والمرعى قد وقفت عقبة فى تيسير المرور فيها ، وعاقت التقدم فى بعض مناطقها ، فان الجهود الحديثة التى بذلت لتمهيد طرق السيارات وتعبيدها ، ومد الخط الحديدى بين مصر وفلسطين فى شمالها ، سيعطى لسيناء أهمية كبرى كممر حربى وكطريق هجوم على قناة السويس . وما دمنا قد لاحظنا أن جيوش الأتراك قد قطعت شبه الجزيرة أثناء الحرب الماضية رغم ما صادفت من مشاق وصعوبات ، فان هذه الطرق السهلة الحديثة سوف تجعل مثل ذلك الهجوم أمراً ميسراً غاية التيسير ، ومن هنا أصبح رجال الحرب الآن ينظرون إلى سيناء نظرة لم ينظروا بها اليها فى الماضى القريب .

وسنحاول فى ختام هذا الفصل الخاص بالطرق أن نستخلص من كتاب (جارفس بك) محطات طرق السيارات المختلفة وبيان مسافاتها والوقت اللازم لها ، وهى تقديرات يرى الكاتب نفسه أنها لم تصل إلى درجة الدقة التامة ، لكنه قد بناها على متوسط عدد من السيارات لن يتجاوز الخطأ معه فى نظره ٤ ٪ وهى نسبة لا تعد شيئاً كبيراً .

مراحل طرق السيارات فى شبه جزيرة سينـاء

١ — الطريق من القاهرة الى بيت المقدس

١	مراحل الطريق	المسافة بالميل	الزمن ق	الزمن س
	من القاهرة الى كوبرى السويس	٨٣ ميلا	٠٠	٣
	الى ممر متله	٢٣ «	١٠	١
	الى صدر الحيطان	١٦ «	٠٠	١
	الى الحسنة	٤٩ «	٣٠	٢
	الى القصيمة	٦٤ «	١٥	٢
	الى العوجاء	١٨ «	٤٥	٠٠
	الى بئر السبع	٤٥ «	٠٠	٢
	الى حبرون	٣٢ «	١٠	١
	الى بيت المقدس	٢٢ «	٥٠	٠٠
	المجموع	٣٣٤ «	٤٠	١٤

٢ — الطريق من القاهرة الى البطراء

٢	مراحل الطريق	المسافة بالميل	الزمن ق	الزمن س
	من القاهرة الى صدر الحيطان	١٢٢ ميلا	١٠	٥
	الى نخل	٣٨ «	٠٠	٢
	الى الثمد	٣٩ «	٠٠	٢
	الى الكنتلا	٣٤ «	٠٠	٢
	الى رأس النقب	٣٢ «	١٥	١
	الى العقبة	١٢ «	١٥	١
	الى معان	٧٦ «	٠٠	٤
	الى وادى موسى	١٨ «	٤٥	٠٠
	المجموع	٣٧١ «	٢٥	١٩

٣ — من القاهرة الى العريش

٣	مراحل الطريق	المسافة بالميل	الزمن ق	الزمن س
	من القاهرة الى نقطة افتراقة عن طريق بيت المقدس (عند الضيقة)	٢٠٥ ميلا	٠٠	٩
	الى المقضبة	٢٣ «	٠٠	١
	الى العريش	٢٢ «	٥٠	٠٠
	المجموع	٢٥٠ «	٥٠	١٠

٤	مراحل الطريق	المسافة بالميل	الزمن ق	الزمن س
	من القصيمة الى الكنتلا	٥٩ ميلا	٤٥	٢

٥ — الطريق من القاهرة إلى دير (سانت كاترين)

مراحل الطريق	المسافة بالميل	الزمن ق	الزمن س
من القاهرة الى كوبرى السويس	٨٣ ميلا	٠٠	٣
الى ابى زنيمة	٧٥ «	٠٠	٤
الى وادى فيران	٣١ «	١٥	٢
الى واحة فيران	١٥ ميلا	١٥	١
الى الدير	٣٥ «	٣٠	٢
المجموع	٢٣٩ «	٠٠	١٣

٦ — من القاهرة الى الطور

٦	مراحل الطريق	المسافة بالميل	الزمن ق	الزمن س
	من القاهرة الى نقطة افتراقة عن طريق الدير عند فيران	١٩١ ميلا	١٥	٩
	الى الطور	٣٩ «	٠٠	٢
	المجموع	٢٣٠ «	١٥	١١

سيناء كمعبر للهجرات البشرية

قدمنا فى القسم السابق ما فيه الكفاية عن موقع سيناء وأهميتها كطريق للمرور ، ويهمنا فى هذا الجزء من دراستنا أن نؤكد عظم أهمية شبه الجزيرة فى مرور كثير من القبائل ، بصفتها قنطرة هامة بين شمال بلاد العرب وما يدور الهلال الخصيب حوله من صحارى سوريا والعراق من ناحية ، وبين وادى النيل الخصيب من ناحية أخرى : فذلك التباين فى الثروة والغنى بين تلك المناطق الفقيرة المجدبة الواقعة إلى جانب من سيناء ، وبين ذلك القطر الغنى بزراعته المعروف بعظم خصوبته منذ فجر التاريخ ، بل إن شهرة المنطقة الواقعة إلى شرق الدلتا بمراعيها منذ القدم نتيجة مياه الفيضان التى كانت تفيض على جوانب فروع النيل القديمة ، والتى كانت حشائشها مضمونة مادامت تعتمد على مورد ماء مضمون بعكس تلك الحشائش التى يتوقف نموها فى صحراء العرب وغيرها على ماء المطر الذى ينزل عاماً وقد ينقطع سنين ، .. كل هذا كان داعياً إلى أن يتلمس سكان المنطقة المجدبة راحتهم فى وادى النيل ومراعى شرق الدلتا ، فى هجرات سلمية بسيطة يؤخذ فيها رأى حاكم مصر وما كانت تتم إلا بموافقته ... ومثل تلك الهجرات السلمية البسيطة كانت تحدث باستمرار أيام قوة مصر وهيبة حكامها ، وما كانت تتوقف على سوء الحالة الاقتصادية فى الصحراء المجاورة ، بل كان يكفى فيها مجرد ذلك التباين الكبير بين المناطق الصحراوية والأراضى الزراعية ، وذلك الاغراء الذى يدفع بساكن الصحراء الى أن يتلمس حياة أكثر غنى فى كنف الأراضى الخصيبة وعلى حافة مناطق الزراعة ... وإذا كان من الصعب أن نحدد سير هذه الهجرات أو نبين مدى تذبذب موجاتها فا ن الكتابات القديمة تشير الى دوام مثل هذه الهجرات واستمرارها ، ويعطى

(ماسبيرو) مثلا لهذا ، هو صورة من مقابر بنى حسن تمثل عدداً من هؤلاء البدو يقدمون لفرعون مصر القرابين ليسمح لهم بالسكنى فى وادى النيل[1] . ولعل هجرة (الكنعانيين) وسكناهم فى شرق الدلتا وكثرة اليهود فى ذلك الجزء من مصر كثرة خافها الحكام فاضطهدوهم وعذبوهم مثل حى لتلك الهجرات السلمية المستمرة .

على أنه كان يوجد الى جانب تلك الهجرات السلمية البسيطة هجرات أخرى عنيفة ، قد يكون مما شجع عليها ضعف حكام مصر ضعفاً أغرى سكان البادية بهم ، لكن العامل الأساسى فى حدوث مثل هذه الهجرات الكبيرة إنما كان مرجعه الرئيسى إلى سوء الحالة الاقتصادية فى المناطق المجدبة ، مما أدى أحياناً — كما كان الحال فى غارة الهكسوس — إلى هجرة العائلات بجميع أفرادها ، تصطحب معها كل ما تملكه من معدات وحيوان مما يدل دلالة صريحة على أن القصد من تلك الغارات إنما كان التماس مناطق تتوافر فيها وسائل المعيشة لتلك العائلات التى اضطرت إلى أن تترك مناطقها الأصلية حين عجزت عن أن تجد القوت فيها . إذ لو كان القصد مجرد الاستيلاء على ثروة وادى النيل وسلب خيراته ما كان هنالك ما يدعو الى أن تتحرك القبائل بنسائها وأطفالها وحيوانها ، بل كان يكفى غزو المحاربين الأشداء من رجالها ، فاذا مُكِّن لهم فى وادى النيل لحقت بهم عائلاتهم على أساس مضمون بدل تلك المجازفة التى لا تقوم القبائل بها إلا حين تضطرها اليها سوء الحالة الاقتصادية فى مناطق سكناها الأولى . وما دامت حياة الصحراء متوقفة أولاً على مقدار ما يسقط فيها من مطر ينمو عليه المرعى فتعيش الحيوانات ، فسوء الحالة الاقتصادية إنما كان يأتى طبيعياً نتيجة الجفاف لقلة سقوط المطر أو انعدامه ، أى أن رداءة الأحوال المناخية هنالك كان يتبعه أن ينبض قلب الصحراء فيبعث بهذه الموجات العنيفة إلى الجهات الغنية المجاورة ، وما تعود تلك الموجات — إن رجعت — الا حين تحسن الظروف الاقتصادية فى الصحراء بزوال فترة الجفاف ... والذين يرجعون مثل

(1) راجع MASPERO, *Dawn of Civilization* (1896), p. 469.

هذه الهجرات إلى سوء الحالة السياسية فى تلك المناطق ينسون أن الفوضى السياسية فى البلاد الصحراوية كثيراً ما تكون أسبابها اقتصادية ، حين يوجد الضيق فتزيد المشاحنات والحروب بين القبائل .

وقد حاول كثير من الكتاب تحديد هذه الهجرات ، وتعيين عدد من الموجات السامية التى دفعت بها بلاد العرب إلى المناطق الخصيبة المجاورة ، وراح (هنتنجتون) يربط هذا بتغيرات مناخية يرى دوراتها منتظمة يحددها هو تحديداً [1] . وإذا كانت الكتابات لم تحتفظ لنا من تلك الغارات العنيفة التى قطعت سيناء فى طريقها إلى مصر ، إلا بعدد منها كغارة (الهكسوس) التى حدثت حوالى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فما يمكن أن نأخذ ذلك دليلا على أن حظ مصر من تلك الغارات كان ضئيلا ، بدليل هذه الحصون القوية المتتابعة التى كانت تقوم على حدود الدلتا الشرقية ، وذلك الصراع القوى بين البدو وبين حماة الحصون الذى كان الفراعنة يدونون تفاصيله حين يكتب لهم فيه النصر .

والموجات السامية التى دفعت بها بلاد العرب فى الفترات المختلفة موجات متعددة لا يسهل حصرها ؛ بعضها لا يهمنا كثيراً إذ كانت تقصد مناطق فى الهلال الخصيب بعيدة عن سيناء ، وبعضها مَسَّ سيناء مساً خفيفاً فلم تتجاوز نهاية مَدّ الهجرات فيها أجزاء شبه الجزيرة الشرقية بصفتها أقرب أجزائها إلى مصدر تلك الهجرات ، وبعضها وصل عنيفاً إلى مصر وتجاوزها جنوباً وغرباً ؛ . ومثل هذه الموجات الأخيرة هى التى غزت سيناء كلها واتخذت لها فى أجزائها المختلفة طرقاً شتى قطعتها من ناحية إلى أخرى فى الشمال والوسط والجنوب .

أما الهجرات التى لا تهمنا كثيراً فمنها تلك الموجات التى هاجرت من صحراء العرب إلى بلاد الجزيرة والتى كان لبعضها فى تلك الجهات دول اتسع سلطانها اتساعاً امتد حتى

---

(1) راجع HUNTINGTON : *Palestine and its Transformation* (1911); pp. 373 to 405.

حدود مصر نفسها ، واخضع القبائل السامية الأخرى التى كانت تنزل على حدود مصر الشرقية فى شبه جزيرة سيناء ، لكن كان يكفيها أن يكون لها فى شبه الجزيرة نفوذ اسمى ، ترمى من ورائه إلى كبح جماح تلك القبائل البدوية التى كثيراً ما كانت مصر تثيرها عليها ، أو الى الحصول على شىء من الثروة المعدنية التى كانت تشتهر سيناء بها سواء كان هذا من النحاس أو الأحجار أو الفيروز .

ويأتى بعد ذلك هجرات أكثر تأثيراً فى سيناء : هى تلك الهجرات التى نزلت القبائل فيها حول خليج العقبة أو سكنت فلسطين وسواحل سوريا ، (كالمدينيين) الذين امتدت حركاتهم على الساحل الغربى لخليج العقبة [1] ، و (الكنعانيين) و (الفينيقيين) ، وهؤلاء من المعقول أن يكون تأثيرهم قد وصل إلى أجزاء شبه الجزيرة الشرقية والشمالية الشرقية ، كما كانت تقضى المصلحة وحكم الجوار بأن تتداخل حدود القبائل فى شرقى سيناء وجنوب فلسطين ، وبأن تتجاوز مساكن القبيلة الواحدة إحداهما إلى الأخرى كما هو الحال فى قبائل (الترابين ، والتياها ، والعزازمة) التى تتوزع الآن فى شرقى سيناء وفى بلاد الشام . بل إنا نرى من هذه الهجرات ما عبر سيناء نفسها كهجرة (الكنعانيين) التى تذكرها التوراة ، وغارة (الهكسوس) الذين امتلكوا مصر وكونوا لهم فى شرقى الدلتا قوة استمرت أكثر من قرن ونصف ، وكانت مشجعاً عظيما على وصول القبائل العربية البدوية الى مصر وسكناها فى شرقى الدلتا بوجه خاص .

وإلى جانب هذه الهجرات السامية القديمة وصل الى شمال سيناء قديماً بعض مؤثرات لعناصر غير سامية ، هى فى جملتها مؤثرات بسيطة محدودة لا يمكن أن تقاس بالهجرات السامية ، وتكاد تنحصر فى الركن الشمالى الشرقى لشبه الجزيرة : أهمها من عناصر البحر

---

(1) يمكن أن نرجع فى دراسة موطن (مدين) ومدى انتشارهم فى سيناء الى ما كتبه «المقريزى» فى الخطط جزء ١ من صفحة ١٨٦ — ١٨٩ والى ما كتبه (موسيل) ، وياقوت طبع مصر جزء سابع صفحتى ٤١٧ و ٤١٨ وخير المؤلفات عن المدينيين هو :
Richard BURTON : *The Land of Midian* V. I., pp. 236 and 294.

الأبيض (الفلسطينيون Philistines) ، وهؤلاء سكنوا السهل الساحلى الواقع فى الركن الجنوبى الغربى لفلسطين وكونوا لهم قوة امتدت حوالى القرن الثانى عشر قبل الميلاد الى سواحل سيناء الشمالية الشرقية ، ولم تضعف الاحين تقوت مملكة اليهود على يد (شاول) الزعيم العبرى المعروف[١] . و (الايجيون) الذين فروا أمام غزوات الاغريق لسواحل البحر الأبيض الشمالية ليسكنوا على سواحله الجنوبية من دلتا النيل حتى (فينيقيا) ولتنزل أكثر جماعاتهم فى المنطقة التى كان يسكنها قبلهم (الفلسطينيون) . وهذه يمثلها من العناصر الهندوأوروبية[٢] «الحيثيون» بوجه خاص ، فهؤلاء عظم سلطانهم فى القرن الخامس عشر قبل الميـلاد واستطاعوا — لحوالى ثلاثة قرون — أن يمدوا سلطانهم وأن يغيروا على الامبراطورية المصرية وأملاك الأشوريين ، ومن هنا جاء احتكاكهم بالعناصر السامية وكان لهم بعض التأثير فى الركن الشمالى الشرقي لسيناء .

فاذا انتقلنا بعد ذلك إلى الموجات السامية الأخرى التى وصل تأثيرها إلى شبه الجزيرة فى فترات أحدث من التى سبقتها ، فأول هذه الهجرات ما يطلق عليه الكتاب الغربيون اسم (الإسماعيليين) ، وهم قبائل يغلب أنها نشأت فى شمال الحجاز وحول مكة ، ثم اضطرها ضيق الموارد هناك ، وما يتبع ذلك الضيق من تطاحن بين القبائل ، إلى أن تنتشر إلى المناطق المجاورة ؛ وهذه الهجرات تظهر فى أوائل التاريخ المسيحى بشكل خاص ، ويصل الى سيناء أثرها ؛ والذين حددوا مناطق هذه القبائل وعينوا مواطنها ومبلغ انتشارها يذكرون أن (المدينيين) كانوا يمتدون من (حويلة) إلى (شور) أى الى برزخ السويس إذ المعروف أن اسم (شور) كان يطلق قديماً على

---

(١) راجع James Breasted : *Ancient Times* : A history of the Early World, pp. 202 and 256.

و « William Worrel : *A study of races in the ancient near East* (1927), p. 19.

(٢) يراجع فى الكلام على العناصر (الهندوأوروبيه) ما كتبه العلامة المرحوم (جيمس برستد) فى كتابه السابق فى الفصل السادس صفحة ١٧ وما بعدها .

شبه جزيرة سيناء ، يتفق فى ذلك ما كتبته التوراة ، وما كتبه الكتاب المحدثون أمثال (سبرنجر) و (موسيل)[١] .

ويأتى مع الإسماعيليين هؤلاء (النبط) ، لم نشأ أن نرجعهم إلى الإسماعيليين لاننا لا نجد فى كتابات (كاترمر وكامرر وغيرهما) ما نرجعهم معه اليهم أو نعتبرهم به فرعاً من فروعهم[٢] . والنبط قبائل يرجح الكتاب أن موجاتها الأولى خرجت من بلاد الحجاز[٣] ، وأنهم زحفوا على بلاد (الايدوميين) وأخضعوها لهم حوالى القرن السابع قبل الميلاد ، وأسسوا لهم دولة قوية مركزها (سالع)[٤] فى وادى موسى ، وهو لفظ معناه فى اللغة العبرية (الحجر) ومن هنا جاءت التسمية اليونانية (بطرا Petra) وسميت تلك المناطق (العرب الحجرية) ، وعمل النبط فى التجارة بحكم موقعهم الجغرافى وسيطروا على الطرق التجارية بين بلاد العرب وبلاد البحر الأبيض بوجه خاص ، وتوسعت مناطق نفوذهم إلى أن قضى الرومان عليهم فى أول تاريخ المسيح عام ١٠٦ للميلاد .

أما مدى انتشار هذه القبائل النبطية فى شبه جزيرة سيناء فيمكن أن نفهمه حين نذكر أن هؤلاء النبط كانوا أمة تجارية تشتغل بالوساطة بين تجارة الشرق ودول البحر الأبيض بما فيها مصر نفسها ، وحين نقدر عظم الأهمية التجارية القديمة لموقع سيناء ، وما

---

(١) راجع A. Sprenger : *The Ishmaelites and the Arabic Tribes who Conquered their country*, p. 5.

و « Alois Musil : *Arabia Deserta* (1927), pp. 392-393.

(٢) تنسب التوراة النبط الى «نبايوط بن اسماعيل» وقد تأثر بهذا محب الدين الخطيب وارجعهم الى (نابت) من أولاد اسماعيل . ولهذا فضل ان يسموا (الانبات) لا (النبط) . راجع كتابه «اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب» صفحة ٢٣ — ٢٩ .

(٣) لا تزال مواطن مهجر النبط الاولى موضع جدل بين الكتاب ، فبعضهم مثل (رسفال وكاترمر) يرجعها الى بلاد العراق والغالبية ترى ان موطنهم الأصلى شمال الحجاز — راجع بوجه خاص Quatremère : *Mémoire sur les Nabatiens*

و الأدلة التى يخالف بها كامرر كاترمر موجودة فى A. Kammerer : *Pétra et la Nabatène* (1929) pp. 27 and 28.

(٤) يراجع فى تحقيق هذا الاسم مقال المرحوم احمد زكى باشا بجريدة الاهرام بتاريخ ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣٣

ينتظر أن يكون لهذا الموقع فى نظر النبط من وزن وتقدير ، كان مظهره حرص تلك القبائل على أن تكون هى سيدة الطرق التجارية المتفرعة من البطراء إلى دمشق وإلى رينوكولورا — العريش الحالية — ، وعلى أن تسيطر أيضاً على الطرق التى تقطع سيناء لتضمن بهذا الزعامة التجارية فى تلك المنطقة ، تلك الزعامة التى احتفظت بها لعدة قرون . وكان طبيعياً أن يمتد نفوذها — لضمان هذه الطرق — الى معظم جهات سيناء ، امتداداً لا يمكن أن نحدده على وجه التحقيق والدقة ، لكن هنالك ما يدل على أنه كان نفوذاً متسعاً وصل تأثيره حتى برزخ السويس ، وإن اختلف ذلك النفوذ قوة وضعفاً فى نواحى سيناء المختلفة .

ولقد كانت الأدله على وصول نفوذ النبط إلى سيناء مقصورة حتى وقت قريب على مجرد آراء الكتّاب والمؤرخين ، وعلى تلك النقوش التى أشرنا اليها فى القسم الأول من هذا البحث ، والتى تنتشر فى معظم مناطق شبه الجزيرة الجنوبية ، وهى نقوش لا تزال موضع جدل بين البحاث وإن كان منهم من يرجعها إلى النبط ويأخذها دليلا على امتداد نفوذهم هناك . لكن الابحاث الحديثة — على قلتها — دلت على وجود آثار للنبط قرب (پيلوز) ، وعلى وصول نفوذهم إلى وادى طميلات : (فدى كليدات فى ملاحظاته الاركيولوجية عن برزخ السويس يقول إنه عثر فى جهة (قصر الغيط — الذى لا يبعد كثيراً عن موقع پيلوز — على أساسات أبنية نبطية لم يظهر فيها إلا آثار أحد المعابد[1] . ومثل هذه المؤسسات — إن صح ما يذهب اليه (دى كليدات) — ربما كانت لجاليات نبطية تنزل المحطات التجارية على طول الطريق الشمالى فى سيناء الذى يقول عنه الكاتب نفسه إنه كان طريقاً يفضله النبط كثيراً . أما (وادى طميلات) فدراسة (كلرموجونو) تذهب إلى أن النبط كان لهم به مستعمرة ينزلون فيها[2] . وليس أمامنا كتابة (كلرموجونو) هذه لنقف منها على تفاصيل بحثه ولنعرف بالتحديد

(1) Clédat : *Notes sur l'Isthme de Suez. Bull. Inst. fr. Arch.*, 1921-1923.

(2) هذا ما نقله (كامرر) فى كتابه السابق عن (البطراء والنبط) صفحة ١٩٥ .

ما يقصده هو فيما نقله (كامرر) عنه ، لكن لا غرابة فى أن يكون للنبط مثل هذه المستعمرة فى وادى طميلات ، فالمعروف أن هذا الوادى كان طريقاً لدخول القبائل البدوية من الصحراء المجاورة إلى دلتا النيل ، والمعروف أيضاً أنه كان هنالك طريق تجارى هام يقطع وسط سيناء ، بين أيلة والقلزم ، ورد فى خريطة (پويتنجار) الرومانية ، ولا يبعد أنه كان طريقاً معروفاً للنبط ينقلون به بعض المتاجر إلى مصر ، وهو طريق يؤدى فى نهايته عند رأس خليج القلزم إلى طريق وادى طميلات الذى كان الطريق الطبيعى بين برزخ السويس ووادى النيل ، فكان يهم «النبط» إذاً — فى عصر زعامتهم التجارية — أن يصل نفوذهم إلى ذلك الطريق الهام ، وقد يكون من مظاهر اهتمامهم به وجود جالية كبيرة لهم نزلت فيه وأوجدت هذه المستعمرة التى أشار إليها (كلرموجونو) فى كتابته .

لكن هل يعنى ذلك كله أن يكون النبط قد سكنوا فعلاً شبه الجزيرة واستوطنوها ، أم هم قد قنعوا منها بمجرد ضمان مصلحتهم وتحقيق زعامتهم التجارية ؟ . المعقول أن هذه القبائل — ما دامت حرفتها الرئيسية هى التجارة حتى لقد كانوا يحرمون الزراعة ويحكمون على من يزرع بالإعدام فيما يقول ديودور الصقلى — ما كان يعنيها من شبه الجزيرة إلا طرقها التجارية ، وما تأتى الرغبة فى السكنى والتوطن إلا فى المرتبة الثانوية ، إلى أن تغزوهم جيوش الرومان فى مواطنهم الرئيسية وتقضى على زعامتهم التجارية ، وتأتيهم قبائل أخرى من شبه الجزيرة العربية تسكن بلادهم ، وعندئذ فقط لا يبعد أن تلجأ قبائل منهم إلى وديان سيناء الجنوبية خاصة ، لما يتوافر فيها من ماء ونبات : تسكنها وتنزل فيها ، وإن كانت قد فقدت نفوذها وتلاشت شخصيتها فى الهجرات المختلفة التى جاءت إلى سيناء فى الفترات اللاحقة .

وسننتقل الآن إلى سلسلة من الموجات السامية الأخرى ، وصل تأثيرها إلى سيناء فى القرون السابقة أو اللاحقة مباشرة لبدء تاريخ المسيح حتى التوسع الإسلامى . لكن ينبغى أن نبرز ظاهرة تؤيدها الدراسة السابقة للهجرات السامية التى تعرضنا لها حتى الآن : تلك هى أن حدود النفوذ الشمالية والصحراء السورية كانت بمثابة المهد الذى

تخرج منه القبائل الرعوية التى رأيناها حتى الآن تغزو المناطق المجاورة لها فى أراضى الهلال وفى وادى النيل . وتلك حقيقة ثابتة فيما يختص بالموجات السامية التى حدثت فى العصور التاريخية القديمة ، لكن من الصعب أن نقول باستمرارها أو نربط بها كل حركات القبائل العربية قبيل الميلاد وبعده : فهناك ما يحملنا على الاعتقاد بأن كثيراً من هذه الهجرات المتأخره إنما جاءت من مناطق أخرى فى شبه الجزيرة غير المناطق شبه الصحراوية التى فى الشمال[1] . والكتابات العربية — كما سنرى — تكاد تجمع على أن أصل كثير من القبائل الشمالية القوية من الجنوب ، كما تكاد تجمع تلك الكتابات كذلك — معتمدة على ما كتبه (حمزة الاصفهانى) الذى عاش فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى وعلى ما جاء فى القرآن فى سورة سبأ[2] — على أن مرجع هذه الهجرات وانتشار القبائل الجنوبية شمالا فى بلاد الحجاز ثم انتقالها إلى المناطق الخصيبة ، هو إلى (سيل العرم) الذى هدم (سد مارب) . وليس هناك شك فى أن تهدم سد تعتمد الزراعة على ما يحجزه خلفه من ماء قد يؤدى الى مثل هذه الحركات ، لكن الأسلم أن نقيم للعوامل الاقتصادية الأخرى وزناً ، وأن نقدر آراء (هنتنجتون) وغيره ممن يقولون بأن الحالة المناخية — فى هذه المنطقة الصحراوية من آسيا — كانت تميل إلى الجفاف قبيل الميلاد حتى ظهور الإسلام ، وأن نعتبر ذلك عاملا فى هجرات القبائل أثناء تلك الفترة من التاريخ . وليس من الضرورى أن يكون الجفاف عظيما فأقل تغيير فى مقدار المطر فى مثل تلك المناطق الصحراوية يكفى لأن يغير الحالة الاقتصادية من أساسها ، والجفاف مهما كان بسيطاً يمكن — فى مثل هذه الأقاليم — أن تتأثر الحالة النباتية به تأثراً يدعو إلى تحرك القبائل وهجرتها .

---

(1) راجع : S. A. Huzayyin : *Arabia and the Far East; their Commercial and Cultural Relations in Græco-Roman and Irano-Arabian Times*, Cairo 1942, pp. 218-219.

(2) راجع كتاب سنى ملوك الأرض والأنبيا لحمزة الأصفهانى طبع برلين فى البابين السادس والسابع صفحتى ٦٣ و ٧٣ ، وراجع الآيات الخاصة بتلك القصة فى سورة سبأ وآراء المفسرين فى ذلك .

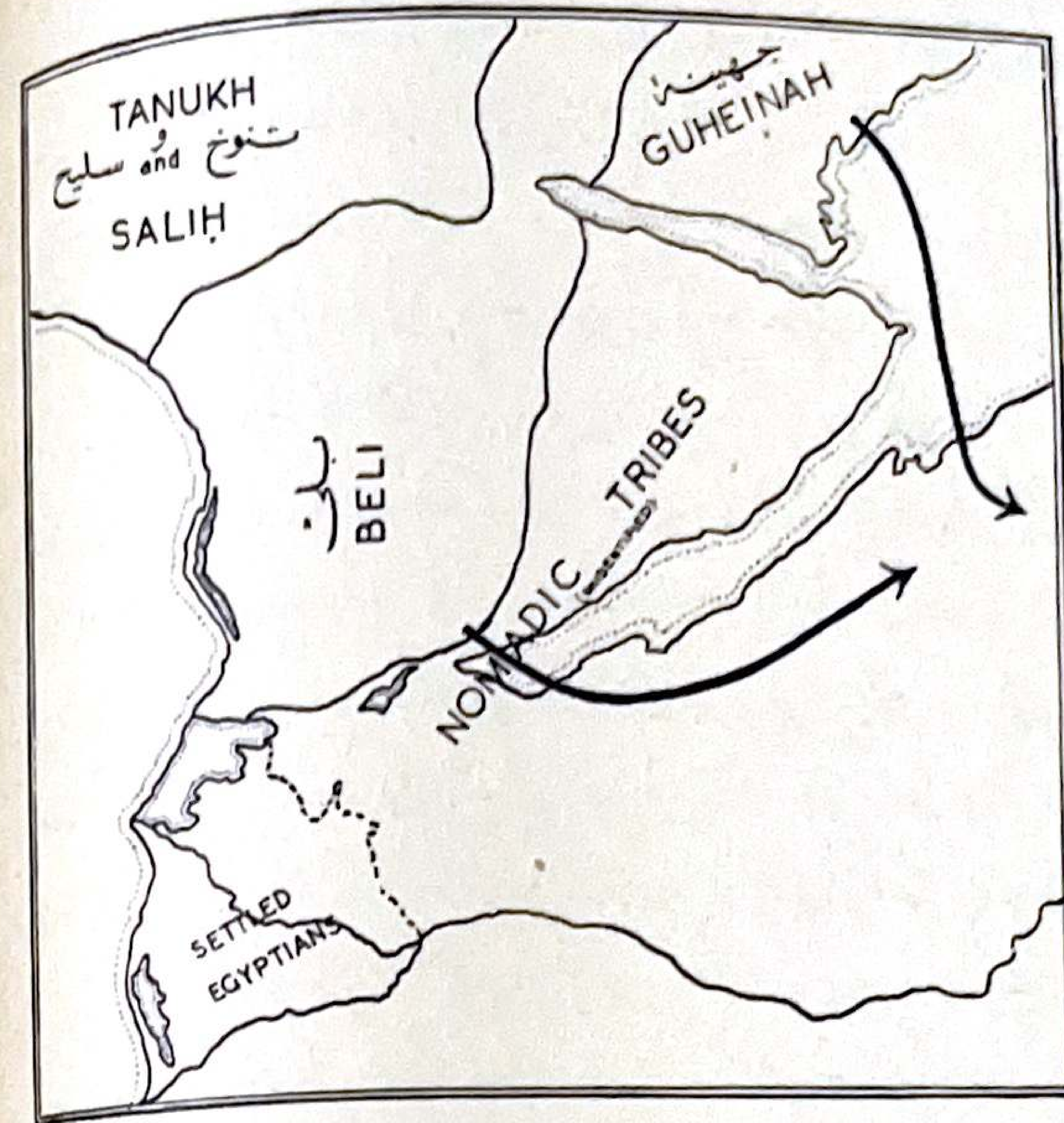
وأكثر هجرات هذه القبائل تأثيراً فى سيناء هى قبائل (قضاعة) الحميرية التى سكنت أولاً شمال الحجاز ، واضطرت حوالى القرن الميلادى الأول إلى أن تهجر بلاد الحجاز فتتفرق بطونها فى المناطق المجاورة ، وينزل على حدود سيناء الشرقية من تلك البطون (تنوخ) الذين سكنوا أرض النبط و (سليح) الذين هاجروا مع تنوخ ثم غلبوهم وكان لهم السلطان حتى انتزعه منهم الغسانسه ، ولا يبعد أن من هذه القبائل ما كانت تمتد مضاربها إلى بعض جهات سيناء الشرقية ، لكن بطون قضاعة التى تشير المراجع صراحة إلى أنها كانت تنزل سيناء هى قبائل (بلى) ، إذ يرى «الهمدانى» — وينقل عنه غيره — «أن منازل (بلى) فى حدود جهينة ، شمالا إلى تبوك ثم إلى جبال الشراه ثم إلى معان ، ثم راجعاً إلى ايله إلى المغار إلى الداروم — قرب غزة — ثم إلى الجفار غرباً إلى الفرما من حدود مصر[1]» . فهو بهذا يجعل أراضى (بلى) تشمل شمال الحجاز وأرض سيناء إلى برزخ السويس .

أما هجرات القبائل الكهلانية فما نجد فى كتابات جغرافيي العرب ومؤرخيهم كلاما صريحا عن مدى انتشار موجاتها فى شبه جزيرة سيناء فى الفترات الأولى من تحركها ، وما نجدهم يفصلون الكلام فيها إلا عن قبائل غسان التى ورثت (سليحا) على حدود الدولة الرومانية واستعملهم الروم فأصبحوا سادة العرب على حدود سيناء الشرقية . لكن ما يصح أن نتجاهل قبائل كهلانية نزلت الى جوار منازل «غسان» لها أهميتها منذ الفتح الإسلامى فى الشام ومصر ، سنجد بطونها تنتشر فترث أرض الغسانيين ، وتنزل نواحى سيناء المختلفة بل وتتجاوزها غرباً إلى وادى النيل . والمعروف من هذه القبائل (طىء) سكنت هى واخوتها (بنومره) شمال الحجاز أولاً ثم تداخلوا فى أرض الغسانيين ، وقوى نفوذهم فى أواخر أيام البيزنطيين[2] . والبطون المهمة من (طىء) واخوتهم ،

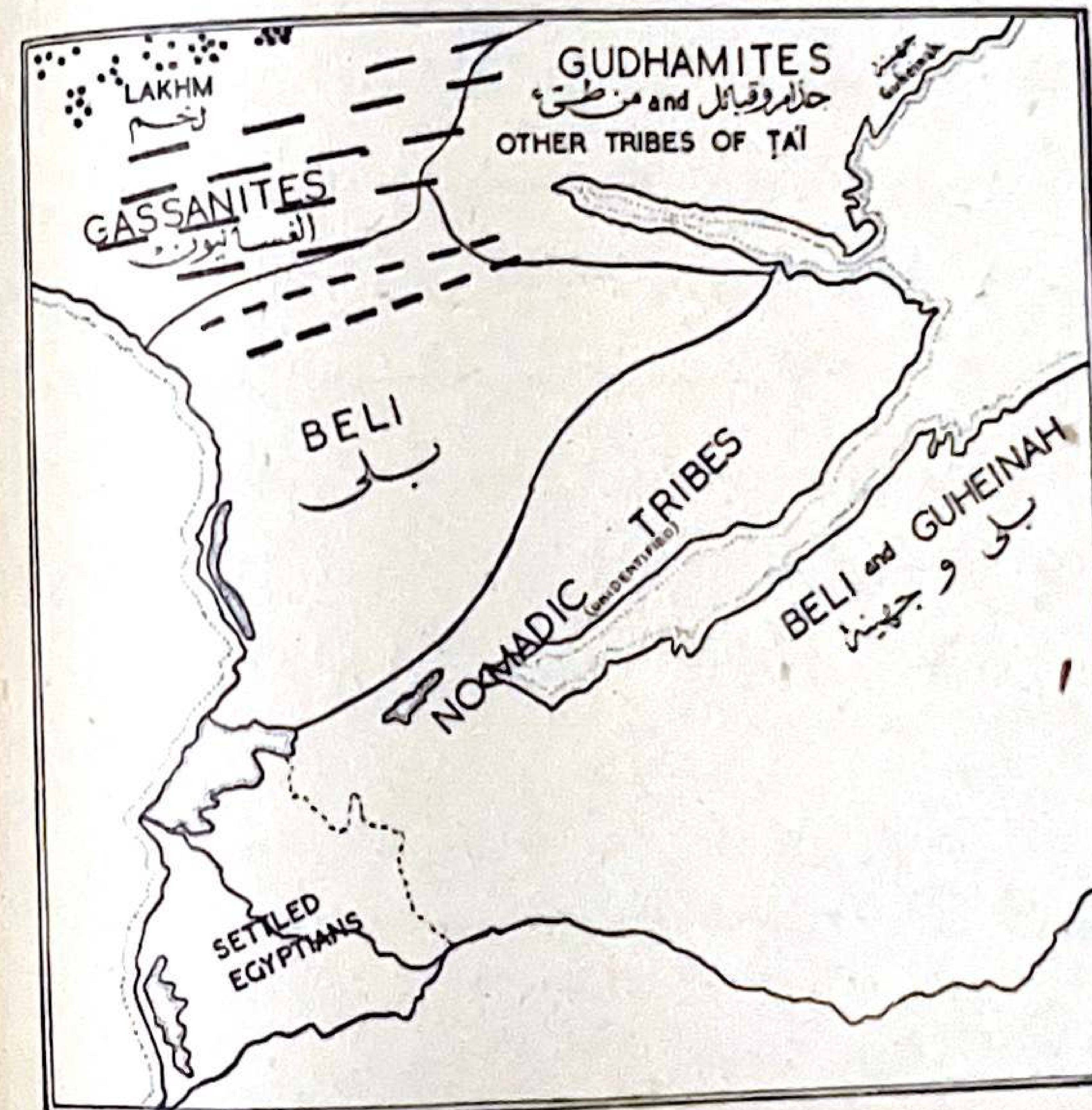
---

(1) صفة جزيرة العرب للهمدانى صفحة ١٣٠ جزء أول طبع ليدن ١٨٨٣ ، وراجع الجزء الثانى من كتاب العبر لابن خلدون طبع بولاق صفحتى ٢٤٧ و ٢٤٨ .

(2) راجع ابن خلدون فى كتابه العبر جزء ٢ صفحة ٢٥٧ .



Earliest Southern Arab Drift.
The Himyaritic Branch of Kuda'a (about the first Century A.D.)



First Kahlanite Drift.
About the 2nd or 3rd Century A.D.

البطون التى سكنت المناطق المجاورة لسيناء وانتشرت بعد ذلك فى شبه الجزيرة ، هى (جذام ولخم) : أما (جذام) فكانت ديارهم حول (ايله) ، وكانت لهم رئاسة فى (معان) وما حولها ، وإذا كانت (جذام) قد تفرقت من مواطنها هذه وتوزعت فى مناطق كثيرة ، فسنصادف بقاياها حتى الآن فى شعب (بنى عقبة) الذى ينسب (الحويطات) حول خليج العقبة اليه ، كما ظل شعب (العائذ) من جذام يتولى لعدة قرون ضمان الطريق من مصر إلى رأس خليج العقبة حتى ضعفت أهمية ذلك الطريق [1] . وأما (لخم) فالمعروف أنهم انفصلوا عن (بنى طىء) وهاجروا أولاً إلى حدود بلاد فارس ليعملوا للساسانيين هنالك ، لكن منهم من هاجر فسكن فى جوار مساكن الغساسنة ثم انتشر حولها فى أوائل الفتح الإسلامى [2] . يضاف إلى جذام ولخم (آل ربيعة وسنبس والثعالب وبنوصخر) وكلها بطون حلت محل الغسانيين ، وستفيدنا فى دراسة انتشار القبائل فى سيناء بعد ذلك .

وقبل أن ننتقل إلى دراسة الهجرات التى دفع بها التوسع الاسلامى إلى الشام ومصر ، والقبائل التى مرت بسيناء أو سكنتها منذ ذلك الوقت ، لا بد لنا من الإشارة إلى أولئك (الرهبان المسيحيين) الذين سكنوا شبه الجزيرة فى القرون المسيحية الأولى ، والذين لا يزال يمثلهم أولئك الرهبان الذين يسكنون الآن فى الوديان الجنوبية وبخاصة حول دير (سانت كاترين) . وقد بدأت هجرات هؤلاء المسيحيين نتيجة لتلك الاضطهادات التى تعرض لها المسيحيون فى القرون الأولى ، وفراراً من تلك المذابح التى يشير اليها (Dionysius و Eusebius) [3] . ثم اشتدت تلك الهجرات منذ أوائل القرن

(١) راجع الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك جزء ٩ صفحة ٢٠ .

(٢) راجع حمزة الأصفهانى فى كتابه السابق صفحتى ٦٣ و ٦٤ وراجع (ماكمايكل) فى كتابه عن العرب فى السودان جزء ١ صفحتى ١٣٩ و ١٤٠ .

(٣) راجع Murrays : *Handbook for Syria and Palestine* (1875), p. 67.
وراجع E. Robinson : *Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions*, p. 127.

الرابع حين قويت الحركة الدينية وانتشرت الرهبنة فى مصر ، انتشاراً يقول عنه (ملن) إنه سبب متاعب كثيرة نظراً لهذا العدد الكبير الذى انتظم فى سلكها لأسباب قد يكون التقرب إلى الله آخرها[1] !! . فكثر عدد الرهبان فى سيناء حتى زادوا على ستة آلاف راهب ، وبدأنا منذئذ نسمع عن قسيس سيناء حين تأسست أول كنيسة فى شبه الجزيرة على يد القديس (چوليان)[2] .

والظاهر أن جنوب سيناء كان من المناطق التى يرغب الرهبان فيها كثيراً ، ويفضلونها على المناطق الصحراوية الأخرى التى تخلو من معابد الرهبان وأديرتهم ، وقد يكون لارتباط هذه المنطقة باسطورة خروج الاسرائيليين ، ولرهبة المنطقة الجبلية دخل فى هذا التفضيل ، لكن العامل الأكبر إنما مرجعه إلى أن هذه المنطقة منطقة غنية نسبياً بخضرتها ومائها ، وفى استطاعة الرهبان إذاً أن يتفادوا جدب المناطق الأخرى وفقرها . وما دامت منطقة (فيران) هى أغنى المناطق الجنوبية كلها فقد كانت هى مركز الرهبنة منذ القرن الرابع ، وكان بها رئيس دينى ومجلس دينى ، وظلت كذلك صاحبة السيادة حتى نازعتها منطقة (سانت كاترين) ، حين بنى الدير فيها ووجد الرهبان أن فى إمكانهم أن يحموا أنفسهم بين جدرانه إذا هاجمهم البدو الذين كانوا مصدر خوف كبير[3] . على أن ذلك لم يبلغ أشده إلا حوالى القرن العاشر حين قوى نفوذ البدو بانتشار الإسلام وآثار الرهبان فى جنوب سيناء تدل على أنهم استفادوا من المنطقة إلى أقصى جهدهم[4] ،

(1) G. Milne : *A History of Egypt under the Roman Rule*, pp. 155-157.

(2) Spenser Palmer : *Sinai from the 4th Egyptian Dynasty to the present day*, p. 128.

(3) ترجع غالبية الكتاب بناء الدير الى (جستنيان) حين لجأ اليه الرهبان ليحميهم ضد غارات البدو فأمر ببناء دير لهم روعى فى بنائه ان يكون على شكل حصن يتحصنون فيه ، وارسل لحمايته فريقاً من (الصربيين) يراهم غالب الكتاب الحديثين اصل «الجبالية» الحاليين الذين يسكنون فى كنف الرهبان ويعملون فى خدمتهم الى الآن .

(4) يمكن دراسة آثار الرهبان وبقايا سكنى المسيحيين فى :
a) Weill : *La Presqu'île du Sinai* (1908), p. 194.
b) *Ordnance of Survey*; Sinai, pp. 196-x.

لكن لا شك فى أن نشاط هؤلاء الرهبان فى استغلال مناطق سكناهم فى شبه الجزيرة قد عاقه وأضعفه هجوم البدو واعتداؤهم عليهم ، اعتداء كان يدعو اليه التباين الكبير بين فقر البدو وغنى الرهبان ، وكثيراً ما كان يأخذ شكل المذابح كما تنص على ذلك مخطوطات الدير . وإذا كان الرهبان قد شعروا بشىء من الطمأنينة أيام قوة الرومان حين انتشرت الكنائس المسيحية فى بلاد العرب الصخرية فى القرن الخامس الميلادى ، وقام فيها كرسى دينى عرف بكرسى (فلسطين الثالثة : Palaestina Tertia) امتدت فروعه إلى ايله وفاران وجبل سيناء وغيرها[1] ، فان تلك الفترة لم تطل ، إذ ما لبثت قوة الروم أن ضعفت فرجعت القبائل البدوية إلى الغزو من جديد ، وظهر الإسلام فاندفعت القبائل فى حماسها وفقرها تهاجم الرهبان وتعتدى عليهم ، الشىء الذى نقص بسببه عدد الرهبان ، والذى اضطروا معه إلى أن يهجروا المناطق المتفرقة فى سيناء ليعيشوا جميعاً متقاربين فى حمى الدير يتحصنون ساعة الخطر بأسواره ، .. وسنراهم فى القرون التالية يستعينون بقبائل من الحجاز يسكنونها أراضيهم ويؤجرونها لحمايتهم من اعتداء البدو ، لكن ذلك كله كان علاجاً وقتياً ، وكثيراً ما تشير مخطوطات الدير الى أن الرهبان قد قفلوا الدير وهموا مراراً بهجرته نهائياً .

يأتى الإسلام وسيناء ينزل على حدودها ويمتد إلى بعض نواحيها الشرقية قبائل كهلانية من (غسان) و (لخم) و (جذام) ، فلما امتدت الفتوحات الاسلامية شمالا كان لا بد من أن يتفرق النصارى من أولئك العرب ومنهم غالبية غسان ، فينزل جزء منهم (أرض الجفار) فى شمال سيناء حتى كان منهم حكام (تنيس) نفسها : وقد ذكر بعض مؤرخى الفتح الإسلامى لمصر كيف أن الحصون على طريق الرمل الشمالى فى سيناء «كرفخ والعريش والوراده والبقاره» وغيرها قد سكنها قوم من هؤلاء العرب المتنصرة يؤدون المال للملك المقوقس ، كما ذكروا أن النجدة التى أرسلها (عمر بن الخطاب) عبر وسط

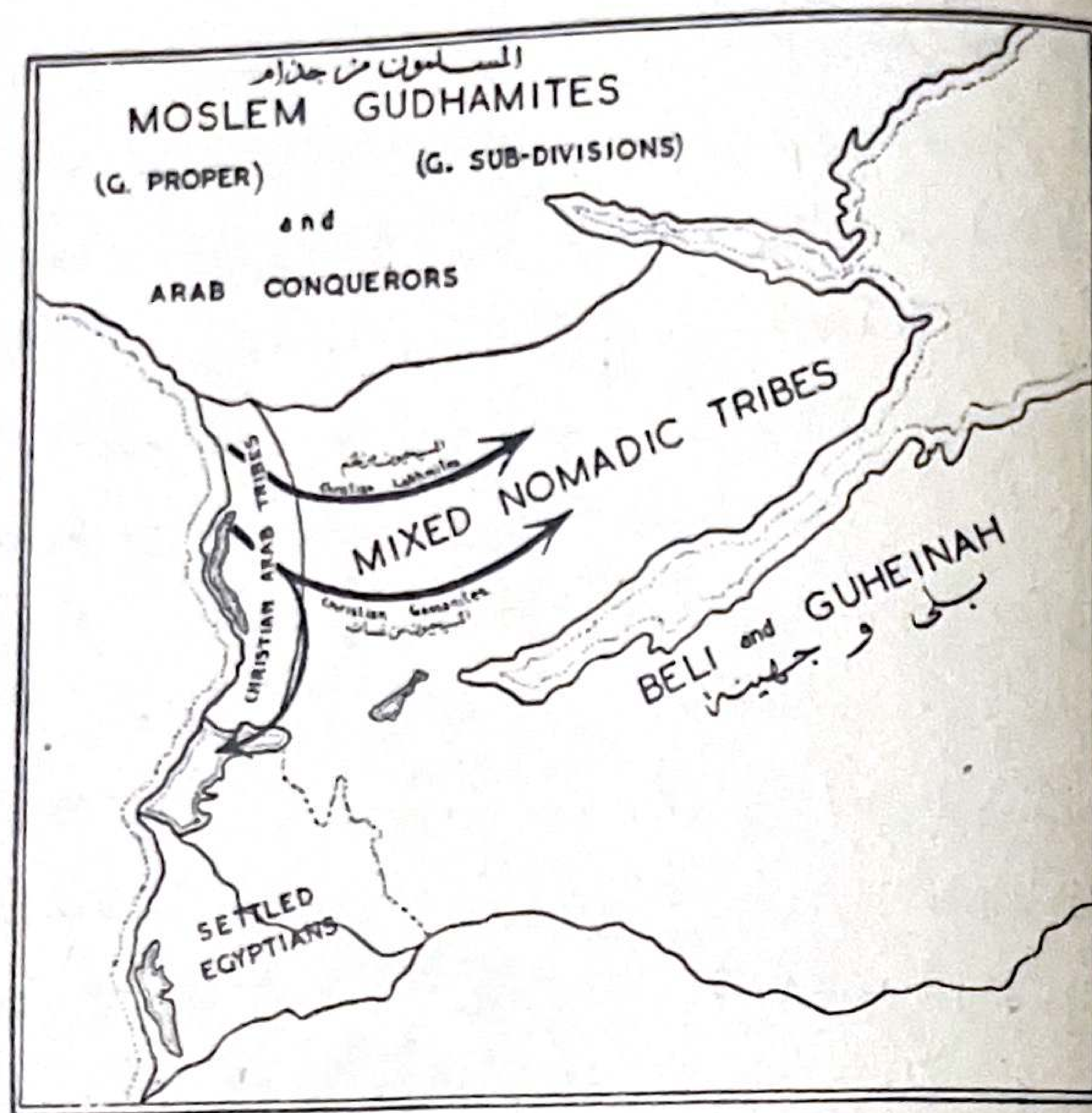
(1) راجع Ritter : *The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Pen.*, V. I., p. 7.

سيناء لمساعدة (عمرو بن العاص) «قد قابلت جمعاً هائلا يقرب من ثلاثة آلاف سألوهم فاذا هم من عرب غسان ولخم وعامله ، كانوا ببلاد الشام فلما ملك العرب وهزموا (هرقلا) طلبوا أرض مدين خوفاً من العرب وأقاموا بها[1] ..» . و (الهمدانى) الذى يكتب عن صفة جزيرة العرب ، والذى ينقل عنه باقى الكتاب الشرقيين والأجانب تحدث عمن تشاءم من العرب فيرى «أن مساكن لخم متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر فى الجفار، كما يرى أن من حسمة بن جذام بطناً يقال لهم بنو جرى ينزلون بالرمل..».

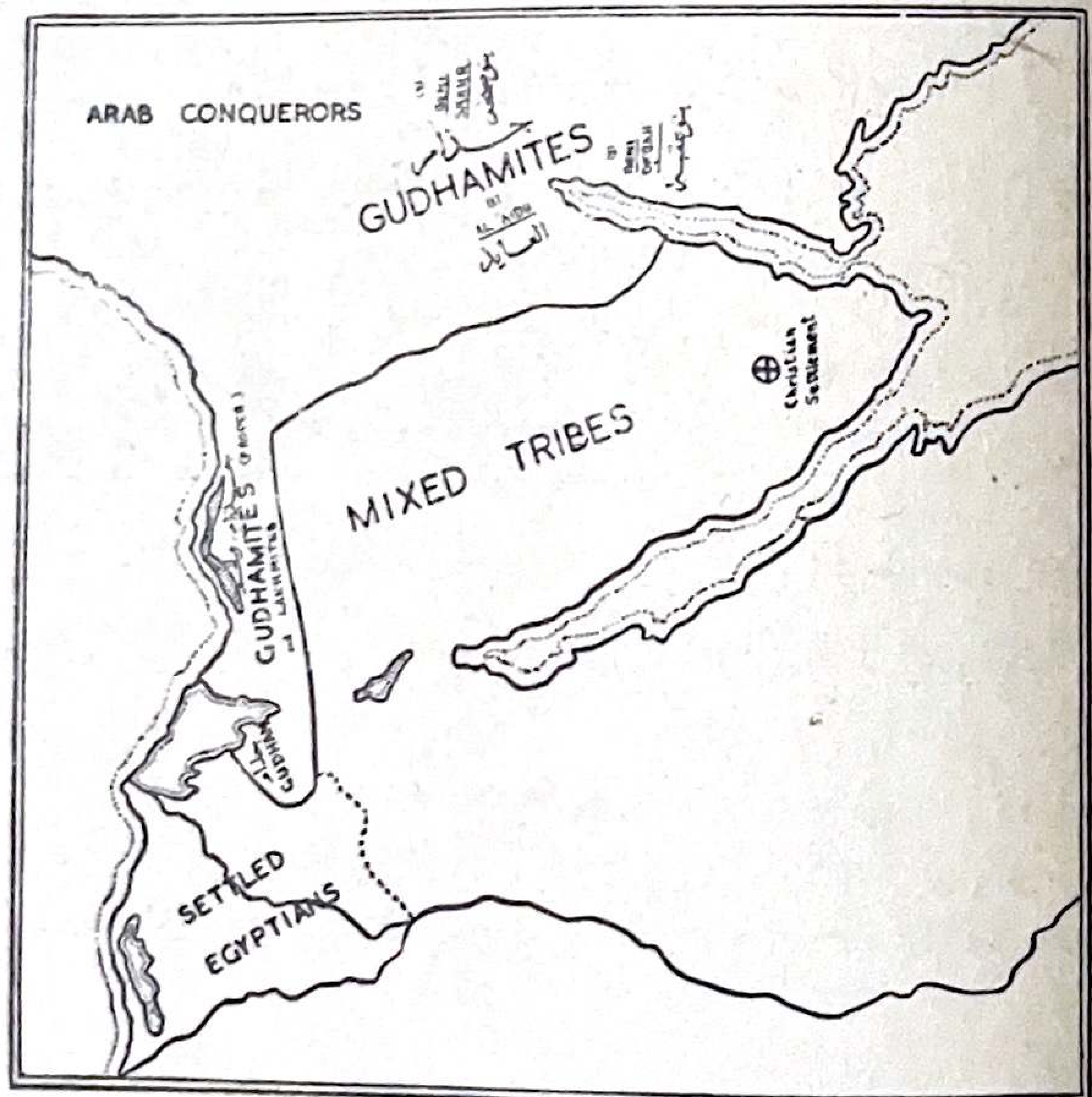
وإذا كانت القبائل العربية التى كانت تنتشر فى شمال الحجاز قد لجأت بعض بطونها أولاً إلى نواحى سيناء الشرقية والشمالية ، فان امتلاك المسلمين لمصر ، وتشجيع الولاة المتتابعين للقبائل على أن تنزح إليها ، والفرصة المتسعة التى كانت للعربى فى وادى النيل ، كل ذلك لم يدع أمام تلك القبائل حاجة إلى أن تنزل مثل تلك الجهات الصحراوية المجدبة فى سيناء ، وأصبحت سيناء طوال القرون الاسلامية الأولى طريق مرور فقط ، تعبرها القبائل بشكل لم تعهده فى فترات التاريخ السابقة . وكان من الأسباب الهامة الدافعة إلى تدفق القبائل على مصر عبر شبه الجزيرة مجىء الوالى الجديد الذى كان يرافقه جيش يقرب من ٢٠٫٠٠٠ مقاتل غالبيتهم من العرب وإن كانت منهم أقلية من الفرس والأتراك ، والذى كان وجوده فى الحكم مشجعاً للقبائل التى ينتمى اليها على أن تهاجر إلى مصر ، كما يدل على ذلك تحليل القبائل المختلفة التى هبطت مصرا فى عهود الولاة المتتابعين[2] . كذلك كان من الطبيعى أن يكون للحوادث التى أسقطت بعض الدول الاسلامية وأقامت بعضها أثر فى فرار بعض القبائل المهزومة إلى الولايات الاسلامية النائية ومنها مصر ، كما حدث عند ما حكم العباسيون إذ هبط كثير من الامويين أرض مصر فراراً من بنى العباس .

(1) راجع على سبيل المثال كتاب فتوح مصر والاسكندريه لأبى عبد الله الواقدى طبع ليدن صفحات ١٩ ومن ٦٣ الى ٦٦ و ١٣٣ و ١٣٤ .

(2) راجع MACMICHAEL : *A History of the Arabs in the Sudan*, V. I., pp. 159-161.



Before the Arab Conquest of Egypt



Immediately after the Arab Conquest of Egypt

كان من هذه القبائل المهاجرة ما يأتى مباشرة من بلاد الحجاز ، ومن المعقول أن تتخذ هذه القبائل طريقها إلى مصر فى مسالك سيناء الجنوبية والوسطى ، إذ ليس هنالك ما يدعوها إلى أن تتخذ ذلك الطريق الطويل إلى الشمال لتسلك طريق الرمل فى أرض الجفار ، . . وأمّا تلك القبائل التى كانت تهبط مصر آتية من بلاد الشام وصحراء سوريا فكانت تؤثر طريق الرمل الشمالى الذى رأيناه — فى دراسة الطرق — الدرب المطروق بين مصر والشام منذ أيام قدماء المصريين .

وليس هناك ما يدعو إلى أن نتعرض بالتفصيل لهذه الهجرات المختلفة التى مرت بسيناء فى القرون الاسلامية الأولى ، بل يكفى أن نلخص الكلام عنها تلخيصاً يقف عند حد تبيان موجاتها ، ما دام أنه لم يسكن شبه الجزيرة منها بطون تذكر ، بل مرت كلها بسيناء مراً . . . وفيما يلى ملخص لأهم تلك الهجرات ، استخلصنا القليل منه من الكتابات المتفرقة فى « صبح الأعشى ونهاية الأرب وقلائد العقيان » ، لكن المرجع الرئيسى — سيما فى الهجرات التى حدثت منذ أيام الامويين حتى نهاية حكم الايوبيين — إنما هو « البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب » ، كتبه المقريزى ، وعثرت عليه الحملة الفرنسية فاخذت النسخة معها ، ولخص (كاترمر) ما فيه ، ثم أصبحت هذه الوثيقة عمدة الكتاب الأجانب عن القبائل العربية فى مصر ينقلون عنه نقلا يكاد يكون حرفياً[1] .

أيام الفتح الإسلامى وحكم الخلفاء الراشدين :

الكتابات عن القبائل التى عبرت سيناء أيام الفتح الإسلامى متضاربة ، ولعل ذلك راجع إلى أن أول من وصلت الينا كتاباتهم هم مؤرخو القبط الذين كانوا

---

(١) راجع .a) Quatremère : *Mémoire sur les Tribus Arabes établies en Égypte.*

و b) راجع الفصل الأول الذى كتبه (ماكا يكل) فى كتابه تاريخ العرب فى السودان

c) Wüstenfeld : *Register zu den genealogischen Tabelln der Arabischen stäme und familien.*

يهتمون بتاريخ الأديرة ، وإلى أن معظم الكتابات العربية الأولى قد ضاع ، لكن يستخلص مما كتبه (القلقشندى) أن قبائل (جذام ولخم وبلى) وكثيراً من القبائل القرشية كانت أبرز الهجرات التى عبرت سيناء مع الفتح الإسلامى[1] .

أيام الأمويين والعباسيين :

الهجرات فى عهد الأمويين والعباسيين معظمها قرشى من بنى أميه وبنى العباس ، ويذكر الكتاب من الهجرات البارزة التى قطعت سيناء هجرة (قيس عيلان) عام ٧٢٧ ميلادية ، جاءت من أعالى نجد فى ولاية هشام بن عبد الملك ، إذ نقل منهم نحواً من ٣٠٠٠[2] ، ثم كثر عددهم بعد ذلك ، ومكن لقيس فى الحوف الشرقى حتى صاروا قوة لها خطرها هنالك . . . وهجرة (أولاد الكنز من ربيعة) ، الذين كانوا ينزلون اليمامة أولاً ، ودخلوا أرض مصر عبر سيناء أيام المتوكل على الله حوالى عام ٨٥٤ م فى عدد كبير[3] .

أيام الطولونيين :

استمرت القبائل العربية تعبر سيناء فى كثرة واستمرار من بلاد الحجاز ونجد منذ الفتح حتى أيام الطولونيين ، لكنا ابتداء من منتصف القرن التاسع الميلادى ، نجد الخلفاء يرسلون إلى مصر تركا ، ولم تعد مصر تحكم — إذا نحن استثنينا

---

(١) راجع صبح الاعشي للقلقشندى ، طبع المطبعة الاميرية ١٩١٤ جزء ثالث فى « الكلام عن قواعد مصر المستقرة » من صفحة ٣٢٩ الى ٣٣٣ عند ما يتكلم عن « الفسطاط » .

(٢) راجع البيان والاعراب ص ٦٤ ، . . وراجع المقريزى فى الخطط فى النسخة التى اعتنى بها المستشرق (Gaston Wiet) فى الجزء الاول من القسم الثانى صفحة ٣٣٥ فى ذكر « نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا » .

(٣) راجع البيان والاعراب صفحة ٤٨ .

فترة الفاطميين — بالعرب بعد ذلك[1] ، وبهذا نجد أن الهجرات العربية من بلاد الحجاز قد قل مجيئها إلى مصر عبر سيناء عما كان عليه ، سيما وأن العناصر الجديدة من الحكام — كابن طولون — لم تكن تحابى العرب أو تقربهم ، حتى رأينا قبائل كانت تسكن وادى النيل نفسه لا تتحمل حكم أحمد بن طولون فتفضل الابتعاد عن دائرة سلطانه بأن تهاجر إلى بلاد البربر وبلاد السودان[2] .

أيام الفاطميين :

استولى الفاطميون على مصر وبسطوا نفوذهم عليها وعلى سوريا فى القرن العاشر ، ورأوا فى بعض القبائل العربية النازلة ببلاد الشام ما يخيفهم ، ولم يجدوا وسيلة يأمنون بها جانبها ويستفيدون منها خيراً من أن ينزلوها أرض مصر : فنرى الخليفة الفاطمى (العزيز أبو منصور) يدعو بطون (قيس من بنى سليم وبنى هلال) إلى أن يسكنوا مصر ، كذلك يلمس الوزير (الناصر للدين أبى محمد اليازورى) فى منتصف القرن الحادى عشر قوة (سنبس) — إحدى بطون (طىء) التى كانت تسكن حول غزة فى جنوب فلسطين ، وتقلق بال الفاطميين — فيأتى بهم إلى مصر وينزلهم مديرية البحيرة فى وادى النيل[3] . ولم تكن (سنبس) هى القبيلة الوحيدة التى اضطرها الفاطميون إلى أن تهجر بلاد الشام لتأتى إلى مصر عبر الطريق الشمالى فى سيناء بل أتت قبائل أخرى من (طىء) حتى زاد نفوذ هؤلاء العرب فى مصر زيادة كبيرة فى آخر أيام الفاطميين .

(١) راجع Stanley Lane-Poole : *A History of Egypt in the Middle Ages*, p. 30.
(٢) راجع الجزء الاول من تاريخ العرب فى السودان لما كا يكل صفحة ١٦٦ .
(٣) راجع البيان والاعراب صفحة ٢٤ ، وكتاب تاريخ العرب فى السودان صفحتى ١٣٥ و ١٣٦ .

أيام الايوبيين :

وإذا كان الفاطميون قد اضطروا بعض بطون (طىء) إلى أن تترك بلاد الشام لتسكن مصر ، فان بطونا كثيرة من طىء ظلت فى بلاد الشام جنوب فلسطين ، تمتد مضاربهم الى حدود مصر (كجرم وثعلبة)[1] ، وكانوا قوة انضمت إلى الفرنج ضد المسلمين ، فلما انتصر صلاح الدين وأخذ بلاد الشام وفيها غزة ، اضطر قبائل كثيرة من (ثعلبة) إلى أن تهاجر إلى مصر كما اضطر افخاذا من (جرم) إلى أن تعبر سيناء ليسكنها الحوف الشرقى فى مناشر جذام[2] .

هذه هى الهجرات الرئيسة التى عبرت سيناء منذ الفتح الاسلامى حتى نهاية حكم الايوبيين فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، أما بعد ذلك التاريخ فانا نجد المماليك البحرية يحكمون مصر ، وبهذا يتم عزل العرب سياسياً اذ لم يعد هنالك ما يدعو حكام مصر إلى أن يستعينوا بالقبائل العربية فى الحكم حتى يشجعوا هجرتها إلى مصر . . . لقد كان نفوذ العرب آتياً من قوتهم الحربية لكن الأتراك تفوقوا عليهم فى هذا المجال فلم يعد هنالك إذاً ما يدعو إلى تشجيعهم على الهجرة إلى وادى النيل . والواقع أنه يمكن أن يقال اجمالاً إن بدء حكم المماليك كان بالنسبة للهجرات العربية إلى مصر فاصلاً بين فترتين : فترة سابقة كان الحكام فيها يرحبون بالقبائل العربية ويشجعون هجرتها إلى مصر فتعج بها طرق سيناء وتعظم أهمية شبه الجزيرة فى مرور القبائل ، وفترة لاحقة اشتدت وطأة الحكام فيها على تلك القبائل ، شدة قابلها العرب فى مصر بسلسلة

(١) يعدد القلقشندى افخاذاً كثيرة من هذه القبائل فى كتابه (نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب) من صفحة ٩٣ الى ١٧٧ .
(٢) راجع البيان والاعراب صفحات ٢٢ — ٢٤ ونهاية الأرب صفحات ١٦٥ و ١٧٦ — ١٧٧ .

من الثورات[1] لم يجحوا فيها بل أخمدت تماما وآثرت بعض القبائل أن تترك مصر، فيلجأ عدد منها إلى الصحراوات المجاورة ويعبر عدد آخر سيناء راجعاً إلى فلسطين.

* * *

المهم أن مركز سيناء قد تغير ابتداء من القرن الرابع عشر، فقد رأيناها منذ الفتح الاسلامى مجرد قنطرة تعبرها القبائل المختلفة من بلاد الحجاز وأراضى الشام فى طريقها إلى وادى النيل، لكنها منذ ذلك التاريخ أصبحت منطقة تلجأ اليها القبائل وتنزل فيها. وهذا المركز الجديد لسيناء يمكن أن نعزوه إلى العاملين الآتيين بوجه خاص: —

الأول: ما وصلت اليه حالة العرب فى وادى النيل تحت حكم المماليك من سوء لم يعد يرون معه ما يدعو الى تفضيل مصر على الصحارى المجاورة: فهم كانوا يجدون فيها مكمنا يمكن أن يهاجموا المماليك إن شاءوا منه، وهم يستطيعون أن يغزوا الأراضى الزراعية وينهبون منها ما يريدون ثم يعودون بعد ذلك إلى تلك الصحراء آمنين بطش المماليك.

الثانى: هذه الأهمية الجديدة لسيناء التى أصبحت لها حين تحول طريق الحج اليها، ذلك التحول الذى رأيناه يتم فى منتصف القرن الثالث عشر، حين ضعفت أهمية طريق الصحراء الشرقية إلى ميناء (عيذاب) ثم إلى موانى الحجاز. ولقد أصبح لسيناء هذه

---

(1) يمكن الرجوع فى دراسة هذه الثورات الى اخبار المماليك سيما فى كتاب (السلوك فى أخبار دول الملوك) للمقريزى، وهو مخطوط بدار الكتب طبع الاستاذ زياده بعض أجزائه. وأهم تلك الثورات ثورة ١٢٥٣ التى بدأت فى الصعيد وانتشرت فى الدلتا، وثورة ١٢٩٩ التى انتهز العرب فيها فرصة هزيمة المغول للمماليك فثاروا.

الأهمية منذ جحت (شجرة الدر) بطريق الوسط وسير فيه (الظاهر بيبرس) قافلة الحج عام (٦٦٥ هـ — ١٢٦٧ م)[1]. وهذه الأهمية الجديدة التى استمرت حتى قرب نهاية القرن الماضى كان من شأنها أن تجذب بعض القبائل العربية إلى العمل فى نقل الحجاج، فقد كان يجد هؤلاء العرب ربحاً وفيراً فيما يدفعه حكام مصر أجرا لهم على حراسة القافلة والدركات، كما كانوا يجدون مجالا متسعاً يشبعون فيه طبيعة النهب والسلب التى كانت تشتد إبان ضعف الحكام[2].

فاذا جئنا نوزع تلك القبائل التى نزلت سيناء منذ تلك الفترة، فالعوامل الجغرافية هى التى تحدد توزيعها وتعين أماكن نزولها فى المناطق الآتية: —

١ — المنطقة الشمالية بين بلاد الشام ومصر، فهذا الجزء من سيناء أكثر جهات شبه الجزيرة مطراً، وهو تبعاً لهذا غنى بالنبات سيما فى الجهات الشرقية القريبة من فلسطين حيث يمكن أن يزرع شىء من الشعير وحيث يتوافر المرعى هناك نسبياً. كذلك لا ننسى أن طريق الرمل الشمالى كان طريق التجارة والغزو بين مصر والشام، يستطيع أن يعمل البدو فيه فى نقل المتاجر والاشتراك فى الغزوات، كما أنه لم يكن هنالك ما يمنعهم من أن يعتدوا على تلك القوافل وهذه الحملات، وذلك عمل كان محبباً جداً اليهم وكانوا يجنون من ورائه ربحا كثيراً.

٢ — مناطق مرور طريق الحج، الذى كانت تقسم دركاته، وتتولى كل قبيلة جزءاً من حماية الطريق وحراسة قافلة الحجاج، على أن هذا لا يمنع من أن بعض القبائل كانت تتجاوز منطقة طريق الحج فتمتد مضاربها فى وديان سيناء الجنوبية التى يكثر

---

(1) راجع ما كتب فى القسم السابق عن أهمية وسط سيناء كطريق للحجاج.

(2) يمكن ان يجد القارىء تفصيلا تاما عن الارزاق التى كانت تدفع للبدو الذين يتولون حراسة طريق الحج، وان يجد حوادث لا تحصى لنهب قوافل الحجاج وسلبها فى كتاب درر الفرائد المنظمة الذى سبقت الاشارة اليه.

ماؤها ويتوافر فيها النبات بدرجة كبيرة . أما الهضبة الواقعة شمال طريق الحج فما كانت تغرى هؤلاء البدو كثيراً : إذ لم تكن هى طريقاً مطروقاً فى التجارة والغزو كما أن الماء والحشائش فيها أقل كثيراً مما يمكن أن يصادفه البدو فى الشمال والجنوب .

ومعرفة توزيع القبائل فى هذه الجهات من سيناء فى ذلك الوقت البعيد أمر أساسى فى معرفة أصول التوزيع الحالى وبيان مدى ارتباط ذلك التوزيع بما كان عليه فى الماضى ، وسيسهل بهذا أن نقف على ما حدث من تغيير لكن لن يسهل دائما فهم أسباب ذلك التغيير ودواعيه . والكتابات الموجودة تعتمد على ماكتبه (الحمدانى) عن توزيع القبائل فى مصر والشام ، وهى كتابات لم نعثر على أصولها لكنا وجدناها متفرقة فيما كتبه الكتاب بعد ذلك ، أمثال (ابن فضل الله العمرى والقلقشندى وابن خلدون)[1] ، وهى كتابات نراها متفقة اتفاقاً يكاد يكون تاماً على ذلك التوزيع ، مما يرجح اعتمادها على مصدر واحد ، ومما يدعو الى الاكتفاء بذكر ما جاء فى واحد منها ، وليكن (القلقشندى) فى كتابه (نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب) مثلا .

والذى يرجع إلى هذه الكتابات يرى أن القبائل التى يشار إلى وجودها فى شمال سيناء بين مصر والشام غالبيتها الكبرى بطون من (ثعلبة طىء) من القحطانيين ، كانت تنزل «مشارق الديار المصرية ومغارب البلاد الشامية» ، يجاورهم ناحية غزة إلى الجبل وبلد الخليل (بنو جرم) من طىء أيضاً ، الذين نقل (صلاح الدين) انفاذاً منهم إلى الديار المصرية . أما باق القبائل التى ذكرت فى الشمال فهى قبائل قليلة لم يعرف الكتاب نسبها لأن «الحمدانى» فيما يذكرون لم يذكر لها نسبا ، وإن كان غيره قد رد بعض تلك القبائل إلى أصولها فكمل بذلك ما تركه الحمدانى ناقصاً .

---

(١) راجع الجزء الثالث من مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى فى الباب الخامس عشر الخاص بذكر العرب الموجودين فى زمانهم واماكنهم (فتوغرافية بدار الكتب المصرية) ؛ . وراجع نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب ص ٦٣ وما بعدها ؛ . وراجع ابن خلدون فى الجزء الثانى من كتابه العبر .

وبطون (ثعلبة) التى ذكرها الحمدانى ونقلها عنه كتاب العرب فى القرن الرابع عشر هى[1] — :

آل عمران : بطن من ثعلبة طى القحطانية ، منازلهم مع قومهم ثعلبة مشارق الديار المصرية ومغارب البلاد الشامية .

الجبانيون : بطن من ثعلبة طى القحطانية ، منازلهم مع قومهم ثعلبة بأطراف مصر مما يلى الشام .

الصبيحيون : بطن من بنى زريق من ثعلبة طى ، منازلهم مع قومهم ثعلبة بأطراف مصر مما يلى الشام .

السعديون : بطن من الصبيحيين من ثعلبة طى ، منازلهم مع قومهم ثعلبة بأطراف مصر مما يلى الشام .

الطليحيون : بطن من بنى زريق من ثعلبة طى ، منازلهم مع قومهم ثعلبة بأطراف مصر مما يلى الشام .

العقيليون : بطن من بنى زريق من ثعلبة طى ، منازلهم مع قومهم ثعلبة بأطراف مصر مما يلى الشام .

الغيوث : بطن من بنى زريق من ثعلبة طى ، منازلهم مع قومهم ثعلبة بأطراف مصر مما يلى الشام .

وهذا التوزيع ليس فى دقة ما ذكره (الهمدانى) فى توزيعه للقبائل التى تشاءمت ونزلت بطون منها فى شمال سيناء ، فقد رأيناه يحدد مناطقها تحديداً أتم مما ذكره (الحمدانى) ومن نقل عنه ، ولم يكتف كما اكتفى هؤلاء بأن يترك منازلها هكذا غامضة هذا الغموض الذى يحتار معه القارىء فى تعييننا فى تلك المسافة الطويلة من أرض الجفار

---

(١) اكتفينا فى هذا بما ذكره (القلقشندى) فى نهاية الارب فى معرفة قبائل العرب وفى قلائد الجمان فى معرفة قبائل العربان فهذا صورة مطابقة لما يكتبه الكتاب الآخرون .

بين مصر وبلاد الشام . والقبائل التالية هى التى ذكرها الكتاب الذين نقلوا عن الهمدانى دون أن يعرفوا أصولها ، وإن كانوا قد حددوا منازلها تحديداً أدق من منازل القبائل السابقة : —

الأخارشة — يذكر الحمدانى أن بطناً منهم تنزل فى (قطيا) بأرض الجفار ولم ينسبهم إلى قبيلة، لكن المقريزى فى كتابه البيان والاعراب سماهم (الاغارسة) ونسبهم إلى ثعلبة[1] .

بنو بياضة — بطن من العرب مساكنهم بقطيا أيضاً من مشارق الديار المصرية على الدرب الشامى ، ينسبهم المقريزى إلى ثعلبة أيضاً لكن الهمدانى ينسبهم إلى جذام[2]

بنو صدر — يذكر الحمدانى أنهم بطن من العرب فى « الصدرية » وهى على طريق البر من الشام إلى مصر ، وقد ذكرهم المقريزى أيضاً ولم ينسبهم — كالحمدانى — إلى أصل ما .

وظاهر من هذا التوزيع كله أن شمال سيناء كان من مساكن « ثعلبة » فى القرن الرابع عشر ، وهى القبائل التى قوى نفوذها فى جنوب فلسطين منذ القرن العاشر بدرجة رأينا معها أن حكام مصر ولا سيما صلاح الدين قد اضطروا الى ان ينقلوا أفخاذا منها إلى وادى النيل . هذا فى شمال سيناء أما فى الجنوب فالكتابة عن القبائل التى نزلت هناك قليلة ، والمرجع الوحيد الذى كان يفيد جداً فى هذه الناحية هو كتاب (درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة) ، لكن الجزء الخاص بدراسة توزيع القبائل وبيان دركاتها على طريق الحج غير موجود ، ولم تحتفظ كتب أخرى

(١) راجع المقريزى فى كتابه البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب صفحة ٦٩ .

(٢) راجع كتاب المقريزى السابق صفحة ١٩ ، وراجع كتاب الهمدانى فى صفة جزيرة العرب طبع ليدن جزء أول صفحة ١٣٠ .

بما جاء فيه حتى كان يمكن الاستفادة منها[1] . على أن الكتابات العربية قد تعرضت لذلك تعرضاً عاماً يمكن أن نخرج منه بهذا التوزيع التقريبى لقبائل سيناء التى كانت تسكن الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة : —

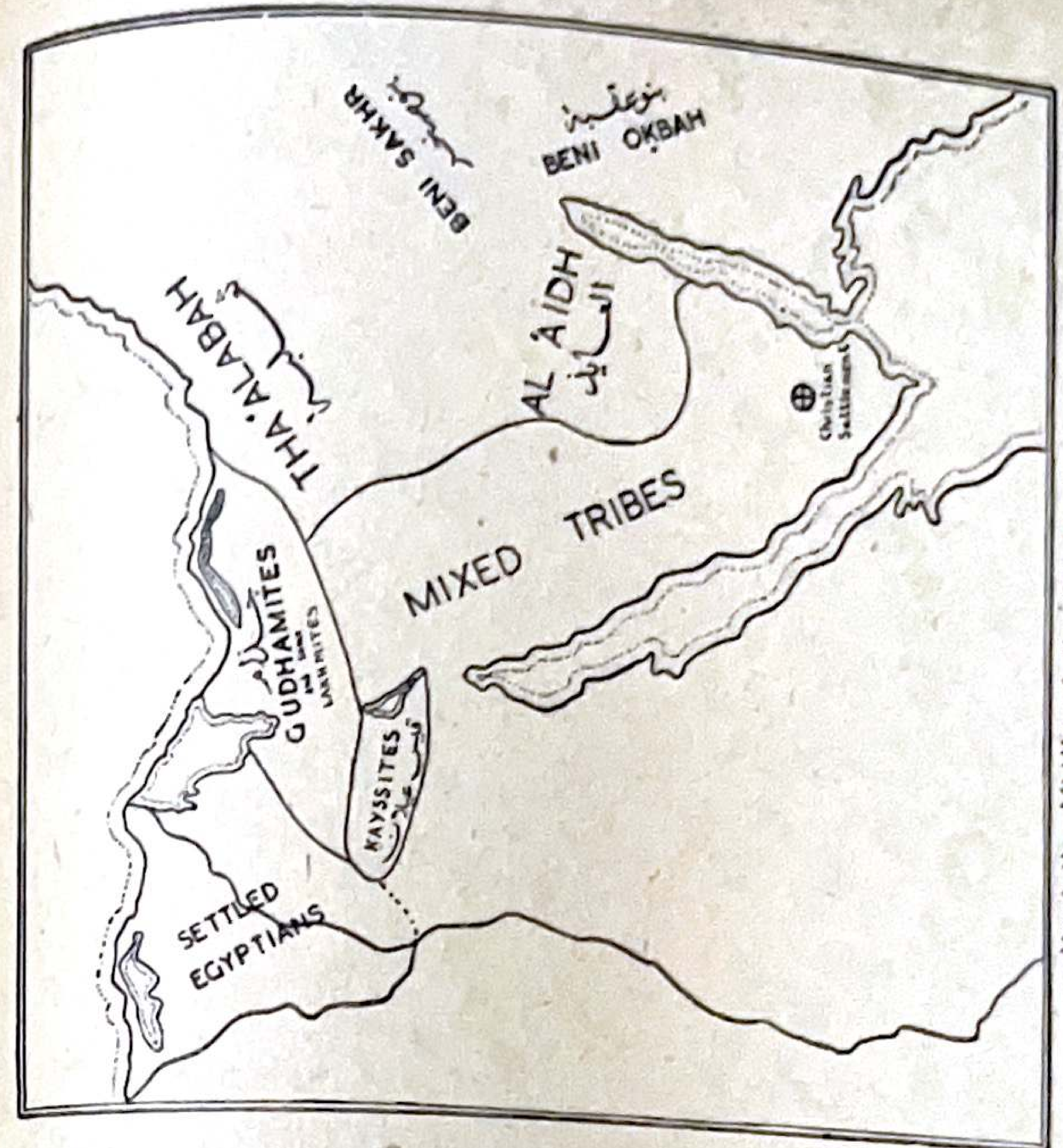
بنو عائذ (العائذ) — بطن من جذام من القحطانية ، يتفق الكتاب على أن مساكنهم كانت ما بين « بلبيس وعقبة ايله » ، ويذكرون جميعاً أن طريق مكة فيما بين القاهرة والعقبة كان لهم[2] .

بنو عقبة — بطن من جذام أيضاً ، كانوا ينزلون حول خليج العقبة ، كما كانوا يمتدون من شمال الحجاز إلى (الكرك) وكانوا يتولون الطريق فيما بعد العقبة[3] .

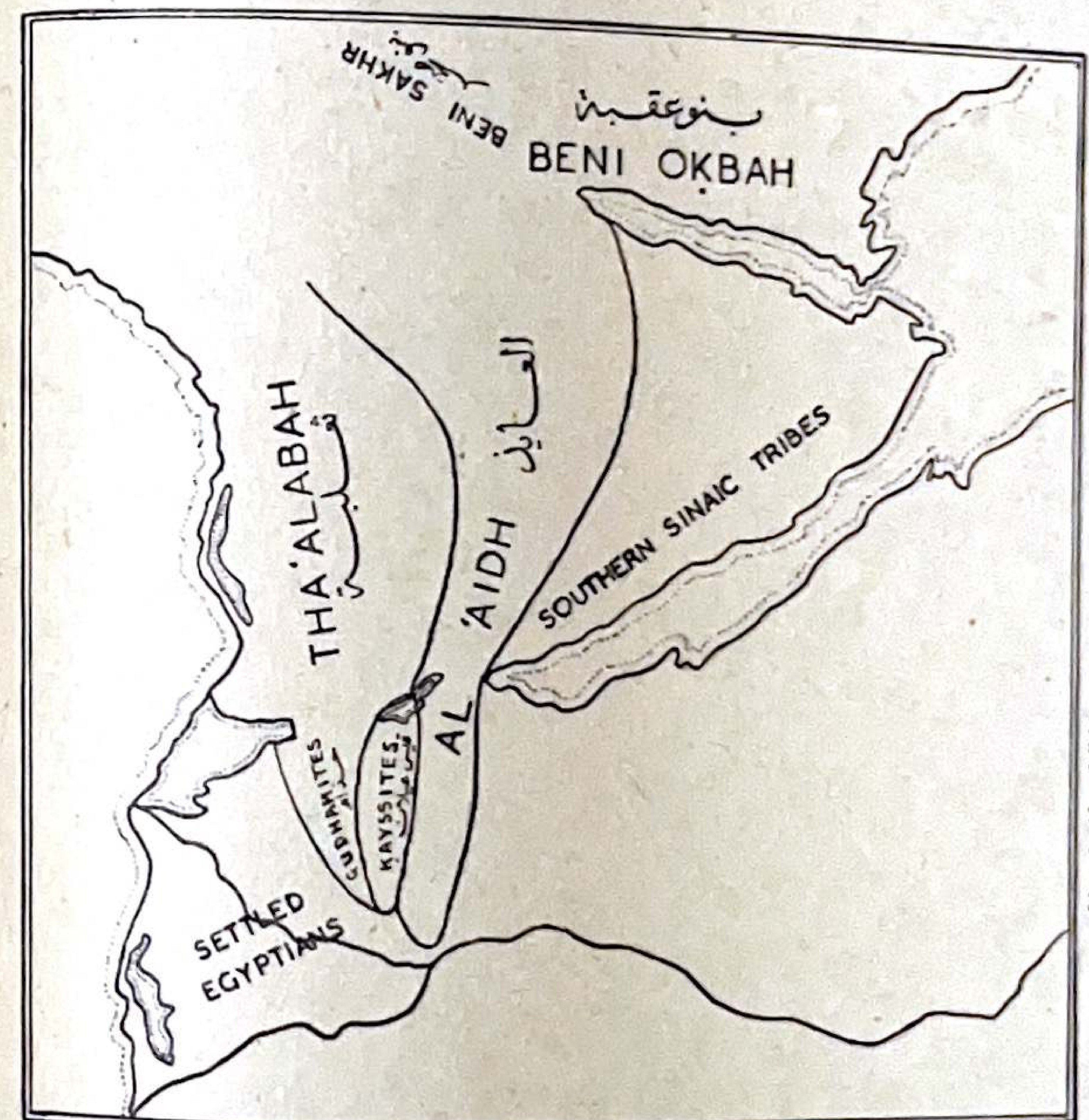
(١) هذا الكتاب مخطوط لا يعرف مؤلفه ولا سنة تأليفه ، لكن يغلب أنه ألف حوالى القرن ١٤ اذ لا يمكن أن يسبق التاريخ الذى كان طريق الحج فيه عبر سيناء موجودا . والجزء الأول منه مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية ، أما الجزء الثانى الذى يقول المؤلف عنه فى مقدمة الجزء الأول « انه يشمل فى الباب الخامس منه منازل العربان » فغير موجود .

(٢) راجع الكتب التى سبق أن أشرنا اليها كمسالك الأبصار وابن خلدون . ويمكن أن نأخذ على سبيل المثل ما كتب فى صفحة ٢٥٧ من كتاب نهاية الأرب السابق أو فى صفحة ٦٩ من كتاب البيان والاعراب .

(٣) راجع فى الكتب السابقة الكلام عن (بنى عقبة) .



About the Middle of the 8th Century A.D.



About the Middle of the 13th Century A.D.

* * *

قبائل سيناء التى هجرتها أو ضعف مركزها فيها : هنالك فترة تكاد تكون مظلمة فى تاريخ سيناء ، الكتابات فيها عن شبه الجزيرة — سيما فى ناحية القبائل وتوزيعها — كتابة ضئيلة لا تغنى ، والمعلومات فيها عن حركات القبائل ودوافع هجرتها إلى نواحى سيناء وتنقلها فيها تعتمد غالبا على الاستنتاج ، تلك هى الفترة الواقعة بين القرن الرابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر ، مع أن هذه هى الفترة التى سكنت سيناء معظم قبائلها الحالية ، وهى فى الوقت ذاته فترة صراع القبائل المختلفة بين بعضها وبعض من جهة ، وبينها وبين طبيعة شبه الجزيرة من جهة أخرى ، صراعا أدى فى النهاية إلى التوزيع الذى نراه الآن : فالعرف بين عرب سيناء يجرى بأن شبه الجزيرة قد شهدت تغييراً ملموساً فى قبائلها فى هذه القرون القليلة ، والسكان يجمعون على أن تبدلا كبيراً قد طرأ على القبائل هناك فغير من الأهمية النسبية للقبائل المختلفة ، من حيث قوتها العددية ، ومن حيث اتساع نفوذها أو انحلاله . وفى الإمكان أن نرجع كل هذا التغيير وذلك الصراع بين القبائل إلى عاملين رئيسيين : —

الأول — أن عظم أهمية سيناء فى المرور ، ومركزها كطريق رئيسى لنقل المتاجر بين مصر والشام ، وتحول طريق الحج إليها بين مصر وبلاد المغرب، من جهة وبين الأراضى المقدسة من جهة أخرى ، وما كان لبعض طرقها من أهمية خاصة بصفتها الطرق المؤدية إلى أراضى سيناء الجنوبية التى تقدسها بعض الطوائف المسيحية وتحج إليها كل عام ، كل هذا قد أغرى بعض القبائل فى مصر والحجاز والشام على أن تهاجر إليها لتتولى فيها عملية النقل وحراسة الطرق فى النواحى المختلفة لشبه الجزيرة ولتقوم بتقديم الإبل اللازمة للتجار والمسافرين . وتلك كانت حرفة رابحة جداً ، إذ كانت الحكومة المصرية تدفع للقبائل مبالغ طائلة مقابل حراستها لدركات طريق الحج المختلفة

وحماية قوافل الحجاج، وكان البدو يتحكمون فى أجور النقل ويغالون فيها مطمئنين إلى أن التاجر أو المسافر مضطر الى استخدامهم ما دامت مناطق شبه الجزيرة مقسمة بين القبائل المختلفة لا يسمح لقبيلة بأن تتجاوز حدود منطقتها ، مما يجعل المنافسة وما قد تؤدى اليه من تخفيض فى أجور النقل أمراً يكاد يكون معدوماً . يضاف إلى ذلك تلك المغانم العظيمة التى كان البدو يخرجون بها من نهب القوافل والمسافرين ، وقد كان ذلك أمراً عادياً فى تلك المنطقة التى لا يمكن أن يقال إنه كان للحكام عليها سلطان يذكر ، والتى كانت عمليات النهب فيها تتم بشكل منظم مريع .[1] مثل هذه المكاسب كانت دافعا إلى تطاحن القبائل فى سيناء وتقاتلها ، وكانت سبباً رئيسياً فى إضعاف بعض القبائل بعد قوتها واحلال قبائل جديدة مكان تلك القبائل التى لم تستطع أن تصمد أمام الموجات التى غزت أرضها ، وكان أمام تلك القبائل المغلوبة إحدى طريقتين : فإما أن تهاجر من البلاد كلية تتلمس المعيشة خارج سيناء فى مصر أو فى الشام ، وإما أن تستمر بعض عشائرها تسكن شبه الجزيرة فى كنف القبائل المغيرة محتفظة بشىء من ذاتيتها أو متلاشية تماماً فيها .

الثانى — وهذا العامل يأتى طبيعياً لاحقاً للعامل الأول ومتأخراً عنه — أنه حينما فقدت سيناء هذه الناحية من أهميتها فتحول طريق الحج عنها وقلت زيارات المسيحيين لها ، وحينما أضعف «محمد على» سلطة البدو وتحكمهم فى طرق سيناء المختلفة ؛ بأن حدد أجور النقل فلم يتركها لجشع البدو يغالون فيها كما يشاءون ، وأشرك الفلاحين المصريين فى حق التمتع بنقل البضائع والمسافرين مع عربان سيناء فأوجد لهم بذلك عنصراً منافساً ، وحين أخذ بالشدة اللصوص منهم والناهبين ، وضمن حفظ الأمن فى

(١) يمكن أن نتلمس نفوذ البدو هذا فى الكتابات السابقة لمحمد على ، مع ملاحظة أنه كثيرا ما كان نفوذ البدو وسلطانهم مما يحول دون زيارة بعض الرحالة لجهات سيناء .

يراجع بوجه خاص Pococke, *A description of the east and some other countries* (1743). ورحلة (فلنى) .

طرق سيناء بأن أغرى مشايخ القبائل فأسكنهم مصر واتخذهم بهذا شبه رهائن يستخلص بواسطتهم حقوق رعاياه كلما اعتدى عليهم البدو[1] . كل هذا قلل من أهمية سيناء فى نظر بعض القبائل وأضاع الجانب الأكبر من نواحى جاذبيتها إذ لم يعد فيها ما يغرى القبائل بسكناها . ومن هنا بدأت بعض القبائل تؤثر هجرتها هجرة نهائية لم ترجع بعدها اليها ، أو تحتفظ بنخيلها فيها فما تأتى اليها إلا وقت الحصاد لتجمع الثمر ثم تعود راجعة ، كما أصبحت نفس القبائل التى تسكنها تعتبرها مساكن مؤقتة لها ، تنزلها فى أشهر المطر وتقضى معظم الأيام خارجها ، تتلمس القوت لها ولحيواناتها فى أرض مصر أو الشام ، لأن طبيعة سيناء قاسية ، وموارد الانتاج فيها محدودة لا تسد فى شكلها الحالى حاجة سكانها بحال من الأحوال .

ومن الصعب أن نحدد تأثير هذين العاملين تحديداً دقيقاً : من جهة لانعدام تسلسل الكتابات عن سيناء فى تلك الفترة ، ومن جهة أخرى لأن ذلك التأثير لم يحدث فجأة وإنما أخذ مجراه بطيئاً وبالتدريج . وفيما يلى ملخص لما استطعنا أن نستخلصه من الكتابات المختلفة ، وما يجرى به عرف البدو بشأن تغير مركز بعض قبائل سيناء ، إما بالهجرة من شبه الجزيرة نهائيا ، وإما بتغيير مناطق سكناها أو ضعف قوتها بالنسبة للقبائل الأخرى . وسيكون من السهل أن نتلمس أسباب ذلك فى أحد العاملين اللذين اعتبرناهما أساس كل ما طرأ على مركز القبائل فى سيناء فى تلك الفترة من تغيير .

(١) تراجع جهود محمد على فى القضاء على سلطة البدو ، وموقفه منهم فى كتابات الرحالة الذين كتبوا عن عهده وفى المراجع الخاصة بتاريخ عصره ، ونوجه النظر فى ذلك الاتجاه بوجه خاص الى رحلة بركهاردت ١٨١٦ Burckhardt, *Syria and the holy land* (1822), vol. I, p. 459. والى لمحة فى تاريخ مصر لكلوت بك . (الأصل الفرنسى أو الترجمة العربية لمحمد مسعود) .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	أولا : فى الجنوب	
التبنــــة و المــواطرة	— فى كتابات الدير إشارات اليهما ترجع إلى أواخر القرن السادس عشر ، ولعلهما من القبائل التى استعان الرهبان بها أولاً على حماية أنفسهم ضد القبائل الأخرى ، ثم جاءت قبائل بعدهما أقوى منها فقضت على نفوذهما وأضعفتهما اضعافاً تاماً . وكان التبنة من سكان «فيران» الأصليين ، وذلك طبيعى ما دام هـذا الوادى هو أغنى جهات سيناء الجنوبية تطمع القبائل المختلفة فى سكناه .	— لا يزال بقايا التبنة يزرعون فى وادى فيران إلى اليوم لحساب (الصوالحة).[1] — تسكن العـائلات القليلة الباقية من المواطرة فى حديقة الحمـام قرب مدينة الطور .
الجمـاضـة	— من القبائل القديمة فى جنوب سيناء ، سكنوا البلاد فى وادى فيران أغنى المناطق فى الجنوب ، واقتسموه	— كان من نتيجة هذه الحروب المتتالية أن أصبح عدد هـذه القبائل قليلا لا

(١) يعتبر (بيدنل) ان التبنة قسم من أقسام (الجبالية) الذين يقومون منذ قرون بخدمة الدير ، وأصل الجبالية موضع خلاف سنناقشه فى موضعه فلا داعى للتعليق على رأي بيدنل هذا الآن .

Beadnell : *The Wilderness of Sinai* (1927), p. 12.

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	مع (بنى واصل) ، ثم حدثت حروب بينهم أضعفتهم ومكنت القبائل الأخرى كالصوالحة والعليجات من أن تغلبهم وتسكن أراضيهم .	يجاوز الأربعين بيتاً تعيش الآن فى حمى (العليجات).[1]
بنو واصــل	— يشار إلى تلك القبيلة فى بعض الكتابات الموجودة بالدير منذ أواخر القرن السادس عشر ، ويغلب أنهم من بطون (بنى عقبة) التى أتت من شمال الحجاز أو من شرقى مصر ، فالمعروف أن بنى واصل هؤلاء كانوا يسكنون فى القرن الرابع عشر للميلاد فى «أجأ وسلمى جبلى طىء» ، كما كانوا يسكنون مع جذام فى شرقى الديار المصرية[2] . وكانوا يقتسمون	— يسكن بنو واصل الآن فى حمى الصوالحة ، فى قبائل صـغيرة تنزل بين مساكن (مزينة) حول (الشرم) وعلى طول الساحل الغربى لخليج العقبة . . . وفى الوجه القبلى قبائل من بنى واصل تسكن مديرية أسيوط ، بينها وبين قبائل سيناء صلات

(١) يراجع فى هذا كله ما كتبه (نعيم بك شقير) فى كتابه عن تاريخ سيناء وجغرافيتها ص ١٠٧ وهو كلام لا يختلف عما يجرى العرف به بين عرب سيناء .

(٢) يراجع فى ذلك ما كتبه القلقشندى فى كتابه (نهاية الأرب) ص ٣٥٧ ، ويحسن الاشارة هنا الى أن ما ذهب اليه رتر — ونقل عنه بيدنل — من ارجاع أصول بنى واصل الى البربر ليس هنالك دليل يسنده ، بل هو قول يرجح استبعاده ، اذ أن نسبتهم الى بنى عقبة أقرب الى الصحة لأن منازل بنى عقبـة تقع حول خليج العقبة ومساكن بنى واصل الآن تقع فى الجانب الشرقى لجنوب شبه الجزيرة

Ritter : *The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula* (Translated by Gage) 1866 V.I., p. 392.

Beadnell : *The Wilderness of Sinai* (1927), p. 11.

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	البلاد مع (الحماضة) فيسكنون هم فى الجنوب حتى وادى فيران ، ويسكن الحماضة وادى فيران وما إلى شماله حتى التيه ، ثم تضعفهم الحروب لخلاف بينهم على نقل الحجاج الى الدير ، مما يسهل على الصوالحة والعليجات الاستيلاء على أرضهم .	فى النسب يجرى العرف بها.[1]
بنو سليمان	— تفتخر هذه القبيلة دائماً بأنها القبيلة الأصلية فى سيناء ، ويعتبرها الكتاب المختلفون من أقدم قبائل سيناء الجنوبية ، سكنتها منذ حوالى الفتح الاسلامى فى القرن السابع والثامن للميلاد فى رأى (رتر وبركهاردت) ، وإن كان بعض الكتاب يرجح أنها سكنت شبه الجزيرة مع (بنى واصل) فى القرن السادس عشر[2] . ولا يبعد أن يكون جزء من	— ضعف نفوذ بنى سليمان فى سيناء ، فهاجرت غالبيتهم إلى مديرية الشرقية بعد أن ضاق العيش بهم ، والقبائل القليلة الباقية منهم فى سيناء مركزة الآن فى عدة عائلات صغيرة تسكن حول الطور منذ منتصف القرن الثامن عشر ، .. وإذا كان

(1) يراجع تقرير (ماجور براملى) المحفوظ بمصلحة الحدود بوزارة الحربية المصرية عن القبائل العربية فى وادى النيل صفحة ٢٣ .

(2) راجع بركهاردت فى رحلته عام ١٨١٦ فى الجزء الخاص ببدو سيناء ، جزء أول من ص ٥٥٧ — ٥٦٥ ، .. وراجع (رتر) فى كتابه السابق جزء اول صفحة ٣٩٢ ، .. وراجع نعيم بك شقير صفحة ١٠٩ .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	بنى سليمان قد سكنوا شبه الجزيرة مع الفتح الاسلامى ثم تكاثرت هجرات هذه القبيلة إلى سيناء بعد ذلك . ولقد قاسى أولاد سليمان من غارات الصوالحة والعليجات عليهم ، وكثيراً ما اشتبكوا فى حروب معهم انتهت بتغلب (الصوالحة والعليجات) . والراجح أن بنى سليمان من عرب الحجاز وأنهم بطن من بنى عطية ، .. والذين يعتبرونهم من البربر يعتمدون فى هذا على أن (بنى سليمان) من القبائل الغربية الكبيرة ، وأن لها نفوذا كبيرا فى «بنى غازى» حيث يتمتعون بامتيازات هامة[2] . لكن ليس هنالك ما يحدد مقدار الصلة بين أولاد سليمان الذين ينزلون سيناء	(پوكوك) قد ذكر بطوناً من بنى سليمان تنزل حول السويس ، فلعل هذه كانت بقية من بقاياها سكنت حول السويس ، على حين هاجرت الغالبية الكبرى الى مديرية الشرقية .[1]

(1) يراجع فى ذلك تقرير (براملى) عن القبائل العربية فى مصر الذى كتبه عام ١٩٢٠ والمحفوظ بمصلحة الحدود صفحة ١٥ ، ويراجع معه كذلك الوثائق المحفوظة بسجلات هذه المصلحة عن توزيع القبائل العربية فى مصر وعدد كل قبيلة منها اجابة على خطاب وزارة الحربية الدورى الى المديريات فى يونيه ١٩٢٩ .

(2) راجع R. Pococke : *A Description of the East and some other Countries* (1743), p. 137.

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	وبين بنى سليمان الذين يسكنون حول بنى غازى فى بلاد المغرب .	
النفيعات	— قبائل لا يعرف أصلها على وجه التحقيق ، وإن كان البدو — فيما يروى نعيم بك شقير عنهم — يرجعونها إلى (نافع ابن مروان) من بطون ثعلبة طى من نجد الحجاز[1] . أتى ذكرها فى شبه الجزيرة فى أواخر القرن السادس عشر حين دخلت سيناء مع الصوالحة ، وكانت عاملا فى اضعاف القبائل السابقة ، فاقتسمت البلاد مع الصوالحة الذين كانوا أشد منهم بأسا فاستطاعوا أن يتغلبوا عليهم ، وما تمكنت النفيعات من أن تقف أمام الصوالحة إلا حين اتتهم قبائل (العليجات) من الحجاز فحالفتهم ضد الصوالحة ، ثم ظهر العليجات على النفيعات ، ففضل هؤلاء الأخيرون أن يهجروا سيناء ليسكنوا مصر	— ظل للنفيعات بقايا فى سيناء أهمهم (السواعده) ، ولا يزال لهم إلى اليوم أراض يمتلكونها فى وادى فيران ونصب وقطيه والذين هجروا سيناء من النفيعات يسكن معظمهم الآن مديرية الشرقية ، وقسم من النفيعات يكونون عرب منطقة «طره» الحاليين[2] .

(1) يراجع كتاب نعيم بك شقير صفحة ١١٠ .

(2) يراجع تقرير براملى السابق صفحة ٢٩ ، والوثائق الأخرى التى جمعتها وزارة الحربية عن القبائل العربية فى يونيه ١٩٢٩ .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	تاركين جزءا منهم يعيش متفرقاً فى انحاء شبه الجزيرة .	
الربايين و الصبايحة [1]	— ينفرد (بركهاردت) بالإشارة إلى هاتين القبيلتين فقد استطاع — فيما يذكر — أن يحصل من المخطوطات العربية المحفوظة فى دير سانت كاترين ، والمكتوبة فى أوائل القرن الثامن عشر ، على أن هاتين القبيلتين كانتا ضمن حرس الدير ، والأولى من أفخاذ جهينة المعروفة فى الحجاز ومنهم من كان يسكن قرب «المويلح» عند زيارته لسيناء ، كما أن منهم من كان يسكن حول الطور ، يحرسون أملاك الدير ويشتغلون أدلة للسفن . . . أما أولئك (الصبايحة) فيذكر أنهم كانوا فى أيامه قبائل صغيرة تسكن شرق العقبة بين مساكن عرب (العمران)[2] . . .	— ليس هناك وجود الآن للقبيلة الأولى لا فى سيناء ولا فى الأراضى المصرية ، ولا يبعد أن تكون قد مثلتها قبائل أخرى قوية أتت بعدها ، أما الصبايحة فان أخذنا بأنها تحريف «للصفايحة» فتسكن الآن غربى التيه فى سيناء ، من جبيل حسن الى بئر مبعوق ، وأهم مراكزها جبل المغاره والجفجافة وبئر الخصيب وعين صدر .

(1) يغلب ان يكون اسم (الصبايحه) تحريفا لكلمة (الصفايحه) الذين هم بطن من عرب (الحيوات) سيما وأن بركهاردت يذكرها مع هذه القبيلة بالذات .

(2) يراجع بركهاردت فى رحلته ١٨١٦ صفحة ٥٩٤ جزء أول .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
عرب العائذ أو (بنو عائذ)	**ثانياً : فى الوسط ، على طريق درب الحج** — يشير (الهمدانى) والكتب التى اعتمدت عليه فى توزيع منازل العرب ومساكنهم إلى أن عرب (العائذ) بطون من جذام ، كانت مساكنها بين «بلبيس والعقبة» ، تتولى فيها دركات طريق الحج حتى يتسلمها منها عرب (بنى عقبة) الذين كانوا يتولون دركاته بين «العقبة والدام» فى شمال الحجاز[1] ... وما دامت الكتابات منذ القرن الرابع عشر للميلاد تشير إلى حقهم هذا ، فهم إذاً أولى القبائل العربية التى تولت حراسة طريق الحج الذى ترجع أهميته فى وسط سيناء إلى ما يقرب من ذلك التاريخ . ثم طمع بنو عقبة — واليهم ينسب (بنو عطية) الذين أكثروا الغارة على الجزء	— يفرق (نعيم بك شقير) وحده بين عرب العائذ والعبايده ويعتبرها قبائل منفصلة[2] ، فى حين أن جميع الكتابات عن قبائل العربان فى مصر تأخذ اسم (العبايده) وتضم (العائذ) تحته . والعبايده هؤلاء يوزعون فى وادى النيل الآن حسب الاحصائيات الأخيرة فى جهات حلوان (٣٠٥ شخصاً) وفى مديرية القليوبية (٨١٠٠) وفى الجيزة (٥٠٣٦) ، ويسكن فى مديرية الشرقية والدقهلية من العبايده الشرقيين حوالى ٢٠٠٠ نفساً[3].

(١) يراجع ما كتب فى هذا الفصل عن عرب العائذ .
(٢) يراجع كتاب نعيم بك شقير عن سيناء من صفحة ١٠٨ الى ١١٠ .
(٣) يراجع تقرير براملى صفحة ٢٥ والمعلومات التى جمعتها وزارة الحربية فى ١٩٢٩ فى الأجزاء المكتوبة عن عرب ضواحى القاهرة ومديريات القليوبية والشرقية والدقهلية والجيزه .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	القريب منهم من درب الحج — فى دركات (العائذ) فاستولوا منها على الجزء الواقع حول العقبة ، وفيه نقب العقبة نفسه مدفوعين الى هذا بالارباح الطائلة التى كان يجنيها البدو من الحجاج ، «ولما لم يستطع أمير العائذ أن يدفع شرهم وكل اليهم أمر ذلك الجزء من الطريق وأعطاهم فى نظير ذلك مبالغ من المال سنوياً»[1] ... ثم أخذ سلطان (بنى عطية) يتسع على طريق الحج حتى رأيناهم سادة (نخل) نفسها ، وأصبح عرب العائذ يقومون بحماية الطريق حتى هذه النقطة ثم يرجعون هم ليتولى عرب (بنى عطيه) حراسة باقى الطريق إلى الحجاز[2] ... والظاهر أن عرب (العائذ) لم يكونوا يتخذون شبه الجزيرة مساكن لهم ، بل كانوا يقومون بعملية نقل الحجاج وحراستهم فقط ، وكانت مساكنهم الحقيقية فى شرقى الدلتا	أما فى شبه جزيرة سيناء فمساكنهم الحالية حول الاسماعيلية وإلى الشرق منها ، ممتدة من ضواحى القنطرة فى منطقة الرمال الشمالية حتى (قطيه) .

(١) راجع الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك الجزء التاسع صفحة ٢٠ .
(٢) راجع الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك جزء ١٤ صفحة ٩ .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	من أراضى وادى النيل ، فلما فقدت سيناء أهميتها كطريق لمرور الحجاج ، فضل عرب العائذ أن يستوطنوا وادى النيل عن أن يسكنوا تلك المناطق المجدبة فى سيناء ، لكن ذلك لا يمنع من أن تكون أفخاذ من العائذ قد ظل لها بعض أملاك فى نواحى سيناء المختلفة تضاءلت شيئاً فشيئاً أمام قوة القبائل الأخرى[1] . . .	
بنو عطية	— هذه فروع من (بنى عقبة) من (جذام) ، رأيناها منذ التوسع الاسلامى ، وفى كتابات القرن الرابع عشر للميلاد تنزل حول خليج العقبة ، وتسكن برية الحجاز ممتدة شمالا إلى (الكرك) . . .[2] وهذه القبائل هى التى مرّ أنها أخذت جزءا من دركات عرب العائذ فى طريق درب الحج حتى صارت لها سيادة الطريق من شمال الحجاز إلى نخل .	— يغلب أن تكون بطون قبائل بنى عطية الأولى قد تفرقت فى منطقة (العرابه) أو سارت شمالا إلى بلاد الشام. «فروبنسن» مثلا يذكر عن (بنى راشد) أن معظمهم يسكن حول الشوبك ، لكن فى زيارته عام ١٨٦٧ قيل له إنهم ينزلون فى اقليم

(1) راجع فى هذا الفصل توضيح ذلك .

(2) راجع ما كتب فى هذا الفصل خاصاً ببنى عقبة .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	وقد تغير توزيع قبائل بنى عطية هؤلاء : فكان نقب العقبة أولاً لفروع «الوحيدات والمساعيد والرتيمات والترابين» ، أما المَناخ نفسه — وكان يسمى الحمام — المحصور بين النقب والبحر فكان لطائفة من بنى شاكر يعرفون «بالمراشدة» يشاركهم فيه فرع من بنى عطية الكرك يعرفون «بالكعابنة» . . . فاذا كان منتصف القرن السادس عشر أصبحت السيادة لبطون أخرى من بنى عطية يغلب عليها اسم (الحويطات)[2]، تضم تحتها عرب «الحويطات والعمران والعلويين»[3] . وهذه هى القبائل التى نصادفها فى كتابة	الكرك[1]. . . وهنالك عائلات من «الوحيدات» تسكن حول غزة ، وكانت «الرتيمات» تنزل حتى أوائل القرن ١٩ شرقى بلاد العريش فطردهم الترابين منها فهاجروا إلى غزة وسكنوا حولها ، أما «المساعيد» فتضعهم خريطة توزيع القبائل المرفقة بكتاب (هينس) شرقى خليج العقبة أمام ميناء (دهب) من ناحية الحجاز[4] . أما قبائل بنى عطية

(1) راجع Robinson : *Biblical Researches in Palestine and Adjacent Regions* (1869) V. II. p. 155.

(2) يذهب على باشا مبارك الى أن هذه البطون أخذت اسم الحويطات (مما بنته من بعض الحيطان على النخل) . . جزء ثامن من الخطط التوفيقية صفحة ١٠٧ ، لكن (مرى) ينسبهم الى (حويط بن سام) راجع G. Murray : *The Sons of Ishmael* (1935) p. 245.

(3) راجع الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك فى الجزء الرابع عشر ، فى باب العرب الذين يتولون دركات طريق الحج صفحات ١٠ و ١١ و ١٢ .

(4) راجع الخريطة المواجهة لصفحة ٢٠٧ فى كتاب Haynes : *Man Hunting in the Desert* (1894).

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	الكتاب المختلفين منذ القرن الثامن عشر صاحبة السيادة فى تلك المنطقة[1] . . .	الجديدة — الحويطات والعمران والعلويين — فلا تزال فى مناطقها حول رأس خليج العقبة وإن كان تعديل الحدود الشرقية لشبه جزيرة سيناء قد أخرج هذه القبائل كلها من عربان سيناء ، وأصبحنا لا نصادف هذه القبائل فى شبه الجزيرة إلا فى تلك الغارات التى اشتهرت بها ، والتى لم يوقفها تماماً إلا إنشاء الخط الحربى على الحدود الشرقية عام ١٩٢٥ وتجهيز سيناء بالسيارات المسلحة[2] . . .

(١) يمكن الرجوع فى هذا الى توزيع بركهاردت فى الجزء الأول صفحة ٥٠٧ الى ٥١٢ وكتاب (رنر) جزء أول من ٤٠٧ الى ٤١١ وكتاب (روبنسن) من ١٥٥ الى ١٥٨ جزء ثان .

(٢) راجع Jarvis : *Yesterday and Today in Sinai* (1931), pp. 80-82.

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	ثالثا : فى الشمال	
اللخميون و الجذاميون	— اعتبر (الهمدانى) ، وهو يتكلم عمن تشاءم من القبائل العربية ، أن مساكن (لخم وجذام) كانت متفرقة ، وأن أكثرها كان بين « الرملة ومصر » فى شمال سيناء من أرض الجفار . . . وذكر فى توزيعه لبطون هذه القبائل أن (بنى جرى) من جذام تنزل بالرمل من « الفرما » ومعها (بلى) وأن (بنى بياضه) من جذام و (بنى راشده) من لخم ينزلان « بالبقاره والوراده والعريش على الطريق من مصر والشام »[1] . وبهذا يعتبر هذا الكاتب أن شمال سيناء كله مساكن للخميين والجذاميين ، لا يذكر معهم بطونا أو افخاذاً لقبائل عربية أخرى .	— يغلب أن هذه القبائل اللخمية والجذامية ، قد بدأ يحل محلها بطون (ثعلبة) منذ حوالى القرن العاشر الميلادى وما بعده ، حين قويت ثعلبة فى جنوب الشام قوة أشرنا اليها فى موضع سابق[2] . وكان من تأثيرها ان تركت بطون لخم وجذام شمال سيناء لها، وهاجرت هى إلى مصر أو الشام، واستطاعت ثعلبة أن تمثل الفلول الباقية من تلك القبائل، حتى رأينا (المقريزى) — وهو من كتاب القرن الرابع

(١) راجع ما كتبه الهمدانى فى كتابه صفة جزيرة العرب جزء أول من صفحة ١٢٩ الى ١٣١ وما كتب فى الجزء الأول من هذا البحث .

(٢) راجع ما كتب فى هذا الفصل عن ذلك .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
ثعلبـــة طى	— إن كتاب القرن الرابع عشر وما بعده ، الذين يعتمدون اعتماداً كلياً على ما كتبه (الهمدانى) يعتبرون شمال سيناء كله مساكن لبطون من ثعلبة ، يعدون منها « آل عمران والجبـانيين والصبيحيين والسعـدبين والطـليحيين والعقيليـين والغيوث »[1] ، لا يسكن معها إلا بعض قبائل أخرى « كالأخارشة وبنو بياضه » فى (قطيه) « وبنو صدر » فى (الصدرية على طريق البر بين مصر والشام) ، وهذه القبائل الأخيرة يختلفون فى نسبها : فيرجعها بعض الكتاب إلى « جذام » ويعتبرها كتاب آخرون قبائل من بطون ثعلبة أيضاً[2] .	عشر — ينسب (بنى بياضة) إلى ثعلبة مع أن الهمدانى[3] ينسبهم صراحة إلى جذام . ثم حل ببطون ثعلبة نفسها ما حل بالقبائل السابقة ، فأصبحنا لا نجد لمعظم بطونها وجوداً فى كتب الرحالة المتأخرين ، مما يدل على أن هجرات أخرى قد أغارت على شمال سيناء وسكنتها ، واضطرت قبائل ثعلبة إلى أن تترك هذه الجهات إلى مصر أو الشام ، وأن تتلاشى معظم الأفخاذ الباقية فى شخصية القبائل القوية التى أغارت عليها وحلت محلها ...

(1) راجع المقريزى فى كتابه « البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب » صفحة ١٩ وراجع كتاب (الهمدانى) السابق طبع ليدن جزء أول صفحة ١٣٠ .

(2) راجع على سبيل المثال ما كتبه القلقشندى فى نهاية الأرب أو فى قلائد العقيان وما كتب فى هذا البحث عن ذلك .

(3) راجع ما كتب فى هذا البحث .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
		على أننا لا نعدم وجود بعض قبائل قليـلة من لخم وجذام وبطون ثعلبــة ، استطاعت أن تحافظ على كيانها وأن تظل حتى الآن ممثلة فى القبائل النازلة فى شمال سيناء حتى اليوم : وهـذه هى بلى وبنو بياضـــة والعقيليون والسعديون ، يسكنون فى شمال سيناء فى منطقة الزقبة وقطيه ويمتدون الى قناة السويس ، وسنشير الى مناطق سكناها بالتفصيـــل حين يأتى دور الكلام على توزيع قبائل سيناء الآن .
السواركة	— سكنت هذه القبيلة سيناء فى فترة غير معروفة تماماً ، لكن لا شك فى أن ذلك إنما أتى فى فترة متأخرة عن القرن الرابع عشر إذ لم يأت لها ذكر فى كتابات ذلك القرن . وقد استطاعت هذه القبيلة أن	كان من نتيجة هـذا الاتساع فى أراضى التياها والترابين أن أصبحت منطقة السواركة فى سيناء منطقة محـدودة تكاد تحصر بين

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	تمد سلطانها لا على منطقة الرمل فى شمال سيناء فقط بل امتدت أراضيها فى هضبة التية نفسها ، حتى لنجد علماء الحملة الفرنسية يذكرون أن هذه القبيلة تسكن الصحراء نفسها حتى جبل الطور[1] ... أى أن أراضيها كانت تتسع فتشمل غالبية أراضى «التياها والترابين» الحالية ، إذ يذكر كتاب الحملة أنهم كانوا ينزلون فى مناطق محدودة جداً فى شبه جزيرة سيناء ، فما تتجاوز أراضى (الترابين) فى توزيعهم «المنطقة الصحراوية بين القاهرة ووادى غرنديل ، وإن كانوا ينتشرون حول غزة» ، وكان (التياها) — الذين سموهم التيهانية — يسكنون «حول خان يونس ، يتبعون غزه ، وإن كانوا يقومون برحلات كثيرة إلى مصر[2]» .	حدود سيناء الشرقية وبين بئر العبد شرقاً وغرباً وبين رجم القبلين والبحر الأبيض شمالاً وجنوباً . وسنرى حين ندرس توزيع القبائل الحالية فى سيناء أن (السواركة) سوف تضيع منهم المنطقة بين (رفح والشيخ زويد) ، إذ يسكنها الآن عرب (الرميلات) الذين اضطرهم (الترابين) الى أن يتركوا مساكنهم الأولى حول «خان يونس» مهاجرين الى أطراف سيناء الشمالية الشرقية غرباً[3] ...

(1) راجع La Description d'Égypte, Tome. XVI, pp. 110 to 115.

(2) راجع كتاب وصف مصر السابق مجلد ١٦ فى الصفحات السابقة (١١٠ — ١١٥) .

(3) يصح أن نشير الى أن على باشا مبارك يعتبر (الرميلات) بطنا من بطون (السواركه)، وسواء صحت هذه النسبة أم لا ، فالعرف عند البدو يجرى بأن هذه القبيلة حديثة فى سيناء وأنها

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	لكن هذا الاتساع العظيم فى أراضى (السواركة) لا يلبث أن ينكمش منذ أوائل القرن التاسع عشر أمام اتساع قبائل التياها والترابين ، حتى إننا فى كتابة (بركهاردت) نجده يشير إلى أن (الترابين) و (التياها) يسكنون بعضهم إلى جوار بعض فى مرتفعات التيه ، يمتدون حتى (غزة) و (حبرون)[1] . ولعل انتشار (الترابين) — الذين كانوا يتولون أمر القوافل بين السويس وغزه — فى سيناء مرجعه إلى زيادة نفوذ «محمد على» والموقف الحازم الذى وقفه من البدو مما لا يبعد أن يؤثر فى هذه القبيلة ، تأثيراً ترى معه أن الأفضل لها أن تؤثر سكنى صحراء التيه على أن تخضع لسلطة ذلك الباشا القوى الذى عرف كيف يضرب على أيدى البدو فما	

كانت تنزل (القرارة فى برية خان يونس) الى أن هاجروا غربا أمام الترابين ، . . فاذا أخذنا بنسبة على باشا مبارك كان معنى ذلك أن السواركة كانوا يمتدون حتى تلك النقطة (راجع الخطط التوفيقية جزء ١٤ صفحة ٣٩) .

(1) راجع رحلة بركهاردت فى ١٨١٦ جزء أول صفحتى ٤٦٨ و ٤٦٩ .

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها .
	يمكنهم مما تعودوه من عبث وفوضى .	
المعـــازة و بــــلى	— كانت تمتد أراضى هاتين القبيلتين فى شبه جزيرة سيناء أكثر من امتدادها الآن ، ثم كان توسع (الترابين) وتوغلهم فى أراضى التيه وما الى شمالها وغربها ، حتى استطاعت أن تطرد أمامها هذه القبائل ، فاضطرت المعازه إلى أن تهجر سيناء كلية ، مكتفية بتلك الغارات التى كانت تشنها من وقت الى آخر على أراضى الترابين فى سيناء ، . . . وكذلك كان الحال فى قبائل (بلى) التى انكمشت أراضيها — كما انكمشت أراضى العيايده بنفس المؤثر فيما رأينا — فى سيناء انكماشاً كبيراً[1] .	— ليس فى سيناء الآن من (المعــازه) أحد ، وإنما مساكن المعازه فى الديار المصرية الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر من قرب حلوان الى طريق قنا والقصير، أما أرض بلى فى سيناء فتقع فى مناطق محصورة قرب (قطيه)، ويسكن معظمهـا الآن فى القليوبية ، وإن كان منها عدد قليل يسكن بعض مديريات الصعيد .
الطميــلات	— تمتلك هذه القبيلة حدائق للنخيل فى (قطيه) بالرغم من أنها لا تسكن الآن فى سيناء ، مما يدل على أنها كانت تسكن	— يسكن عرب «الطميلات» الوادى المعروف بذلك الاسم فى شرق الدلتا ،

(١) يشير (هينس) الى ذلك ويتكلم عن العداوة الشديدة بين هذه القبائل (المعازة وبلى والعيايده) وبين الترابين ، تلك العداوة التى ظلت قائمة حتى حرب الاحتلال الانجليزى لمصر ، اذ نرى (المعازه) ينتهزون الفرصة فيشتد اعتداؤهم على أراضى الترابين فى سيناء انتقاما منهم
HAYNES : *Man Hunting in the Desert* (1894) p. 92.

اسم القبيلة	ما طرأ على مركزها فى شبه جزيرة سيناء	أثر ذلك فى توزيعها الحالى فى سيناء أو خارجها
	تلك المنطقة فى وقت ما . ولعلها كانت من القبائل التى أغرتها حركة النقل فى طريق الرمل الشمالى بين مصر والشام ، فهاجرت بعض بطونها إلى منطقة (قطيه) الغنية بنخيلها حيث اشتغلت بالنقل وزرعت لها هنالك نخيلا ، فلما اضمحلت أهمية الطريق الشمالى ونافست القوافلَ وسائلُ النقل الأُخرى ، رجعت تلك البطون الى مواطنها الرئيسية الأُولى فى مديرية الشرقية دون أن تترك أحداً منها فى سيناء .	حيث يعرفون أحيانا باسم عرب (الوادى) . . . ومراكزهم الرئيسية حول (أبى حماد) ، أما فى سيناء فما يذهبون اليها إلا فى أشهر جمع البلح ، حيث يرحلون إلى قطيه لجمع ما يملكون هنالك من نخيل ، فاذا انتهى موسم البلح عادوا الى مديرية الشرقية راجعين .

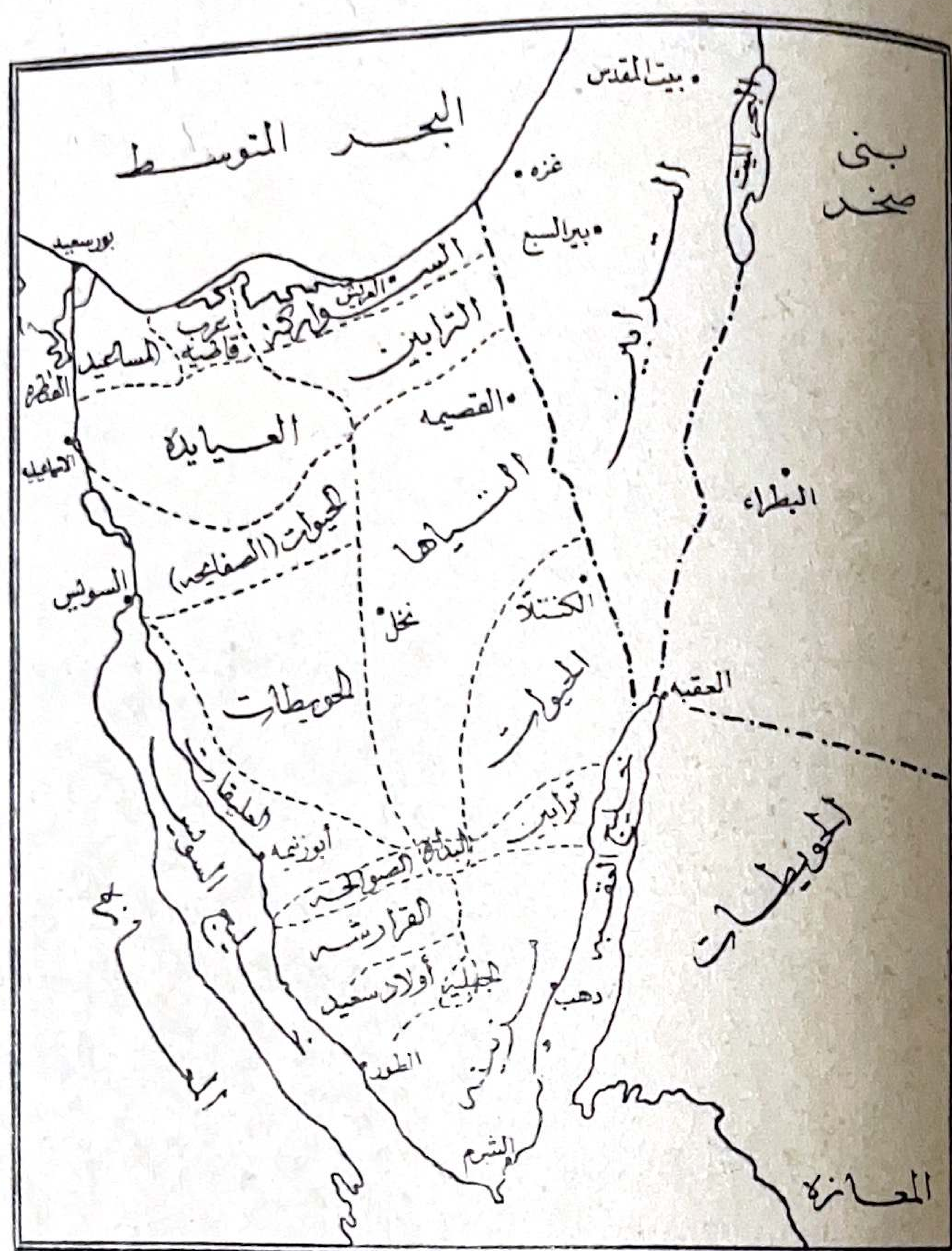
تلك هى القبائل التى سكنت سيناء وانتشرت فيها فى القرون الحديثة ، ثم اضطرت بعد ذلك اما إلى أن تهجر شبه الجزيرة هجرة نهائية لسبب من السببين الذين تقدما قبل ذلك الاستعراض لها ، وإما أن مناطق سكناها قد تحددت وانحصرت ليمتد مكانها نفوذ قبائل أخرى هى التى تعين التوزيع الحالى للقبائل العربية فى شبه الجزيرة ، وهو توزيع ما كان يمكن أن يفهم الفهم الصحيح دون أن يقدم له بمثل ذلك الاستعراض ، الذى هو فى الحقيقة أساس لدراسة حركات الموجات الأخيرة فى شبه الجزيرة ، وهو تمهيد لهذا الاستقرار النسبى الذى لم تعهده القبائل فى سيناء فى الفترات السابقة ، ذلك الاستقرار الذى ساعد عليه خضوع القبائل الآن لنظام إدارى حازم لا يسمح لها بما تعودته فى أيامها الماضية من زحف وغارات . . .

التوزيع الحالى لقبائل سيناء :

تتأثر كثافة السكان فى منطقة ما بمقدار الفرصة التى تهيئها الطبيعة فى تلك المنطقة لأولئك السكان ، وتزداد تلك الكثافة أو تقل على حسب طاقة المنطقة ومبلغ ما يمكن أن تحمله مواردها ، وتكون حياة السكان فى حالة تنقل أو استقرار تبعاً لما تكون عليه البيئة نفسها من فقر أو غنى . . . وشبه جزيرة سيناء — فيما تدل عليه الدراسة المناخية والنباتية — منطقة ضيقة الموارد جداً ومحدودة الانتاج ، والبيئة فيها بيئة مجدبة فقيرة غير مضمونة الثروة ، لا تسمح مطلقاً بأن يعتمد عليها إلا عدد محدود جداً من السكان ، كثيراً ما يصعب عليهم أن يجدوا فيها ما يكفى عددهم القليل ، فهم لذلك يضطرون فى أوقات طويلة إلى أن يهجروها ، ملتمسين العيش فى الجهات المجاورة لسيناء حيث تكون البيئة أقل عسراً والانتاج أكثر توافراً .

والذين يتتبعون حياة السكان فى شبه الجزيرة فى الفترات المختلفة ، يجدون أن الفرصة الحالية أمامهم أشد ضيقاً مما كانت عليه ، وأن كفاحهم الآن فى سبيل العيش أقوى مما عرفه الذين سبقوهم فى سكنى تلك المناطق . وما نقصد بهذا أن نرجع بالمقارنة الى تلك القرون البعيدة التى يحدث الكتاب عن أن سيناء كانت فيها أكثر مطراً وأغنى نباتاً وأكثف سكانا ، ولا أن نعود فنناقش الآراء المختلفة فى تلك الناحية ، وإنما يكفى أن نرجع بالمقارنة الى هذه الفترات القريبة فالكلام عنها أكثر دقة وأقل غموضا . . فبالرغم من ان هنالك تسليما بان سيناء فى جميع فتراتها التاريخية كانت مناطق صعوبة دائمه فان السكان فيها كانوا يجدون أمامهم فرصا اوسع يستعينون بها على تخفيف جدب المنطقة وصعوبتها ، إذ أنهم الى جانب الحياة النباتية المحدودة فى سيناء كانوا يستفيدون من نواح أخرى أهمها : —

١ — الاشتغال بنقل المتاجر وحمايتها عند ما تعبر شبه الجزيرة ، إذ كانوا يحتكرون طرق القوافل بين مصر من جهة وبين بلاد الشام وما يجاورها فى آسيا من جهة



التوزيع الحالى لقبائل شبه جزيرة سيناء (عن مرى)

أخرى . والأرباح التى كانوا يجنونها من ذلك أرباح طائلة ، اذا روعى مركز شبه الجزيرة وما كان لها من أهمية كطريق رئيسى لمرور التجارة ، واذا تذكرنا أن أرباحهم لم تكن مقصورة على الأجر الحلال الذى كانوا يغالون فيه مغالاة فاحشة ، وانما كانت تتعداه الى السلب والنهب والاعتداء على المتاجر . . .

٢ — كان لهم حق نقل الحجاج وحماية دركات درب الحج ، سواء فى ذلك أولئك الحجاج المسلمون الذين كانوا يعبرون سيناء من مصر وبلاد المغرب الى أراضى الحجاز المقدسة ، أو هؤلاء الحجاج المسيحيون الذين كانوا يأتون من أوروبا ليزوروا المناطق المقدسة فى جبل موسى وسانت كاترين ، وكان ذلك العمل مورد رزق متسع لقبائل شبه الجزيرة تقتسمه معاً ، وتختص كل واحدة منها بدرك لا يصح لغيرها أن تتعدى عليها فيه . . وكان موسم الحج موسم يسر لسكان سيناء توزع عليهم فيه الأقمشة والحبوب ، فوق ما كان يصرف لهم من مرتبات مقابل حماية الطريق وحراسة الحجاج ، فاذا أضيف إلى هذا أن البدو لم يكونوا يتورعون عن الاعتداء على قوافل الحج ونهبها ، وروعى ان ذلك النهب كان أمراً اعتياديا فى كل مواسم الحج بلا استثناء ، أدركنا كم كانت القبائل تخرج من ذلك بأرباح طائلة تنفق منها حتى يحين موسم الحج من جديد[1] . .

٣ — يضاف الى هذا ان البدو فى سيناء كانوا يجدون فى أشجار شبه الجزيرة موردا لهم يظهر أنهم كانوا يستفيدون منه إلى حد كبير ، فقد كانوا يقطعون تلك الأشجار التى تكثر فى جنوب سيناء ويحرقونها ليحصلوا منها على الفحم النباتى الذى كان سلعة يتاجرون

(١) يمكن ان يرجع فى المرتبات التى كانت تصرف للقبائل ، وفى أخذ صورة عن الفظائع التى كانت القبائل ترتكبها فى نهب قوافل الحج والاعتداء على الحجاج الى ما هو مكتوب فى الجزء الأول من كتاب الفرائد المنظمة فى أخبار الحج ومكة المعظمة ، وهو الكتاب الذى أشرنا اليه غير مرة والمحفوظ بدار الكتب المصرية .

فيها ويستبدلون بها الحبوب فى أسواق «السويس» بوجه خاص. . . والكتاب والرحالة الذين كتبوا فى القرون الأخيرة يذكرون ذلك دائما ، ويعتبرون الفحم النباتى أهم ما يبيعه بدو شبه الجزيرة[1] . . بل إن (محمد على باشا) نفسه حين اعتدى بدو سيناء على إحدى قوافله رأى أن يفرض على البدو ضريبة عينية من الفحم النباتى ، حين لم يجد عندهم ما يمكن ان يأخذه منهم عوضا ! !

أما الآن فقد أشرنا إلى أنه لم يعد بدو سيناء يستفيدون من تلك النواحى الثلاثة شيئا يذكر ، فتطور وسائل النقل وطرقه أفقد سيناء أهميتها كطريق لنقل المتاجر بين آسيا وأفريقيا ، وأصبحت القوافل التى تقطع شبه الجزيرة والتى كان البدو يستفيدون منها حقيقة تاريخية لا وجود لها الآن تقريباً ، وطريق الحج إلى مكة قد تحول إلى البحر الأحمر وقضت السفن على أهمية درب الحج الذى كانت القبائل تقتسم دركاته وتستفيد منه كثيراً ، والحجاج المسيحيون قل مجيئهم لزيارة منطقة الدير فى سيناء بل إن الانتقال الآن بالإبل إلى الدير أصبح من الأمور التى لا يفكر فيها الزائر لشبه الجزيرة فأمامه السيارات يستطيع أن يستخدمها فيقتصد من وقته وماله ويجد فيها بلا شك راحته ، . وأصبح السلب والنهب — بعد تنظيم إدارة سيناء وحفظ النظام فيها — عملا لا يطرأ على بال البدوى الآن ، . أما الفحم النباتى فلم تعد هنالك أشجار فى سيناء كلها يمكن أن يستخرج منها شيء له قيمته التجارية إذ يظهر أن السكان فى الماضى قد قضوا على الأشجار قضاء يكاد يكون تاما .

(١) يراجع فى هذا كتب الرحالة المختلفين أمثال نيبور (١٧٧٦) المجلد الأول صفحة ١٩٣ وما بعدها وبوركهاردت صفحة ٥٦١ وتراجع بوجه خاص مقالة J. M. Coutelle فى كتاب وصف مصر جزء ١٦ صفحة ١٨٥ .

* * *

لهذا إذاً ضاقت موارد سيناء ، فهى الآن تكاد لا تتعدى دائرة الانتاج النباتي المحدود ، سواء فى ذلك تلك الحشائش التى تنبت فترعاها الحيوانات ، أو تلك الزراعة الضعيفة التى تقوم فى بعض نواحي شبه الجزيرة . . ومن هنا أصبح توزيع القبائل فى سيناء أمراً يرتبط ارتباطاً تاماً بتوافر الحياة النباتية أو عدم توافرها وأصبح السكان يكثرون أو يقلون بمقدار وفرة الحياة النباتية فى انحاء شبه الجزيرة . . وليس معنى ذلك أن فى أراضى سيناء مساحات غير مملوكة ، فكل جزء فيها يدعى ملكيته فرد ما يدافع عنه كأنما يدافع عن أكثر جهات الارض خصوبة وغنى ، وكثيراً ما يقع بين القبائل بعضها وبعض مشاكل على تحديد أراضيها كأن النزاع هنالك على ملكيات صغيرة وفيرة الانتاج . .[1] لكن ينبغي أن يفهم أن غالب تلك الملكية ملكية صورية وأن ادعاء البدو لتملك الأراضى وحرصهم عليها لا يفيد أن لتلك الأراضى قيمة كبيرة[2]

ولقد مر أن تلك الحياة النباتية التى تعتمد حياة القبائل فى سيناء الآن عليها تتوقف على أساسين يمكن أن نعتبر ثانيهما متأثراً بأولهما وهما : —

أولا — المطر ، وهو الأساس الأكبر فى توافر الحياة النباتية أو عدم توافرها ، فالرى فى غالب مناطق شبه الجزيرة يعتمد على ماء المطر ، أما الرى الصناعى فمناطقه

(1) يراجع كتاب Jarvis : *Yesterday and Today in Sinai*, pp. 60 and 67.

(2) لا تقر الحكومة مطلقاً ملكية البدو لاراضى الصحراء ، وان كانت تسمح لهم بالزراعة فيها ، وتحتفظ لنفسها بحق نزعها منهم ان كانت فى حاجة اليها أو اذا أصبحت ذات قيمة بتحسين ريها . واذا بدىء البحث عن المعادن فانا لا نعدم بدويا يطالب بالتعويض مدعياً أن الأرض أرضه بوضع اليد ، لكن بطبيعة الحال لا ينظر الى مثل تلك الدعاوى الا اذا كانت المنطقة ذات قيمة زراعية فان البدوى يعوض فى الغالب بتعيينه هو خفيراً عليها (يراجع كتاب جارفس بك صفحة ٦٠ وما بعدها) .

محدودة جداً فى سيناء ، . . . ومقدار المطر هنا قليل لا يمكن أن تتوافر معه حياة نباتية تكفى لعدد كبير من السكان ، كما أن سقوط المطر نفسه أمر غير منتظم مطلقا فقد يسقط عاما ثم ينقطع سنين ، ومن هنا كانت حياة القبائل حياة قلقة لا يمكن أن تستقر ، فهم أثناء المطر يجدون المرعي لحيواناتهم ، ويستطيعون أن يزرعوا الوديان حبوباً لا بأس بمحصولها ، لكنهم فى سنين الجفاف لا يجدون فى مناطق سكناهم ما يمكن أن يعيشوا عليه هم وحيواناتهم وإذاً فهم يضطرون إلى أن يهجروا تلك المناطق إلى أن تنتهى مدة الجفاف وقد تدوم سنوات .

والمهم فى سقوط المطر ومدى فائدته للزراعة أن ينتظم فى أشهر الشتاء حتى يمكن أن تنتفع به زراعة القمح والشعير ، أما إذا تأخر سقوطه — كما حدث فى عام ١٩٢٤ مثلا حين جاءت معظم أشهر الشتاء جافة وهطل المطر غزيراً فى شهر مارس بدرجة لم تعهدها سيناء من قبل — فان ذلك لا يفيد الحبوب وإن أفاد زراعة البطيخ والتين وهى أقل أهمية من زراعة القمح والشعير[1] . . .

ثانيا — ماء العيون ، ومناطق تلك العيون فى سيناء محدودة ومحصورة فى جهات قليلة فى سيناء فعلى هذه العيون وحدها يمكن أن يقال إن هنالك شيئاً مضمونا من الزراعة ، تقوم عليه حياة يصح أن تسمى تجاوزا حياة استقرار إذا ما قورنت بحياة القبائل المعتمدة على ماء المطر وحده .

وما دام الارتباط هكذا كبيراً بين حياة السكان وبين توزيع الماء فى شبه الجزيرة وما يتبع ذلك من توزيع المرعي والنبات ، ففى الامكان اذا ان نأخذ مناطق توزيع الماء والنبات ونعتبرها بذاتها اساسا صالحا لتوزيع القبائل فى سيناء ، وتكون شبه الجزيرة بهذا من حيث كثافة السكان فيها مقسمة إلى نفس مناطق توزيع الماء والنبات الثلاثة فى الشمال وفى الوسط وفى الجنوب .

(1) يراجع تقرير مصلحة الحدود عن سيناء ١٩٢٣ — ١٩٢٤ صفحتى ١ و ٢ .

١ — المنطقة الشمالية : وتضم المساحات الساحلية فى شمال سيناء ، ومنطقة الكثبان التى تمتد إلى جنوبها حتى تعترضها الكتل الجبلية فى «يلج و مغارة و الحلال» . وهذه المنطقة تتمتع بمطر لا بأس به نسبيا ، يزداد مقداره كلما سرنا فى المنطقة الساحلية شرقا ولكنه يكون أقل فى الجنوب والغرب وتحتفظ الكثبان بكثير من الماء الذى يصيبها فى فصل الامطار . . . وهذه المنطقة أغنى نسبيا فى نباتها ، إذ يتوافر المرعى والعشب فى معظم جهاتها ، وتقوم زراعة لا بأس بها حول «العريش» تروى بالسواق وطواحين الهواء وتصبح المنطقة الى شرقى العريش أكثر توافراً فى النبات ، كما نصادف ما يشبه الواحات فى المناطق المنخفضة بين الكثبان حيث يقرب الماء المحفوظ فيها من السطح . وأغنى جهات هذه المنطقة فى حياتها النباتية هى الاراضى الواقعة حول العريش فى مصب وادى العريش إذ تقوم زراعة دائمة لبعض الخضروات والفواكه وقليل من الحبوب . . والجهات المحيطة «برفح» التى هى أكثر جهات سيناء مطراً والتى ركبت فيها ماكينه لرفع المياه تقوم عليها زراعة الفواكه وبعض الحبوب ، ثم هذه المناطق المنخفضة بين الكثبان التى تعتبر أشبه شىء بالواحات وهى مراكز غنية بالنخيل تنتج أحسن ما تشتهر به سيناء من أنواع البلح .

ومراكز السكنى الهامة فى هذه المنطقة الشمالية من سيناء يسهل الآن تعيينها بعد هذا الكلام التمهيدى القصير : —

١ — منطقة العريش : وهى منطقة استقرار بصفتها أولا المركز الادارى لشبه الجزيرة ، ولأنها منطقة غنية بمائها تكثر آبارها وتدوم زراعتها . . . وسكان العريش يعرفون (بالعريشية) وهم ليسوا بدوا رحلا بل يسكنون بيوتاً يعيشون فيها عيشة مستقرة . . . ولا يدل مظهرهم وتقاطيع وجوههم والحياة التى يحيونها على أنهم يرجعون

إلى نفس الأصل الذى يرجع اليه غالبية البدو فى سيناء ، فلونهم أكثر بياضا ، وتقاطيع وجوههم أجمل تنسيقا . . وعلى حين يتميز البدوى بكرهه الشديد للعمل وهروبه منه مهما قيل عن نتيجته وثمرته[1] نجد (العريشى) رجل عمل ، يحتكر التجارة فى شمال سيناء ، ويستغل جهل البـدو وغفلتهم فيتحايل فى الاستيلاء على الارض التى يملكونها والتى يمكن أن تصلح للزراعة ، سواء بتزوير عقود الرهن والبيع ، أو بالتغيير فى كشوف حساب عملائه منهم بشكل مريع لفت نظر الادارة هنالك فنصحت للبدو بأن يبيعوا أراضيهم — ما داموا لا يستطيعون زراعتها — إلى (العريشية) لكن على أن يكون ذلك عن طريق الحكومة ، ومع ذلك رفض البدو هذه الطريقة وآثروا ألا تتداخل الحكومة ، واستطاع (العريشى) أن يحصل على أرض البدوى بثلث ثمنها أو أقل[2] . . .

ويغلب أن يكون (العريشية) هؤلاء خليطا من العناصر المختلفة التى كانت تأتى بها الحكومات المتتابعة كحرس لقلعة العريش يسكنون فيها هم وعائلاتهم . وأملاك هؤلاء (العريشية) تمتد خارج منطقة العريش ، فلهم أراض كثيرة حول «رفح» ، ولهم فوق ذلك جزء كبير من تلك المساحة التى ترويها الآن (عين الجديرات) فى منطقة (القصيمة) بعد أن نظمتها ادارة سيناء واستغلت مياهها فى السنوات الاخيرة . . .

---

(١) يتحدث جارفس بك فى الفصل الثانى من كتابه فى ص ٢٤ و ٢٥ عن كسل البدو واليأس من حملهم على العمل كلاماً واضحاً نقتبس منه الجملة الآتية مكتفين بها كمثل يوضح ما نقول :

« Suggest to an Arab that he should take a (fas) and put in an hour's work cutting a water channel to his cultivation and he will wear the expression of a martyr going to the stake and if one takes one's eyes off him for a moment will probably fade away with his family to Palestine for a year to escape the task...... ».

(٢) الواقع أن هذه مشكلة تواجه الادارة فى سيناء ، أشار اليها جارفس بك فى كتابه ، وتضمنتها تقارير مصلحة الحدود السنوية ، والظاهر أن جهود الادارة فى هذا الاتجاه من الأمور التى ينظر اليها البدوى نظرة المتشكك ، ولذا فهو لا يومن بها ويحاول بقدر الامكان الا تتداخل الادارة فى شئونه أبداً .

ب — منطقة رفح : سواء منها ما أحاط بالبلدة نفسها حيث تقوم الزراعة على ماكينة ركبت هنالك ، وحيث يوجد سكان مستقرون فى بيوت من الطين ، . . أو فى تلك المساحة الممتدة فى غربها الى (الشيخ زويد) . . وهذه هى المنطقة التى تتمتع بأكبر مقدار من المطر فى سيناء كلها ، ولذا نجـدها من أهم جهات شمال سيناء إنتاجا فى الحبوب بعد مطر الشتاء ، وفى البطيخ والتين أيام الصيف ، كما هى غنية بحشائشها ومراعيها ، ومن هنا كانت القبائل التى تنزلها من (السواركة) ومن عرب (الرميلات) بوجه خاص أغنى بدو سيناء ، يلمس ذلك فى حياتهم الخاصة وفى امتلاكهم للخيل والبقر وهى حيوانات لا نصادفها فى غير هذه المنطقة من سيناء .

ولا يمكن أن يقال عن عرب (الرميلات) إنهم بدو رحل تماما ، فهم يسكنون فى عشش ، ولم نصادفهم هنالك يسكنون خياما من الشعر أو الوبر كما يسكن البدو الآخرون . ويلمس الذين يزورون مناطق سكناهم ان كثافة السكان هنالك تزيد عنها فى معظم مساكن البدو الأخرى فى سيناء بدليل تقارب هذه العشش تقاربا كبيراً ، وهذه ظاهرة أصبح تعليلها واضحا على ضوء ما تقدم من دراسة للماء والنبات[1] . . .

---

(١) نحب أن نأخذ صورة بسيطة لحالة النبات من العريش الى رفح من وصف أحد الرحالة : « . . . . بدأنا نسير من العريش فى أرض قاحلة ، لاحظنا فيها بعض زراعات للقمح متفرقة وكلما تابعنا السير شرقا زادت كثافة النبات ورأينا كثيرا من البدو يعملون فى أراضيهم التى تزرع منها مساحات كبيرة . . . ومررنا بالوديان الخصيبة مثل الجرادى وخروبه ، مشاهدين بعض البقاع المزروعة ، وقد رأينا الأرض تتحسن ، وفى كثير من الجهات لاحظنا حقولا لا بأس بزراعتها فاذا جاوزنا « الشيخ زويد » مررنا وسط مراع وفوق تلال رملية تغطى منحدراتها بالحشائش ثم تتحول هذه الأراضى بدورها الى حقول الشعير حتى نأتى الحدود بين مصر والشام . . . »
راجع هذا الوصف بالتطويل فى كتاب His Imperial Highness Archduke Ludwig of Austria : *The Caravan Route Between Egypt and Syria*, Translated from German (1881), pp. 48 to 58.

جـ — منطقة قطيـة : الغنية بنخيلها ، والتى يسكنها بدو يعرفون عامة (بعربان قطية) ، وهم بطون متفرقة من « العيـايدة والمساعيد والاخارسة والعقايله وبلى والقطاوية والبياضيين والدواغرة » . وغالب هذه القبائل حديثة السكنى هناك ، تفرعت عن أصولها فى مديرية الشرقية وأتت هنا فسكنت سيناء وعملت فى نقل القوافل وامتلكت النخيل فى تلك المناطق ، يدل على ذلك أن كثيراً من هذه البطون الصغيرة تسكن قبائلها الكبرى شرق الدلتا[1] . . .

والظاهر كذلك أن عدد هذه القبائل كان أكبر مما هو الآن ، وأن بطونا كثيرة من تلك الأصول النازلة فى مديرية الشرقية كانت تنزل هذا الجزء الغربى من سيناء الشمالية الى أن ضعفت أهمية (الدرب السلطانى) كطريق للقوافل ونقل البضائع بين مصر والشام ، وعندئذ آثرت تلك البطون أن تعود إلى أصولها فى شرق الدلتا تاركة منها تلك الأفخاذ القليلة[2] . . . ومما يؤيد هذا القول ما نراه من أن بعض عرب مديرية الشرقية يملكون نخيلا فى منطقة (قطية) لا يأتون اليه إلا فى زمن الحصاد حيث يجمعونه ثم يعودون إلى مساكنهم فى مديرية الشرقية ، وما يمكن أن نفسر هذه الظاهرة إلا إذا سلمنا بأن هذه القبائل كانت تسكن هذه الجهات وتمتلك فى وقت ما ذلك النخيل[3] . . . ولقد كانت الصلة بين هذه الفروع وأصولها قوية جداً والتزاور والتصاهر

---

(١) يراجع فى هذا تقرير (براملى بك) والتقارير الأخرى المحفوظة بوزارة الحربية خاصة بالقبائل فى مديرية الشرقية ، وستظهر هذه الحقيقة ملموسة حين ندرس توزيع القبائل العربية فى شرق الدلتا .

(٢) سنشير بعد الى توزيع هذه القبائل على دركات طريق القوافل .

(٣) يمكن أن نأخذ على سبيل المثل ما أثبته براملى بك فى تقريره عن البياضيين ، فقد ذكر أنهم « . . يسكنون مديرية الشرقية ، لكنهم يقضون جزءا من السنة فى قطية فى سيناء حيث يملكون بعض نخيل البلح هناك ، وقد استقرت منهم عدة قبائل فى الشرقية مثل القطاويه وأولاد منه والأخارسة لكنهم يملكون نخيلا فى سيناء يرحلون اليه فى أوقات موسمه ، ويعزى امتلاكهم للبلح الى أيام أجدادهم الذين أوكل اليهم ابراهيم باشا أمر المواصلات وحماية الطريق

بينها مستمراً ، وكانت جميعاً تتبع فى الإدارة إلى مديرية الشرقية ، وتدين بالولاء لشيوخها فى مصر ، لكن حفر قناة السويس أضعف هذه الصلة من غير شك وتحولت إدارة هذه القبائل الى العريش فانفصلت عن مديرية الشرقية ، وأصبح ذلك الفاصل المائي ومراقبة عبور القناة والاجراءات المعقدة فى (القنطرة) مما يعوق الصلة السابقة ويضعفها ، لكن رغم ذلك لم تنقطع العلاقات بين هذه القبائل وأصولها فى الشرقية قطعاً باتاً ....

وما دام عماد سكان منطقة (قطية) هو النخيل فما يمكن أن تكون حياتهم مستقرة ولا شبه مستقرة ، بل نراهم مضطرين — بعد موسم البلح — إلى أن يرحلوا بأهليهم وحيواناتهم إما إلى فلسطين حيث يكون المرعى أكثر توافراً ، وإما إلى بعض نواحي شرق الدلتا يعملون بإبلهم فى حمل الحاصلات كالذرة وغيرها ، أو يتاجرون فى «العجوة» التى تكاد تكون محصول أرضهم الوحيد ، والذى يزور شمال سيناء عقب موسم البلح يلمس هذه الظاهرة واضحة ، كما أن من المناظر المألوفة للمسافر فى طريق الدرب السلطاني — عند ما يقترب موسم حصاد البلح — تلك الجماعات من البدو التى نصادفها وقتئذ راجعة من فلسطين فى استمرار لا ينقطع .... وحكومة فلسطين لا تمانع فى هجرة قبائل سيناء اليها بل هى على العكس تسهل لهم تلك المهمة فهم عند ما يعبرون الحدود يعد عمال الجمارك ما معهم من حيوانات ، ثم ينتظرون حتى إذا رجعوا بعد الرعى أخذوا منهم على الجمل ١٢ قرشا وعلى الرأس ٤ قروش ، فاذا لم يدفع البدوى أرسلوا فى طلب شيخه فان امتنع الشيخ خاطبوا فى ذلك الحكومة المصرية .

فاشتغلوا بالنقل وزرعوا النخيل ، فلما أنهت الحرب رجعوا الى أوطانهم ثانية «صفحة ٢١ و ٢٢ من تقريره» ... لكن ينبغى ان نحترس فى قبول كلامه عن البياضيين والأخارسة واعتباره لهم حديثين فى سيناء بهذا الشكل ، فقد رأيناهم فى دراستنا السابقة من أقدم القبائل التى سكنت شمال سيناء ، أتى ذكرهم فى توزيع الحمدانى والقلقشندى وغيرهما فى القرن الرابع عشر وان كان ذلك لا يمنع من أن تكون منهم بطون هاجرت الى الشرقية ثم عادت الى سيناء للاشتغال بالنقل وتأمين الطريق فى أيام محمد على وابراهيم .

وإذا كانت مثل هذه الضريبة مفهومة من ناحية حكومة فلسطين بصفة أن هذه القبائل غريبة تتمتع بمرعى ينبغي أن تدفع عليه أجرا ، فالحكمة غير مفهومة فى أن تأخذ مصلحة الجمارك المصرية على الحيوانات التى تدخل من سيناء إلى مصر ضريبة من أصحابها البدو رغم أنهم تابعون لمصر يسكنون فى أرض مصرية ، الشيء الذى يشكو منه البدو والذى لا يحتمله فقر هؤلاء السكان ولا يتفق مع اعتبارهم مصريين[1] ... إذ أنهم بهذا يعاملون معاملة البدو الذين يأتون بإبلهم وحيواناتهم من خارج حدود سيناء ليتجروا بها فى أسواق مصر مع أن التفريق بينهم أمر واجب ، فاذا كانت الصعوبة فى أن يميز عمال الجمارك بين الحيوانات الآتية من سيناء نفسها والحيوانات الآتية من خارج سيناء فان ذلك لا يمكن أن يقوم عذرا مقبولا إذ من السهل أن تراقب الحيوانات على الحدود الشرقية لا على الحدود الغربية لشبه الجزيرة فى القنطرة والاسماعيلية والسويس .

د — منطقة الزقبة : وهى أرض متسعة تنحصر بين بحيرة البردويل من الشمال وطريق القوافل من الجنوب ، ثم بين بئر العبد شرقاً وقطية غرباً ، وكثير من أراضى (الزقبة) يصلح لزراعة الشعير والبطيخ ، وينمو فيها بعض النخيل ، يساعدها فى ذلك ما يصيبها من مطر لا بأس به بصفتها منطقة ساحلية تتأثر كثيراً بمرور الاعاصير ... ويذكر (نعيم بك شقير) فى كتابه عن سيناء «.. أن أراضى الزقبة قد دخلت فى أملاك الحكومة المصرية فى عهد (توفيق باشا) ، فكانت تؤجرها بالمزاد العلنى حتى عام ١٩٠٧ ثم تركتها للقبائل القاطنة فيها والمجاورة لها لتزرعها وتنتفع بها لكنها لم تعط هؤلاء السكان حق بيعها[2] .. والقبائل التى تسكنها معظمها من بدو (الدواغرة) من

---

(١) يذكر البدو أن الضريبة التى تؤخذ منهم هى : جنيه على الجمل اذا عبر القناة وبيع فاذا رجع دون أن يباع فالضريبة التى تؤخذ هى ٣٠ قرشا ويؤخذ على الضأن والماعز ضريبة هى فى نظرهم مما لا تتحملها حالتهم ، وقد رأيتهم يلحون بشدة فى طلب الغاء ذلك .

(٢) يراجع كتاب نعيم بك شقير صفحة ٢٦ .

عرب (مطير) ، لكن يزرعها معهم من قبائل برقطية الأخرى قبائل «السماعنة والسعديين والأخارسة والبياضيين» ... وكان الدواغرة هؤلاء بدوا مستضعفين ، يحتقرهم جيرانهم ويعتبرونهم (هتيما) [1] ... ، وهم لذلك كانوا يتلمسون حمايتهم بدفع أتاوه لهم تعرف عنـدهم (بالخاوه) ، لكنهم الآن أحرار تحميهم الحكومة وإن ظلت القبائل الأخرى لا تتزاوج منهم حتى الآن أبدا .

* * *

ويلاحظ أن سقوط المطر بغير انتظام ، وبحالة غير مضمونة ولا معروفة ، قد أدى الى صعوبة ضمان المرعى للحيوانات فى جميع المناطق التى ذكرناها وما يتبع ذلك من استحالة قيام حرفة الرعى على أساس اقتصادى مفيد ، أو اشتغال بدو سيناء بتربية الحيوانات واستغلالها بشكل نافع ... حقيقة إن حالة المرعى فى بعض السنوات قد تكون جيدة جداً ، وإن وديان سينـاء القاحلة الجافة قد تغطى — إبان سنين المطر — بحشائش تكفى أضعاف أضعاف ما تحتاج اليه حيوانات البدو فى سيناء ، [2] . لكن تربية الحيوانات والاكثار منها لا يمكن أن يرتبط بمثل تلك السنوات الشاذة وإنما يكون اعتماد الرعاة على الحالة العادية حتى لا تتعرض حيواناتهم للموت والجوع ...

ويصح الاشارة هنا إلى الصعوبة الكبيرة فى تربية الحيوانات التى تعين السكان فى استغلال المناطق التى يمكن أن يقوم بها شىء من الزراعة ، وهى صعوبة أساسها أيضاً عدم ضمان المرعى لتلك الحيوانات ، وقلة الفائدة من أن يحل (العليق) محل (العلف) الأخضر رغم غلاء العليق وفقر السكان ... ولقد جربت زراعة البرسيم

---

(1) يطلق لفظ (هتيم) على القبائل المستضعفة التى تعيش فى حمى غيرها وتدفع (الخاوة) لها ...

(2) يراجع لمثل هذه السنين الشاذة تقرير مصلحة الحدود عن سيناء ١٩٢٥ — ١٩٢٦ ص ١٢ .

فى مناطق سيناء الصالحة للزراعة فكان نجاحها بسيطاً واحتاجت البقرة الواحدة إلى نصف فدان على الأقل وهذا غير متيسر مطلقاً ... ولذا عملت تجربة أخرى لزراعة نبات يعرف باسم (*English Mangel* Wursel) وهو نبات تتغذى عليه الحيوانات ، تدل النتائج على نجاح زراعته ، سيما وقد ثبت أنه ينتج من العلف ستة أضعاف ما تنتجه المساحة التى تزرع برسيما ، ويمكن الاستفادة منه فى أشهر الخريف . كما جربت زراعة (الجزر) ونجحت كعلف للماشية فى أشهر الشتاء [1] .. ، لكن ما دامت مناطق زراعة مثل هذه النباتات كلها مناطق محدوده ، فستظل فائدتها — رغم نجاح تجربة زراعتها — فائدة محدودة كذلك ، وبهذا يبقى عدم ضمان المطر عاملا قوياً فى بقاء مشكلة المرعى قائمة فى شبه الجزيرة ، وسيظل مستقبل حرفة الرعى غير مشجع على الاطلاق .

* * *

وبالرغم مما ذكر من أن حياة السكان فى هذا الجزء الشمالى من سيناء مرتبطة بتوزيع الحياة النباتية التى تعينها كمية المطر ، ومن أن عمل السكان يتوقف توقفاً يكاد يكون تاماً على مدى ما تهيئه تلك الحياة النباتية من فرصة لهم ، فان هنالك الى جانب ذلك ناحيتين أخريين يستنفذان جزءا لا بأس به من نشاط السكان ، ينبغى الاشارة اليهما لأنهما موارد للرزق إن اعتبرا قليلى الأهمية فى المناطق الأخرى الوفيرة الانتاج ، فهما هنا فى مثل تلك المنطقة الفقيرة المجدبة لا يمكن اغفال شأنهما فى دراسة الانتاج وعمل السكان ، . وهاتان الناحيتان هما : —

أولا — صيد السمان : يشهد الزائر للمنطقة الساحليـة فى شمال سيناء فى المدة بين أواخر شهر أغسطس ومنتصف شهر أكتوبر ، أن بدو سيناء يعملون بنشاط فى

---

(1) تراجع تقارير مصلحة الحدود فى الجزء الخاص بالتجارب الزراعية منذ عام ١٩٢٤ وما بعدها .

صيد السمان ، ويرى المسافرون بطريق سكة حديد فلسطين فى المحطات المختلفة حركة كبيرة لشحن ذلك الطائر ، الذى يزيد ما يصدر منه على خمسين الف سمانة فى اليوم ثمن الزوج منها حوالى القرش ، لا يقبض البدوى أكثر منه وان كان الوسطاء سواء فى سيناء أو فى خارجها يبيعون السمان بثمن أعلى للمستهلكين ،. وهذه المقادير ترسل يومياً إلى مدينة (بور سعيد) لتصدر منها إلى أسواق أوروبا : مرسيليا وجنوه وأثينا والبندقية وقد يصل بعض البلاد الأخرى كلنـدن وغيرها جزء قليل من السمان .

ومركز هجرة ذلك الطائر هو سهول القمح فى روسيا ورومانيا والمجر ، يتوالد فيها ويقضى أشهر الصيف هنالك فاذا كان الخريف هاجر إلى وسط أفريقيا ماراً بسواحلها الشمالية وما يرجع إلا فى شهرى فبراير ومارس ، وقد يؤخره نضوج القمح فى مصر فهو يتغذى عليه مدة أخرى قبل رجوعه إلى أوروبا ،. وكان سكان ساحل البحر الأبيض فى شمال أفريقيا ينتهزون فرصة مرور ذلك الطائر فينصبون الشباك لصيده ، اما شباكا قائمة يقع فيها الطائر الذى يهبط إلى الأرض دائما فى الفجر فلا يرى فى الضوء القليل ما ينصبه الصيادون له من شباك ،. وإما شباكا صغيرة يغطون بها العشب الذى يسارع اليه الطائر ثم لا يستطيع التخلص من الشباك بعد ذلك . وكان السكان لا يهمهم الا أن يصطادوا أكثر ما يستطيعون من السمان ، فهم لذلك كانوا يغالون فى أن تنصب شباكهم قريبة ما أمكن من الساحل ليقع فيها الطائر بمجرد وصوله الى البر ، كما كانوا يحرصون على ألا يتركوا للطائر فتحات فى المناطق التى يصطادون فيها ، الشىء الذى كان يصعب معه أن ينجو من الطير نسبة تزيد على ١٠ ٪ من الطيور المهاجرة ، والذى أدى إلى نقص مريع فى عدد السمان الذى كان لا بد من أن يبقى ليتوالد ويمون موسم العام التالى بصغاره موسما بعد آخر.

هذا النقص لم يجد من يتدارك أسبابه فى المنطقة الغربية من ساحل البحر الأبيض فتأثر ذلك المورد تأثرا يكاد يكون تاما ،. أما على السواحل المصرية فلم تترك السلطات

المحلية هذا الأمر يصل الى تلك الدرجة من السوء ، بل سنت من القوانين ما يكفل حماية ذلك الطائر وما يضمن وصول عدد كبير منه إلى السواحل المصرية كل عام : فهى تحرم أن تنصب الشباك على بعد أقل من ٥٠٠ يارده من ساحل سيناء أو الف ياردة من السواحل فى الصحراء الغربية ،. وهى تشدد فى أن يترك الصائد فتحة مقدارها مائة ياردة فى كل كيلومتر واحد ، كما تحرم وضع الشباك على مساحة ٢٥ ميلا شرقى بور سعيد ، ترمى بهذا كله إلى أن يكون أمام السمان فتحات ينجو بها منه عدد كبير لا غنى عنه ليمد حركة المهاجرة بما يمونها عند ما يرجع إلى أوروبا بعد رحلة الشتاء وأوائل الربيع : ولقد حققت تلك القوانين الغاية التى سنت من أجلها ، والصيادون الآن فى شمال سيناء وغيره من السواحل المصرية يستفيدون — دون أن يشعروا — كثيراً من ذلك ، وان كانوا يرون — جهلا — فى مثل هذه القيود ما يغل أيديهم عن رزق ساقه الله اليهم ، وما تستسيغ عقليتهم حكمة القانون إن أشار أحد اليها[1] ..

ثانيا : صيد الأسماك : وإنتاجه أهم من صيد السمان وإن كان من الصعب أن نعين عدد المشتغلين فى كل منهما لاستحالة الحصول على احصائيات فى هذا الموضوع . والمركز الهام لصيد السمك فى سواحل سيناء الشماليـة هو بحيرة (البردويل) شرق مدينة بور سعيد بحوالى ٣٠ متراً ، تقدر التقارير الأخيرة لمصلحة خفر السواحل عن المصائد المصرية أن مساحتها تبلغ ١٦٢ ر ٧٣٤ فداناً[2] .. ، وهذا تقدير تقريبى لأن

(١) اعتمدنا فى هذه الناحية على ما كتبه جارڤس بك فى الفصل الرابع عشر
JARVIS : *Yesterday and Today in Sinai*, pp. 258 to 264.

(٢) يراجع فى هذا تقرير مصلحة السواحل عن مصائد القطر المصرى ١٩٣٢ المطبوع ١٩٣٥ ، ويصح أن نذكر على سبيل الموازنة مساحات البحيرات المصرية الأخرى . قارون ٣٥ر٥٥٠ فدانا ومريوط ٥٩ر٠٠٠ وادكو ٣٥ر٠٠٠ والبرلس ١٤٠ر٠٠٠ والمنزلة ٣٠٧ر٠٠٠ وبهذا تأتى البردويل فى المرتبة الثالثة بعد بحيرتى قارون والمنزلة .

طولها وإن بلغ حوالى ٨٠ ك.م فان امتداد عرضها يختلف فيكون فى الطرف بين كيلومتر وثلاثة كيلومترات ، ويتراوح فى الوسط بين ٢٠ و ٣٠ كم [١] ، أما مستواها عن سطح البحر فينخفض من ٦ إلى ١٠ أقدام .

وبالرغم من أن قاع البحيرة لا ينمو فيه نبات يذكر ، وبالرغم من أن الجوانب رملية فقيرة ، فانه لا شك فى وجود غذاء يعيش عليه السمك ويتغذى به لأن السمكة التى تدخل البحيرة فى أشهر الخريف زنتها نصف رطل لا يكاد الصيف يبتدىء حتى تزيد زنتها على رطلين وحتى تملأ بالدهن والبطارخ ، ثم تندفع إلى البحر خارج البحيرة إما رغبة منهـا فى أن تتوالد أو تخلصا من حرارة ماء البحيرة ، لكن توضع شباك تعترض خروجها حتى ولو لجأت إلى القفز كما يحـدث فى أحوال كثيرة [٢] .

وتنتج (البردويل) سنويا كميات كبيرة تبلغ حوالى ثلاثمائة وخمسين طنا تقريباً من أجود أصناف سمك «البورى» و «التوبار» و «لوت» و «مياس» و «سحيلى» و «الحوت» و «الجران» . — كما يبين الجدول الاحصائى التالى لهذا والذى يدل على جملة الانتاج فى الأصناف المختلفة — ، يصدر بعضها طازجا الى جهات القطر المصرى المختلفة — القاهرة والاسكندرية وطنطا والمنصورة — أو الى مدينة «يافا» بلاد الشام ، ويستخرج من جزء كبير منها بطارخها التى اشتهرت (البردويل) بها والتى يباع الرطل منها بحوالى ٢٥ قرشا فى السنين العاديه ، أما باقى السمك فيملح «فسيخا» ويصدر إلى داخل القطر المصرى .

وكان نظام المصائد فى مصر أن تعطى بطريق الالتزام لمن يدفع أكبر ايجار ، وظلت هذه الحالة قائمة حتى عام ١٩٠٣ حيث صدر الأمر العالى باتباع نظام الضريبة ، واباحة حرية الصيد نظير رخص يحصل الصيادون عليها بعد أن يدفعوا لذلك رسما ،

---

(١) براجع تقرير مدير ادارة المصائد المائة عام ١٩٢٥ صفحه ٥٨ .

(٢) راجع كتاب جارفس بك ، الفصل الأول صفحتى ٧ و ٨ .

وعمم هذا المشروع فى جميع البحيرات عدا البردويل عام ١٩٠٥ ثم طبق على مياه نهر النيل عام ١٩٢٠ [١] . . . والواقع أن نظام الالتزام هذا كان يضر من ناحيتين :

ا — أن الملتزمين كانوا يتحكمون فى الصيادين الضعفاء الذين يخضعون مضطرين ، والذين كانت جهودهم تسخر لمطامع الملتزم وحده .

ب — أن الملتزمين ما كان يهمهم إلا أن يحصلوا فى مدة الالتزام على أكبر كمية ممكنة من السمك ، وكانت النتيجة اضرارا بانتاج السمك الذى كان يصطاد صغيرا . . . ولقد كانت نية مصلحة خفر السواحل منصرفة إلى تطبيق نظام الضريبة على رخص الصيادين فى بحيرة البردويل ، وإلغاء نظام الالتزام هناك لترفع بهذا عن الصيادين عبء الملتزمين من جهة ، ولتستطيع أن تتولى بالتحسين هذه المساحة الكبيرة فيزداد انتاجها من السمك ، لـكن يظهر أن بعد البحيرة عن العمران وقلة وجود صيادين فى الجهات القريبة منها لم يساعدا على تحقيق هذا وظلت بحيرة البردويل هى المساحة المائية الوحيدة التى تؤجر فى مصر بطريقة الالتزام . . .

وكان ايجار هذه البحيرة حتى الحرب العظمى الأولى ١٠٠٠ جنيه فى العام [٢] . . . ، ثم جاءت الحرب فأوقفت استغلالها لأسباب حربية ، حتى إذا كان عام ١٩٢٤ أعلن مزاد ايجارها فرسا بمبلغ ٨١٥٠ جنيها سنوياً ، — (انتجت البحيرة فى الخمسة أشهر التالية لتوقيع الايجار سمكا ثمنه ١٢١٤٣ جنيهاً كما تشير إلى ذلك دفاتر الملتزم) — ، خفض بعد خمس سنوات إلى ٦٠٥٠ جنيهاً فى السنة ، ثم عاد الايجار نخفض فى سنة ١٩٣٢ إلى ٣٠٠٠ جنيهاً فى العام مدة عشر سنوات نتيجة للازمة وكساد الأسواق التجارية .

وقد قام الملتزم منذ رسا عليه المزاد الأول باحضار الصيادين الذين يسكنون فى

---

(١) براجع تمهيد تقرير مصلحة خفر السواحل لعام ١٩٢٥ .

(٢) براجع كتاب نعيم بك شقير صفحتى ٢٧ و ٢٨ .

أكشاكهم على سواحل البردويل ، وعمل فتحة فى البوغاز الضيق بين البحيرة والبحر ، وكانت العقبة دائماً أن الرواسب تسد هذه الفتحة فى أشهر كثيرة ، وكانت الحكومة تطالب المتعهد دائماً باصلاح هذه الفتحة فيلاقى فى ذلك صعوبة كبيرة ، لكنه استطاع الآن أن يشترى (كراكة) بخارية خاصة بتطهير الفتحة ، وبهذا يظل الاتصال موجودا بين البحيرة والبحر طول العام كما يؤدى إلى كثرة دخول السمك فيها وزيادة الارباح منها [1] .

وإلى جانب هذا العدد الكبير من الصيادين الذين يعملون فى بحيرة البردويل يوجد عدد قليل يصطادون السمك على الساحل القريب من محطة (الشيخ زويد)

(١) يصح أن نذكر هنا على سبيل المثال ما أنتجته بحيرة البردويل عام ١٩٣٢ الوارد فى تقرير ١٩٣٥ ، صفحة ١٠٢ والتقدير بالكيلوجرامات .

الشهر	بورى	توبار	لوت	مياس	سيحلى	حوت	جران	الجملة بالشهر
يناير	—	—	—	—	—	—	—	—
فبراير . . .	٦٩٤	٤٣٥٩	٥٥٠	—	—	—	—	٥٦٠٣
مارس . . .	١١٩٥	٤٩١٤	١٢٨٦	—	—	—	—	٧٣٩٥
أبريل . . .	٢٣٤٦	١١١٤٩	٣٤٩٨	٤٧٧	—	١	—	١٧٤٧١
مايو	١٠٧٩٥	٤٦٧٨٣	٣٧٨٤	٢٠٣٢	—	٣٤	—	٦٣٤٢٨
يونيه	٢٠٨١٤	٢٩٦٩٣	١٥٠٩	٥٧١	٣٠٤	٢٦٩	—	٥٣١٦٠
يوليه	١٨٧٦٤	٢٥٥١٩	١٦٨٢	—	١٨١	٨٨٦	٢١٧	٤٧٢٤٩
أغسطس . .	١٣٩٢٥	٢٠٦٢١	٢٨٤	١١	٢٩٤	١٥٠٢	—	٣٦٦٣٧
سبتمبر . . .	١٢٠٦٢	٢٠١٦٥	٢٧٢	—	٦٤٤	٣٠٩٩	١٢	٣٦٢٥٤
أكتوبر . .	١٣٦١٥	٢٦٢٧٧	١١٧٠	—	—	١١٢١	—	٤٢١٨٣
نوفبر . . .	٨٧٢	٣١٩٠	١٤٧٧	—	—	—	—	٥٥٣٩
ديسمبر . . .	٩٣٩	٢٩٧٠	١٣٩٣	—	—	—	—	٥٣٠٢
الجملة . . .	٩٦٠٢١	١٩٥٦٤٠	١٦٩٠٥	٣٠٩١	١٤٢٣	٦٩١٢	٢٢٩	كيلوجرام ٣٢٠٢٢١

شرق العريش ، يعرفون (بالطراطره) ، وهؤلاء يدعون أنهم من البدو ، والواقع أنهم من (السقالين) ، فريق من (العريشية) يسكنون بلدة (أبى سقل) إلى شرق العريش يزرعون التين والبطيخ ، ولعل هذا العدد من الصيادين هم الذين أشار اليهم تقرير مصلحة الحدود (١٩٣١ — ١٩٣٢) بأن تحسين وسائل تصدير السمك إلى مصر والشام قد أغرى بعض الأشخاص بأن يشتغلوا بالصيد اشتغالا دائماً ، غير مكتفين بالانتاج لحاجة العريش وحدها كما كان الحال ، بل هم يرسلون السمك إلى أسواق أخرى خارج حدود سيناء ، وقد ربحوا من ذلك أرباحا كبيرة لم يعودوا معها بالذين يستهويهم العمل فى تهريب الحشيش [1] . . ولا يبعد أن تجذب هذه الحرفة عدداً أكبر من سكان سيناء ، سيما إذا الغى نظام الالتزام وترك الصيادون يعملون فى البردويل لحسابهم الخاص فعندئذ يكون مكسبهم كبيراً يغرى غيرهم من سكان المنطقة الساحلية لأن المثل الناجح هو أحسن ما يؤثر فى جذب مثل هؤلاء السكان الى مثل تلك الأعمال . . .

*

* *

٢ — **المنطقة الوسطى** : إلى جنوب المنطقة الشمالية ، حيث الهضبة الكلسية التى يطلق عليها إجمالا هضبة التيه بما يجاورها ويحف بها من أراض تصل اليها نهايات الكثبان الرملية . . وهذه المنطقة نصيبها من المطر نصيب قليل لا انتظام له ، ينفذ فى مسام الهضبة وما يظهر إلا حين تهيء الظروف الطبيعية له فرصة الظهور على شكل عيون . وتلك المنطقة من الطبيعي أن تكون أفقر فى مائها من المنطقة الشمالية ومن أجل هذا أشير إلى أن المستعمرين القدماء اضطروا إلى أن يحفروا فى الجهات المختلفة فيها خزانات ينساب المطر اليها زمن سقوطه فيستفيدون منه فى مدة الجفاف . . والحياة النباتية فى جملتها أفقر منها فى المنطقة الشمالية وما يمكن تبعا لما سبق أن تكون

(١) راجع تقرير مصلحة الحدود عن سيناء ١٩٣١ — ١٩٣٢ .

متوافرة مضمونة إلا حيث توجد تلك المصادر التى يضمن ماؤها ، أما فيما عدا ذلك فالوديان الكثيرة المنتشرة فى أجزاء الهضبة تصبح غنية بزراعة الحبوب التى تجود فيها إذا ما كان العام عام مطر ، فأما فى سنين الجفاف فالوديان — كسائر جهات الهضبة — مجدبة تتعذر الحياة فيها إذ لا ينمو هنالك وقتئذ إلا تلك الحشائش الصحراوية التى لا تستطيع الحيوانات أن تعتمد عليها كثيراً فى المرعى والغذاء .

وطبيعي أن يكون سكان هذه المنطقة — رغم اتساع أراضيهم كثيراً عن أراضي سكان المنطقة الشمالية — أقل منهم عددا وأقل درجة فى الكثافة [1] . ومن الصعب أن يقال إن البدو هنالك رحل ينتقلون فى أجزاء تلك الهضبة فمناطقهم موزعة بينهم ، تختص بطون القبائل وأفخاذها بأجزاء خاصة منها تستغلها وتزرعها وما يسمح للبطون الأخرى بأن تشترك معها فى ذلك الاستغلال . حقيقة إن حق الرعي مباح للقبائل جميعا فى نواحى الهضبة كلها ، لكن أهمية الهضبة فى الرعى قليلة لفقرها فيه ، والبدو الذين يعيشون على الرعى فى الهضبة وينتقلون بينها وراءه عددهم قليل محدود . وإذاً ففى الامكان أن يقال إجمالا إن قبائل المنطقة الوسطى مركزة فى مناطق الزراعة ، مستقرة حول العيون وفى الوديان ما دام المطر كافياً لزراعتها ، أما فى سنين الجفاف فما يكون تنقلها فى هضبة التيه وإنما تكون هجراتها إلى خارج سينـاء فى بلاد شرقى الأردن وفلسطين حيث تكون الحياة النباتيه أكثر توافرا . ، وحيث لا تقف الحدود السياسية حائلا دون أن تنتقل تلك القبائل إلى الأراضى الواقعة خارجها : لان حكومتى

---

(١) من الصعب أن نطمئن الى الاحصاءات التى تعطى عن عدد البدو فى سيناء ، من جهة لأنه لا يمكن ضبطها ، ومن جهة أخرى لأن البدو أنفسهم ان اضطروا الى اعطاء معلومات فهم يغالطون كثيراً فيها . . ، على أن نعيم بك شقير فى كتابه عن سيناء — صفحات ١٢٥ الى ١٢٩ — يذكر أن عدد سكان بلاد العريش (المنطقة الشمالية) ١٦١٢٠ نفساً منهم سواركة ورميلات ١٢٠٠٠ وعربان قطية ٤١٢٠ ، ويعتبر أن بدو التيه (المنطقة الوسطى) عددهم ١٢٩٠٠ منهم حيوات ٤٢٠٠ وتياها ٤٢٠٠ وترابين ٣٠٠٠ وحويطات ١٥٠٠ وهو بهذا لا يذكر بعض القبائل الأخرى فى المنطقتين .

شرقى الأردن وفلسطين تسمحان بمثل هذه الهجرة ، سيما وأن الحدود بينهما وبين سيناء حدود صناعية فى الجزء الغالب منها وكثيراً ما تقسم مناطق القبيلة الواحدة — كما يظهر ذلك بوجه خاص فى أراضى «العزازمة والتياها والترابين» — مما يصعب معه أن يحرم بينها الاتصال الذى لا تدعو اليه مجرد الروابط العائلية ، وإنما الدافع الأساسى فيه دافع اقتصادى لا يمكن إغفاله بحال من الأحوال .

ونظراً لتلك المصلحة الاقتصادية المشتركة بين كثير من القبائل البدوية فى سيناء والقبائل الأخرى فى شرقي الأردن وفلسطين مضافا إلى ذلك روابط الدم التى تجمع بين عدد كبير منها ، لا يصبح غريباً أن تكون وجهة نظر غالبية تلك القبائل هى إلى الجهات الشرقية لسيناء ، تتصل بأهلها ، وتبتاع فى أسواقها ، وتلجأ فى أوقات الحاجة اليها ، أما نظرتها الآن إلى خارج حدود سيناء الغربية فقد أصبحت ضعيفة وقد تحولت كثيراً عنها لأنها من جهة لا تلمس دافعا اقتصاديا يدفعها اليها ، وقد يكون حفر قناة السويس وتلك القيود المعقدة التى تفرض عليها حين تجتاز تلك القناة من العوامل التى ساعدت على إضعاف تلك الصلة التى تكاد تكون مقصورة الآن على عدد قليل من القبائل الصغيرة النازلة إلى شرقى القناة مباشرة والتى تربطها بالقبائل الواقعة غربي القناة وفى مديرية الشرقية صلة من القرابة لا يسهل التحلل منها .

والآن يمكن أن تقسم هذه المنطقة الوسطى فى شبه جزيرة سيناء من حيث أهميتها كمراكز للسكنى ومن حيث مدى استقرار القبائل فيها إلى الأقسام الثلاثة الآتية : —

أولا مناطق تأتى فى الدرجة الأولى من الأهمية بصفتها مراكز يمكن أن يتجمع فيها السكان بشكل لا نصادفه فى أنحاء المنطقة الأخرى ، كما أن الحياة فيها يمكن أن نعتبرها نسبيا أشبه بحياة الاستقرار لا تضطر القبائل معها إلى أن تنتقل كثيراً فيها إذ ليس هنالك ما يدعوها إلى ذلك ، . . وتلك هى المناطق التى يتوافر ماؤها بشكل منتظم مستديم ، وهى مناطق العيون الغنية بحياتها النباتية فى مرعاها وفى شىء من زراعة

الحبوب وإنتاج بعض الفواكه أحياناً . وخريطة توزيع العيون هى خير ما يعين هذه الجهات التى تعتبر أهم مراكز السكنى فى هضبة التيه والتى يمكن أن نعد منها منطقة (عين الجديرات) والقصيمة ومنطقة العيوب الموجودة عند حافة التيه الجنوبية والتى ينتشر فيها عيون برقه وبحيـة وأبى نتيجينا و . . . و . . . . مضافا اليها تلك الآبار الكثيرة التى تنتشر فى تلك المنطقة ، . ثم تلك المنطقة المعيبة أيضا الواقعة إلى جنوب شرقى العجمة حيث مياه سوانه والبيار وغيرها ، والمنطقة الغنية بآبارها حول نخل والتمد والحسنة ، يضاف إلى هذا كله منطقة خزانات وادى أم خشيب التى يمكن أن يستفاد منها أكثر لو نظفت فتزيد الكمية التى تستطيع أن تحتفظ بها من ماء الأمطار .

وأهم هذه المناطق كلها فى السكنى إذا نظرنا إلى المستقبل القريب لها هى منطقة (عين الجديرات) التى عنيت مصلحة الحدود بها واهتمت بتنظيم استغلال مائها بما أقامته من سد فى مجرى ماء العين وبما مدته من أنابيب ثم بعمل رافع (هيد روليكى) لتوصيل الماء الى مساحات مرتفعة ما كان يمكن أن يصل اليها ماء العين من قبل مع أنها أراض غاية فى الخصوبة . . وتعطى منطقـة الجديرات هذه محصولا لا بأس به من القمح والذره كما نجحت بها زراعة بعض الخضروات والفواكه حتى إن منطقة الجديرات لتمد الأهالى بفواكه كثيرة ، وحتى إنه ينتظر أن تتمكن تلك المنطقة فى مدى سنوات قليلة من أن تبعث إلى العريش بجزء كبير مما يلزمها من الفاكهة . كذلك قد نجحت زراعة الزيتون بهـا وانتشرت فيها ، وتشير التقارير المختلفة إلى شدة الاهتمام باقامة معصرة للحصول على زيت الزيتون اللازم للأهالى كما تدل الحالة على أنه من المنتظر أن تتمكن الجديرات فى العشر سنوات القادمة من تصدير زيت الزيتون إلى وادى النيل ما دامت زراعة الزيتون فى زيادة مستمرة [1] .

ومياه الجديرات تكفى لرى مساحات واسعة لكن الصعوبة هى عدم توافر الايدى

---

(1) راجع تقرير مصلحة الحدود عن سيناء لسنة ١٩٣٠ — ١٩٣١ وتقريرها عن سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ .

العاملة التى يمكن أن تتعهد الزراعة وترعاها : فسكان المنطقـة من بدو (التياها) لا يبدون اهتماما يذكر بتحسين حالتهم والاستفادة من هذا المورد الهام ، ومن الصعب أن ننتظر من هؤلاء البدو تقدما ملموسا لأنهم عاشوا فى المنطقة يزرعون على المطر فلا بد من وقت طويل يدربون فيه على طرق الزراعة بواسطة الرى سيما وهم بطبيعتهم محافظون لا يمكن أن يغيروا أسلوب معيشتهم بسهولة . ولقد دعا هذا التراخى من ناحيتهم إلى شيء كبير من اليأس من الانتفاع بهم ووجهت الأنظار إلى الاستفادة من (العريشية) الذين هم أنشط من البدو وأقدر على استغلال أرض الجديرات منهم . وقد رأى هؤلاء (العريشية) مبلغ ما يمكن أن يجنوه من أراضى الجديرات فاحتالوا على عدد من البدو واستولوا على أرضهم هنالك وزرعوها . وكانت الفـائدة من وصول هذا العنصر النشيط مزدوجة : فالى جانب أنه كان عامل انتاج يفضل البدوى كثيراً فانه قد وضع أمام البدوى مثلا لما يمكن أن تدره عليه زراعة الارض بالطرق الجديدة من ربح كان دافعاً لبعض البدو إلى أن يقلدوا وأن يعملوا فى أراضيهم كفلاحين [1] . . . ومن المنتظر إذا ما استمرت عناية الحكومة بالقيام بتجاربها فى منطقة الجديرات وإذا ما ظل تحسن الانتاج مستمراً أن تزيد جاذبية المنطقة لعدد أكبر من الأهالى سواء من (العريشية) أو من بدو (التياها) أنفسهم . ولا يبعد أن يلجأ المستغلون لها إلى أن يسكنوا بعائلاتهم ، وإلى أن يبنوا لهم بيوتا فتصبح منطقة الجديرات منطقة سكنى مستقرة تكفى أهلها بل وتزيد فى إنتاجها عما يحتاجون .

ثانياً — مناطق لها أهميتها فى السكنى أيضا ، لكن تلك الأهمية لها أوقاتها المحدودة وظروفها الخاصة ، فاذا لم تتوافر تلك الظروف — وكثيراً ما يحدث ذلك — فعندئذ تضمحل تلك الأهمية وما نصادف فيها إلا عدداً قليلا جداً من السكان ، فى حين أنها فى ظروف أخرى تشتد كثافة السكان فيها بدرجة تفوق كثافة القسم السابق بشكل

---

(1) راجع تقرير مصلحة الحدود عن شبه جزيرة سيناء ١٩٣٠ — ١٩٣١ .

واضح : تلك هى الوديان التى تنتشر فى أجزاء الهضبة والتى تعظم خصوبتها وتشتهر لوفرة إنتاجها فى الحبوب فى السنوات التى تصيب الهضبة فيها كميات من المطر كافية برى الأرض . أما فى سنين الجفاف فتلك الوديان نفسها تصبح مناطق جدب يهجرها سكانها حين لا يجدون فيها ما يمكن أن يعيشوا هم وحيواناتهم عليه من مرعى ونبات .

هذه الوديان تكاد تجمع فى مجموعتين عظيمتين : وادى (الجرافى) الذى يتصرف ماء حوضه إلى العرابه ، والذى تتصل به فروع عدة أهمها (رحيه والأغيدره وخميله وسلالم والهاشة) ، . ووادى (العريش) الذى يتصرف ماؤه إلى البحر الأبيض بعد أن يتصل به فروع كثيرة تأتيه من سائر أنحاء الهضبة أهمهـا (أبى متيتنة ومجمر ولقين وأبى عليجانه وأبى طريفية والرواق ووادى البروك ثم وادى العقابة مع فروعه القريص والطيبة والثمد ووادى قرية مع فرعه الهام ووادى معين والفهدى ، . وتلك الوديان التى تأتيها مياه وادى القصيمة والمويلح والجديرات ، ثم وادى الأبيض . يضاف إلى هاتين المجموعتين هذه الوديان الموجودة فى شمال غربى التيه وغربيها وان كانت هذه أقل أهمية لأن جزءا كبيراً منها يجرى فى مناطق رملية يغور ماؤها فيها كما هو الحال فى وديان مغاره والحمـه والحسنه والجفجافة وجدى وأم خشيب ووادى الحاج والراحة وفروعها [1] . .

وما دامت المشكلة هنا هى مشكلة سنين الجفاف فستظل حالة السكان على ما هى عليه الآن من قلق ، إن طرأ عليها شىء من التغيير فسيظل تغييراً غير جوهرى لان الجفاف كثيرا ما يطول أمده إلى عدة سنين وبذلك لايمكن بسهولة أن تحل مشكلته ، وليس من مشروعات الاصلاح ما يتجه نحو التفكير فى هذه المعضلة العويصة فى حياة هذه المنطقة من أرض سيناء ؛ . على أن ذلك لا يمنع من أن تحاول تجربة يظهر أنها كانت قائمة وربما أفادت بعض الفائدة بأن تقام سدود فى مجارى الوديان الهامة لمحاولة إمكان

---

(١) تراجع فى خريطة المساحة أهم الوديان فى هضبة التيه .

الاستفادة من ماء المطر وتنظيم الزراعة أكثر مما لو ترك الماء يجرى ضائعاً لا يستفاد منه . وهناك بقايا لمثل تلك السدود فى كثير من الوديان الواقعة على الحدود الشرقية لهضبة التيه سيما فى وادى (معين والأبيض) ، وهى سدود كانت تخرج من ورائها قنوات تنقل الماء إلى أحواض وأراض زراعية قد يكون مما ساعد على وجودها أن تلك المناطق كانت أكثر مطراً مما هى الآن ، أما مسئولية السكان الحاليين من البدو وجهلهم باستغلال تلك المنـاطق فما يمكن أن يكون السبب الجوهرى فيما نراه من جدب يسود فيها الآن [1] . . .

ثالثا — أما أقل أجزاء هذه المنطقة الوسطى أهمية فى السكنى ، فهى الجهات الواقعة خارج مناطق العيون ومزارع الوديان ، فهى فى فقرها فى الماء والنبات لا يمكن أن تقوم فيها حياة ، وما تعيش الأفخاذ البدوية الصغيرة التى تمتلكها إلا عيشة انتقال مستمر إلى بلاد الشام طورا وإلى الأراضى المصرية طوراً آخر ، ومثل هذه المناطق نصادفها منتشرة فى المنطقة الرملية إلى شرقى قناة السويس وإلى غربى «نخل والحسنة» ، وستظل هذه الأجزاء ، بعد أن أصبحت الحياة فى سيناء متوقفة على مدى توافر النبات ، مناطق لا قيمة لها كمراكز للسكنى تأتى فى الدرجة الأخيرة فى شبه الجزيرة كلها ، وليس هنالك ما يدل مطلقاً على أن شيئاً من التغيير سوف يطرأ عليها سيما وأنه قد ظهر أن عمليات البحث عن الماء التى أجريت فى وسط سيناء لم تؤد إلى نجاح يذكر فى ذلك الاتجاه . . .

وهذه المنطقة الوسطى فى سيناء يقتسمها خمس قبائل بدوية هى : (التياها والترابين

---

(١) هناك دراسات مطولة لبقايا الزراعة فى مثل هذه الوديان يتخذها أنصار تغيير المناخ دليلا قويا من أدلتهم وهذه يمكن الرجوع اليها فى : —

a) E. Robinson : *Biblical Researches in Palestine and Adjacent Regions* (1867), pp. 173-208.

b) Huntington : *Palestine and its Transformation* (1911), pp. 39-121.

و . الاحيوات و . الحويطات و . العيايده .) يغلب أن تكون كلها من قبائل (بنى عطية)[1] إذا ما استثنيت قبائل (العيايده) التى يرجح أنها من عرب (العايذ) الذين كان لهم حق حماية طريق الحج وتولى دركاته من مصر عبر سيناء ، هاجرت تلك القبائل من الحجاز إلى شبه الجزيرة ، أو سكنت شبه الجزيرة بعد إذ هاجرت أولا إلى بلاد الشام أو مصر ، ولا تزال بقايا بطونها وأفخاذها تنزل خارج حدود سيناء[2] . . إذا ما تقيدنا بالحدود السياسية لشبه الجزيرة وهى حدود لا تتمشى مع توزيع القبائل كثيراً .

وسنحاول الآن — نظراً لصعوبة ربط هـذه القبائل بمراكز السكنى السابقة — أن نحدد مناطق كل قبيلة منها ، وسيكون من السهل بعد أن قسمت أجزاء هذه المنطقة من حيث أهميتها للسكنى أن تظهر أهمية كل قبيلة ، وهى أهمية لا ترتبط مطلقا باتساع المساحة التى تملكها ، وإنما تتوقف تلك الأهمية على الحالة الطبيعية لتلك المساحة ومبلغ ما يكون فيها من ماء ونبات : —

١ — التياها : أخذت هذه القبائل اسمها من اسم الهضبة التى تسكنها ، وهى تسمية غريبة لانه يندر أن تغير القبائل العربية تسميتها بسهولة لتنسب إلى المناطق التى تسكنها ، ويجب أن نفرق هنا بين اسم (التياها) واسم (الطوارة) فى هذه الناحية لان ذلك الاسم الأخير يطلق على قبائل المنطقة الجنوبية إطلاقا عاما على حين تحتفظ كل قبيلة باسمها الأصلى ، أما اسم التياها فما نجد بجانبه أسماء القبائل الأصلية وإن كان ذلك

(1) الكلام فى أصول هذه القبائل ينبغى أن يؤخذ بشىء كثير من الاحتراس لأنه ليست هنالك معلومات يمكن ان نطمئن اليها فى ذلك ، واذا كان هنالك كثير من الكتاب يميلون الى ارجاع هذه القبائل الى بنى عطية ، فتقاليد التياها مثلا لا تسلم بهذا لأنهم يعتبرون أنفسهم من بنى هلال . .

(2) يراجع الباب الثالث وفصوله الستة من كتاب (تاريخ بئر السبع وقبائلها) تأليف عارف العارف قائمقام بئر السبع ١٩٣٤ وتراجع خريطة توزيع قبائل المنطقة فيه .

لا يمنع من أن يقسم التياها إلى فروعهم المختلفة . . ويصح الإشارة إلى أن هنالك من الكتاب من يعتبر هذه القبائل بقايا سكان سيناء الأصليين[1] . . وهذا كلام فيه شيء من الغموض إذ أننا لا نفهم تماما المعنى المقصود بذلك ، ولا ندرى أى سكان أصليين يقصدونهم ، على أنه فى الوقت ذاته لا يمكن انكار ما تمتاز به هضبة التيه فى قفرها وجدبها من عزلة تجعلها صالحة لان تكون ملجأ لبعض القبائل التى تدفعها أمامها الهجرات الأخرى ، فتتلمس فى هذه المنطقة التى لا مطمع فيها مأوى لها أمام القبائل القوية ، على ألا يكون معنى ذلك التسليم بان سكانها كلهم من بقايا ما سماه هؤلاء بالسكان الأصليين ، والا ينتفى معه وصول قبائل فى فترات متعاقبة حديثة ، يفهم من تسميتها بالتياها أنها فقدت أسماءها الأصلية لأسباب من الصعب التكهن بها مع قلة المعلومات التى بين أيدينا واستحالة الاعتماد على كلام البدو لما فيه من بعض الخرافة التى لا تستساغ كثيرا .

والعرف فى سيناء يجرى بان (التياها) أقدم من سكن هضبة التيه من القبائل ، ويذكر شيوخهم «أنهم من برية نجد هاجروا منها فراراً من المعازه ، ومعهم الترابين فسكنوا هم فى بلاد التيه وسكن قسم من الترابين فى شرقى بلاد الطور ، ثم وقعت بينهم حروب انتصر فيها التياها وفر الترابين إلى مصر ثم عادوا فاصطلحوا على أن يكون للتياها أرض الجلد وللترابين أرض الدمث[2] . . . » والظاهر أن ذلك الاتفاق حديث يأتى قبيل القرن التاسع عشر ، فقد سبقت الاشارة إلى أن كتاب الحملة الفرنسية حين حددوا مناطق التياهـا — التيهانية فى تعبيرهم — قد جعلوا أراضيهم هم والترابين حول (خان يونس) يتبعون (غزه) وان كانوا يقومون برحلات كثيرة إلى

(1) يراجع فى هذا Ritter : *The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula*, V, I, p. 404.

(2) يراجع كتاب جغرافية سيناء وتاريخها لنعيم بك شقير ص ١١٥ ، ويراجع كذلك صفحتى ١٠٣ و ١٠٤ من كتاب (تاريخ بئر السبع وقبائلها) للوقوف على الآراء المختلفة فى أصل هؤلاء التياها وهى آراء متباينة لا يمكن الوصول معها الى شىء نهائى .

مصر ، واذا فمعظم أراضى التيه كانت منازل للسواركة حتى جبال الطور[١] ...
ومساكن التياها الحالية فى منطقة التيه يحددها الاتفاق السابق بينهم وبين الترابين على أن تكون من « مطلة نخل الشرقية إلى جبيل حسن شرقا وغُربا ، ومن جبل الحلال إلى نقب الراكه شمالا وجنوبا » ، ومعنى ذلك أنهم يملكون أهم مراكز السكنى فى بلاد التيه ، إذ هم يضعون أيديهم على غالبية حوض (الجراف ، ووادى العريش) ، ويمتلكون أغنى جهات التيه بالعيون والآبار . ويمكن أن توزع أهم مساكن التياها على الفروع الرئيسية لهم كما يأتى[٢] ...

ا — بنو عامر : فى نخل ، وأم سعيد والملحة وبرقة والحديد وأعالى العريش والمويلح وجديس .. ويتبع بنى عامر (تياها الجديرات) الذين يسكنون وادى الجديرات والذين يشتد الخلاف بين الكتّاب فى مدى نسبتهم إلى التياها[٣] ...

ب — البريكات : فى قرية وعجرود ومعين[٤] ..

ج — الشتيات : فى الحظيرة وجبل الحلال .

د — المنيات : فى القصيمة والحسنة والتماده والحمة .

ويدخل فى حمى التياها بدو يعرفون (بالبداره) يسكنون هضبة العجمة ،

---

(١) راجع كتاب .La Description d'Égypte, Tome XVI, pp. 110-115
و راجع كذلك ما كتبناه عن أسباب توسع هذه القبائل فى أرض التيه على حساب السواركه .
(٢) اعتمدت فى هذا التوزيع على آراء مشائخ العربان فى سيناء الذين قابلتهم فى دار المحافظة فى العريش اثناء زيارتى لشمال سيناء فى اغسطس ١٩٣٣ .
(٣) يرجع فى أصل الجديرات ، وهبوطهم الى شبه جزيرة سيناء ، وتوزيعهم فى بلاد فلسطين الى كتاب عارف العارف عن تاريخ بئر السبع وقبائلها صفحة ١٢١ — ١٢٥ .
(٤) يرجع الهزيليون — الذين امتد سلطانهم أيام الحكم التركى من جبل الخليل حتى وادى العرابة والذين كانوا يتحكمون فى المنطقة تحكماً تاماً ويعيثون فيها فساداً — أنفسهم الى البريكات وهؤلاء كانوا فى سيناء ثم هاجروا الى منطقة بئر سبع (ص ١٠٦ من كتاب تاريخ بئر السبع وقبائلها)

ـ وتمتد مساكنهم فيما يروى البدو — إلى أبى (نتيجينا وبرقة وحجية وحمايات) قرب حافة التيه الجنوبية ... وموقع هذه القبيلة الصغيرة بين القبائل القوية من « الحيوات والتياها والعليجات ، جعلها مذبذبة فى علاقاتها مع تلك القبائل الثلاثة ، فبينا نراها حليفة « للتياها » أولا ، نراها فى فترة أخرى تحالف « الحيوات »[١] ثم تعود الآن إلى حماية « التياها » ، وهى فى كل ظروفها مسالمة تصادق « العليجات » . ويغلب أنها كانت مسيرة فى علاقاتها المذبذبة بباقى القبائل المجاورة بعلاقة هذه القبائل الثلاثة نفسها بعضها ببعض ، إذ ما كان يمكن لقبيلة صغيرة مستضعفة مثلها أن تكون لها فى علاقتها سياسة مستقلة . وحين استتب الأمن فى شبه الجزيرة وقل احتكاك القبائل بعضها ببعض استطاع (البداره) — رغم أنهم فى حمى « التياها » — أن تكون علاقتهم الآن بكل من يجاورهم من البدو علاقة ودية .

وأراضى (التياها) تمتد خارج حدود سيناء إلى جنوب فلسطين ، يكثرون بوجه خاص حول « بئر السبع » حيث يعيش حوالى خمسة عشر الف تيهى[٢] ...
والواقع أن تياها شبه الجزيرة فروع من تياها فلسطين ، وأن أصول هذه القبائل توجد غالبيتها هناك وليس فى ذلك غرابة بعد ما سبق ذكره من أن مساكن قبائل التياها كانت حتى أوائل القرن التاسع عشر مركزة حول غزة وخان يونس والمناطق الأخرى فى جنوب فلسطين ، وما دامت تلك الجهات أكثر صلاحية للسكنى من جهات التيه لملاءمة الظروف الطبيعية فيها فمن الطبيعى أن تؤثر غالبية التياها البقاء فيها ، وما ينتظر أن يكون قد هاجر إلى سيناء إلا أقلية ضئيلة منهم قد تكون اضطرت إلى ذلك تحت ضغط شديد عليها ، وقد تكون اندفعت إلى ذلك طمعاً فى الاستفادة من وديان

---

(١) يراجع كتاب .G. W. Murray : *Sons of Ishmael* (1935), p. 245
و يراجع كتاب نعيم بك شقير صفحة ١٠٧ .
(٢) يمكن أن نرجع فى عدد التياها حول بئر السبع والى فروعهم هناك الى كتاب (القضاء بين البدو) تأليف عارف العارف قائمقام بئر السبع ١٩٣٣ من صفحة ٨ الى ٣٥ ومثل هذا العدد الذى يذكره يتضاءل أمام عدد التياها فى سيناء اذا أخذنا بتقدير نعيم بك شقير لهم وهو ٤٢٠٠ نفساً .

سيناء سيما وانها لم تر فى ذلك ما يمنعها من أن تتمتع بحق الاستفادة من الرعي فى مساكنها الأصلية لان الحكومة هنالك لا تمانع فى ذلك أبدا ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون التياها الذين سكنوا التيه هم من القبائل التى كانت تشتغل مع الترابين فى نقل المتاجر بين مصر والشام ، والتى لم تجد أمامها بعد اضمحلال أهمية هذه الحرفة إلا تلك الوديان فى هضبة التيه .

أما فى وادى النيل فما يوجد ما يمثل التياها بين القبائل المختلفة فيه [1] ، وذلك معقول أيضا ، لان التياها لم تصل هجراتهم إلى مصر وإنما كانت مناطق الجاذبية لهم هى بلاد فلسطين ، وهم بحكم موقعهم فى شبه الجزيرة بعيدون عن وادى النيل يفصل بينهم وبين قبائله قبائل أخرى ، . . وحتى فيما يختص بعملهم فى نقل المتاجر بين مصر وفلسطين يظهر أن نصيبهم من ذلك كان قليلا كذلك ، وأن الترابين هم الذين كانوا يستأثرون بالجزء الأكبر منه .

٢ — الترابين : يرجع العرف السائد بين بدو سيناء هذه القبيلة إلى بنى عطية من عرب الحجاز [2] ، وقد سبق القول عند الكلام على التياها أن الترابين سكنوا أولا شرق بلاد الطور ثم هاجروا لحروب بينهم وبين التياها إلى وادى النيل حيث كان لهم قوة كبيرة ، وكانوا موضع قلق فى عهد المماليك ، مما دعا (على بك الكبير) إلى أن

---

(١) رجعنا الى تقرير الماجور براملى الذى كتبه عن القبائل العربية فى مصر فى عام ١٩١٠ والى تقارير وزارة الحربية المختلفة التى عملت فى ١٩٢٩ عن قبائل مصر فلم نجد فيها ذكراً للتياها وقد أخبرنى مشايخ العرب فى سيناء أنه يوجد للتياها حوالى اثنى عشر شخصا يزرعون فى جزيرة شيرا قرب العياط ، لكن مثل هذا العدد ان صحت رواية البدو ضئيل جداً لا يؤثر مطلقاً فيما ذكرناه عن عدم تمثيل التياها بين قبائل وادى النيل بل هو على العكس يؤيد ما ذهبنا اليه .

(٢) يراجع الفصل الخاص بهم فى كتاب عارف العارف عن تاريخ بئر السبع وقبائلها للوقوف على ترابين تلك المنطقة ، صفحة ٧٧ وما بعدها ، ويلاحظ بوجه خاص نسبة هذه القبيلة الى (تربة) الواقعة شرق مكة ، التى يسكن حولها عرب (البغوم) لان من الترابين أفخاذا تنزل فى الطرف الغربى لبئر السبع تعرف الآن بعرب (البغوم) .

يقاومهم فيترك عدد منهم أراضى مصر ليسكن فى جنوب فلسطين ، أو يتفرق مؤقتا فى أرض التيه إلى أن تسنح الفرصة فيعود من جديد إلى مصر . . وكان يخص (الترابين) النصيب الأوفى من نقل المتاجر عبر سيناء بين السويس من جهة وغزة وحبرون من جهة أخرى . ثم اضطروا أمام مقاومة «محمد على» لنفوذ البدو ثم بسبب اضمحلال طرق التجارة هذه ، إلى أن يوسعوا أراضيهم فى شبه الجزيرة وجنوب فلسطين على حساب قبائل السواركة والرميلات [1] كما سبقت الاشارة .

ويختلف (الترابين) عن التياها — من حيث توزيعهم فى سيناء ، ومدى انتشارهم خارج حدودها — فى ناحيتين : أولاهما أنهم ليسوا كالتياها منحصرين فى منطقة واحده وإنما تتعدد مناطق سكناهم فى شبه الجزيرة بحكم تطور اتصالهم بها ، وانتقال مساكنهم فى الفترات المختلفة بينها انتقالا لا شك فى أنه كان يترك وراءه فروعا من قبائل تؤثر أن تسكن الجهات التى وصلت اليها عن أن تشارك الفروع الأخرى فى استمرار الحركة والانتقال ؛ فحين نزل (الترابين) أولا شرق بلاد الطور تركوا وراءهم بعد تحركهم من يمثلهم حتى الآن هناك ، وحين عملت القبيلة فى النقل عبر سيناء بين السويس وبلاد الشام تركت وراءها من يمثلها هناك كذلك . ذلك هو الفرق الأول بين توزيع الترابين والتياها أما الفرق الثانى فهو أن قبائل الترابين تمثل تمثيلا تاماً بين القبائل البدوية فى وادى النيل على حين أننا رأينا التياها لا يكاد يكون لهم وجود هناك ، ولعل ذلك راجع إلى أن الترابين كانت لهم بمصر علاقات أشد من علاقات التياها بها : فهم فى حروبهم مع التياها لجأوا إلى وادى النيل ، ورأوا فى خيراته ما يغرى قبائل كثيرة بأن تنزل فيه وتستمر فى سكناه ثم تستقر بطون منها وتشتغل بالزراعة ، وهم كذلك كانوا أكثر القبائل عملا فى نقل المتاجر بين مصر وفلسطين مما يجعل صلتهم بتلك البلاد قوية ومما شجع كثيراً من تلك القبائل على أن تنزح إلى مصر . ولذلك نجد

---

(١) راجع الاشارة الى ذلك فى الصفحات السابقة .

الآن حوالى ثلاثة آلاف منهم يسكنون «زمام البساتين وحلوان والمعصرة وعدداً آخر يزيد على ذلك يسكن فى مديرية الجيزة الآن [1] . . .» . على أن الترابين يمثلون أكثر من ذلك خارج حدود سيناء الشرقية حول بئر السبع وجنوب فلسطين حيث يوجد العدد الأكبر منهم ، وحيث تسمح الظروف الطبيعية بان يسكن حول بئر السبع وحدها أكثر من ستة عشر ألفاً منهم [2] . . . ، يستفيدون مما يصيبهم من مطر قليل يزرعون عليه شيئاً من الحبوب ، وترعى ماشيتهم وأغنامهم ما ينمو على المطر من مرعى وفير .

ومساكن الترابين الرئيسية فى سيناء تنحصر بين مناطق «التيـاها» فى الجنوب وأراضى «السواركة» فى الشمال ، أما المنطقتان الأخريان قرب رأسى خليجى العقبة والسويس فأهميتهما ثانوية للترابين ، لا يمكن أن تقاس بأهمية المنطقة الشمالية ، وفيما يلى توزيع أراضى الترابين فى تلك المناطق الثلاثة ، نذكرها كلها فى دراسة قبائل سيناء الوسطى ولو أن جزءا بسيطا منها يخرج فى توزيعه عن حدود هضبة التيه .

ا ـــ ترابين الشمال : وهم أحدث من سكن سيناء من الترابين جميعاً ، ينزلون «أرض الدمث» محيطين ببلاد التياها من الشمال ، تمتد منازلهم من شمال جبل مغارة إلى الشمال الشرقى حتى تصل غزه فتشمل بذلك «الجفجافة وجبل مغـارة والمقضبة والروافع والعمر» ، وكلها مراكز شهيرة بالآبار ، لكن الذى ينظر إلى الخريطة الطبيعية يجد رمال الكثبان تصل فى نهايتها الجنوبية اليها فتقلل بذلك المساحات التى يمكن الانتفاع بزراعتها . . . كذلك يتداخل الترابين مع السواركة فى أرض (الجورة) إلى شرق العريش ، وهى أراض يعتبـرها الأهالى أخصب بلاد العريش كلها وأجودها تربة

(1) اعتمدنا فى تلك الأرقام على الاحصائيات المحفوظة بسجلات وزارة الحربية عن القبائل العربية فى مصر عن سنة ١٩٢٩ .

(2) تراجع فروع الترابين النازلة حول بئر السبع وعدد كل منها فى كتاب القضاء بين البدو تأليف عارف العارف قائمقام بئر السبع سنة ١٩٣٣ من صفحة ٨ الى ٣٥ .

يزرع بها القمح والشعير وإن كانت الرمال قد أضرت بها كثيراً [1] . . . يضاف إلى ذلك منطقة (البرث) الواقعة فى الجنوب الشرقى للجورة ، وهى سهول مكشوفة من الرمل ممتدة إلى وادى (الأبيض) تصلح لرعى الإبل إذ تكسوها الأعشاب . . .

وهذه المناطق فى مجموعها أفقر من أرض التياها وأرض السواركة ، ليس فيها من المراكز الهامة إلا تلك المساحات التى أخذوها حديثاً من السواركة فى منطقة الجورة بوجه خاص . ولعل ذلك الفقر النسبى يفسر لنا تلك الغارات المتتابعة التى كان يوجهها الترابين إلى مصر لغزوها والتى يذكر منها (بركهاردت) من رحالة القرن التاسع عشر ، غزوات بزعامة (أبى جهمة) شيخ الترابين لنهب طريق الحج بين قفط والقصير والتى لم يقض عليها إلا مقاومة قبائل (المعازة) لها حتى قبضوا على شيخ القبيلة وسلموه إلى (محمد على باشا) [2] . . . ثم لا شك فى أن ذلك التباين فى الغنى بين أراضى الترابين وأراضى السواركة كان مسئولا أكبر عن حرب (المكسر) التى وقعت بين القبيلتين عام ١٨٥٦ ، والتى يشرحها (نعيم بك شقير) وينقلها عنه (مرى) فى كتابه (أولاد اسماعيل) [3] . . . . . كذلك يفسر هذا الفقر استمرار نقص عدد هذه القبائل وكثرة هجرتها إلى أرض فلسطين حيث الظروف الطبيعية أشد ملاءمة للسكنى لأنها أكثر غنى بالمرعى والنبات . . . .

ب ـــ ترابين منطقة السويس : وهم أقدم من ترابين الشمال ، يغلب أن يكونوا من بقايا قبائل الترابين التى كانت تجمع عند السويس لنقل المتاجر بينها وبين غزة وحبرون ببلاد الشام . . يأتى ذكر سكناهم للصحراء من القاهرة حتى وادى (غرنديل) على ساحل خليج السويس الشرقى وامتلاكهم لعيون موسى وبئر أبى صويرة فى كتاب

(1) يراجع كتاب نعيم بك شقير صفحة ٢٥ .

(2) راجع Burchardt : *Syria*, p. 462.

(3) يراجع فى تفصيل الحرب كتاب نعيم شقير صفحة ٥٨٢ الى ٥٨٦ .
و يراجع كذلك Murray : *Sons of Ishmael* (1933), p. 254.

وصف مصر[١] . . . . ويشير بركهاردت إلى أنهم كانوا يسكنون جبل الراحة وإلى أن منهم من كانت مياه أبى صويرة تستهويه فيصل إلى وادى (وردان) [٢] . . وتوزيع الترابين فى ذلك الجزء من سيناء منذ أيام الحملة الفرنسية وما قبلها . قريب جداً من التوزيع الحالى الذى يمتد فى جبل الراحة وعين صدر وعيون موسى ووادى الريشه ، تصل مساكنهم شمالا إلى جدى وأم خشيب [٣] . . . وتمتد جنوبا إلى وادى وردان وغرنديل وثال . . . وأفخاذ الترابين هنا قليلة العدد ، لا تستقل بسكنى هذه المناطق التى ذكرناها بل يشاركها فيها القبائل التى تجاورها سواء كانت قبائل الشمال ، أو قبائل (الطواره) التى إلى جنوبها والتى تنظر دائما إلى الترابين كأنها دخيلة على تلك الأراضى وإذاً فهى غريبة لا تستطيع أن تدعى فيها حقاً قديماً [٤] . . .

جـ — ترابين منطقة العقبة : لعل هؤلاء هم أقدم ترابين سيناء كلهم فقد مر أن الترابين أول ما نزلوا شبه الجزيرة نزلوا إلى شرق بلاد الطور ، يعملون مع إخوانهم من بنى عطية فى نقل الحجاج ، ويسكنون هنالك ، حتى إذا ما احتكوا بالتياها نزحت غالبيتهم إلى مصر ؛ فمن المعقول إذاً أن يكون ترابين العقبة هم البقية التى آثرت البقاء حيث نزلت أولا . ومساكنهم الحالية هنالك غنية بمائها وحياتها النباتية ، تقع فى المنطقة المعينة بين رأس خليج العقبة وحدود العجمة ، وتشمل بوجه خاص « منطقة النويبع ، وواسط ، ووادى طابه ، وكل وادى واتر ، والجزء الأكبر من وديان غزالة وعطية والعين ، كما تشمل عيون الفرتاقة وأم أحمد وجبل جنه ، ثم يكون الخلاف بينها وبين التياها على

(١) يراجع كتاب وصف مصر ، الجزء السادس عشر صفحة ١٤٨ .

(٢) يراجع كتاب بركهاردت الجزء الأول صفحتى ٤٧١ و ٤٧٢ .

(٣) يقول بذلك (مون وصادق) فى الجزء الذى كتباه عن شمال سيناء صفحة ١٦ ويشير (مرى) فى كتابه عن أولاد اسماعيل الى سكناهم لمنطقة جدى صفحة ٣٥٥ .

(٤) يشير روبنسن الى ذلك منذ منتصف القرن الماضى
ROBINSON : *Biblical Researches* (1867) V, I, from p. 63.

منطقة « البيار وآبار عديد » وما اليها من موارد الماء الواقعة على حدود العجمة وهو خلاف يمكن أن نتلمس منشأه فيما سبق ذكره من أن هضبة العجمة فقيرة جداً بالماء لا نكاد نصادف مصادره فيها إلا نادرا ، وإذا فالذين يسكنونها من قبائل التياها مضطرون إلى أن يتلمسوا مواضع يشربون منها هم وحيواناتهم ، فيجدون فى ذلك الجزء من أرض الترابين ماء يجذبهم إليه وربما كان ذلك هو أساس الاحتكاك والخلاف بين القبيلتين على آبار البيار وعديد . . . . .

٣ — الحيوات : ترجعهم أنسابهم إلى عرب المساعيد من فروع بنى عطية ، وقد مر أن (المساعيد) هؤلاء مع فروع أخرى من بنى عطية قد أخذت منذ التوسع الإسلامى تنتشر من شمال الحجاز فتسكن وادى العرابة وتنزل حول خليج العقبة حتى استطاعت أن تأخذ من عرب العائذ حق طريق الحج من نخل إلى العقبة [١] . . . وهو حق ظل الحيوات يتمسكون به ويعتبرون أنفسهم لهـذا سادة (نخل) فى عهد محمد على يؤكدون أحقيتهم فى حراسة القلعة ويطالبون الباشا بضريبة مقابل تلك الخدمة ، وكان الباشا يدفع تلك الضريبة حتى لا يتخذون امتناعه عن دفعها حجة يعتدون من أجلها على القوافل الصغيرة التى كانت تقطع وسط سيناء ؛ كذلك استطاعوا بهذا أن يتوسعوا فى ذلك الجزء من شبه الجزيرة فتجذبهم منطقة الدير اليها ، ويكون لهم حقهم فى حماية الدير وحراسته حتى القرن الثامن عشر فيما يذكر (بركهاردت) . والظاهر أن حقوقهم فى النصف الجنوبى من سيناء قد بدأت تضعف بعد ذلك إلى ما هى عليه الآن ، فبركهاردت نفسه يجعل وادى (مقبله) حداً بين الحيوات والطوارة ، ويذكر أثناء زيارته للمنطقة فى أوائل القرن التاسع عشر أنه قد رآهم هنالك يسكنون شرقى العقبة مع عرب « العلويين والعمران » [٢] . . .

(١) يراجع ذلك فى موضعه من البحث .

(٢) راجع بركهاردت فى الجزء الأول صفحة ٥٠٧ .

وأهم مساكن (الحيوات) الآن تجاور مساكن التياها من الشرق : إذ هم ينزلون فى سيناء من «مطلة نخل الشرقية إلى وادى العرابة شرقاً وغرباً ، ومن جبل الأحيقبة شمالا وجنوبا»[1] . . . ، يمتلكون بهذا آبار (الكنتيلا والتمد والحيسى وآبار الغديان فى وادى العرابة)[2] . . . ، وتمتد أراضى الحيوات هؤلاء خارج الحدود الشرقية لسيناء لأن فرع (الخلايفة) الذى يتصل بهم اتصالا وثيقاً لا يتبع الآن سيناء من الوجهة الادارية . ونظرا لهذه الصلة بين حيوات سيناء وحيوات العرابة ، ونظرا لما يوجد فى العرابة والوديان التى تنساب اليه من حياة نباتية أفضل نسبياً من المنطقة المجدبة التى ينزل فيها حيوات سيناء ، نجد أن هذه القبائل تنتشر مساكنها أيضاً فى تلك الوديان التى تنصرف الى وادى العرابة ، وما يوقفها عن الانتشار الى الشمال أكثر من ذلك الا تلك المرتفعات التى يبرز فيها (عريف الناقة) ترتفع فاصلة بين الحيوات وبين التياها فما تصل أراضيها إلى حوض وادى العريش[3] . . . ، كما تكون شبه حد بينها وبين (العزازمة) الذين يسكنون فى شرق الأردن ويردون كثيرا عين (جديس) يرعون عندها ويستقون .

وما تقتصر مساكن الحيوات فى سيناء على ذلك الجزء من شرق هضبة التيه إنما نجد قبائل منهم تعرف (بالحيوات الصفايحة) ، يسكنون أراضى الترابين مجاورين للتياها إلى الغرب بوجه خاص ، هؤلاء نصادف أهم مراكزهم هنالك فى (مغارة والجفجافة وجبل بضيع وعين صدر وبئر مبعوق) . وإذا كان وجود الحيوات فى شرقى التيه مفهوما لأن هذه المنطقة هى منطقة التوسع الطبيعى لقبائل آتية من شمال الحجاز ، فانه يصعب أن توجد أسباب طبيعية يبنى على أساسها وجود الحيوات الصفايحة فى تلك المناطق التى

(1) يراجع نعيم بك شقير صفحة ١١٩ .

(2) راجع MURRAY : *Sons of Ishmael* (1935), p. 249.

(3) يشير بركهاردت الى أن هؤلاء الحيوات توجد لهم مضارب فى جوار وادى العرابة حيث تجد ابلهم أفرع الشجر الأخضر فى الشتاء فتعيش عليه ، أما فى الصيف فهم يشتغلون بجمع الصمغ العربى الذى كانوا يبيعونه فى القاهرة (راجع بركهاردت جزء أول صفحة ٤٤٦) .

ينزلونها بين مساكن الترابين فى شمال التيه وغربيها ، مما يضطر الباحث معه الى أن يلجأ الى العوامل التاريخية علّه يجد فيها تفسيراً لذلك : المعروف أن (الحيوات) قد ساعدوا الترابين فى الحرب التى سبقت الاشارة اليها بينهم وبين السواركة فى منتصف القرن الماضى ، وكان لهم فضل كبير فى انتصار الترابين واجلاء السواركة عن جزء كبير من أراضيهم ، وربما سمح الترابين لبطون منهم — مقابل تلك المساعدة الفعلية — بأن تسكن معهم فى بعض أراضيهم حيث يوجد (الصفايحة) الآن ، لكن مثل ذلك التعليل ينهار تماما إذا وجد ما يرجع سكنى حيوات الصفايحة إلى تاريخ سابق للحرب بين السواركة والترابين وهو أمر لم يتعرض له أحد من الكتّاب حتى الآن .

ويصح الاشارة إلى أن هنالك فى سيناء إلى شرق القنطرة قبائل تعرف بقبائل (المساعيد) ، يذكر (نعيم بك شقير) وينقل عنه (مرى) — فى كتابه الأخير عن بدو مصر — أنها والحيوات قبائل واحدة حافظت هى على اسمها الأصلى ، وسميت الأخرى بالحيوات أو الاحيوات لأنها كانت تعيش فى وادى (الجرافى) الذى اعتمدت فيه على نبات (الحوى) ، ويرجع وجودها فى ذلك الركن فى شمال غربى سيناء إلى أنها انفصلت عن هجرة من المساعيد تركت منطقة العقبة إلى غزة حيث تفرقت فسارت بطون منها جنوباً إلى العرابة والحجاز ، وسارت بطون أخرى عبر سيناء غرباً إلى وادى النيل حيث عرفت هنـاك (بأولاد سليمان) وتخلف منها شرق القنطرة عدد ظل محتفظا بتسميته الأصلية حتى الآن[1] . . .

٤ — الحويطات : أحدث قبائل بنى عطية التى نزلت حول خليج العقبة ، تضم معها عرب العلويين والعمران وكانت لها السيادة هناك منذ القرن السادس عشر . مراكزها الرئيسية فى شمال الحجاز إلى شرق خليج العقبة وحول الخليج نفسه وإلى

(1) يراجع فى ذلك كتاب نعيم بك شقير عن سيناء صفحتى ١١٧ و ١١٨ .
و يراجع كتاب (مرى) السابق من صفحة ٢٤٨ الى ٢٥١ .

شرق الأردن كذلك [١] . . . ، . ولم يكتف الحويطات بتلك السيادة التى كانت لهم حول خليج العقبة بل توسعوا غربا ووصلوا إلى وادى النيل وانتشروا فيه ، وامتدوا على طول الطريق بين القاهرة والسويس وإلى جنوبه حتى الجلالة الشمالية . . وكان عددهم فى جنوب سيناء محدودا جدا قبل حرب سنة ١٩١٤ لكن الانقلاب الذى حدث فى بلاد العرب وقيام حكومة (آل سعود) وما تبعها من شدة وطأتها على قبائل الحويطات جعلت بيوتا كثيرة من تلك القبائل تنتقل إلى غربى خليج العقبة ، وكان طبيعياً أن يؤدى ذلك إلى احتكاك بينهم وبين الطوارة سكان تلك المناطق بصفتهم مزاحمين لهم فى أراضيهم المحدودة الانتاج فى سيناء ، ولان سمعة الحويطات سيئة عند بدو سيناء ، ولأنهم اتهموا فوق ذلك بأنهم نقلوا إلى شبه الجزيرة أمراضاً فتكت بعدد كبير من الإبل والماعز عام ١٩٢٨ .

وما كانت قبائل (الحويطات) تكتفى بتلك الهجرات السلمية الى سيناء ، بل كان للحالة القلقة فى بلاد الحجاز بعد حرب سنة ١٩١٤ رد فعل فى سيناء نفسها ، إذ كثرت غارات «الحويطات» على حدودها الشرقية ، وكانت القبائل تهاجم مناطق (الحيوات) وغيرها من القبائل مسلحة ببنادقها ، مزودة بذخائرها ، تنهب الإبل والماشية وتقتل من يقاومها مما دعا إلى أن تقام محطة للهجانة فى نقطتى (الكنتيلا والتمد) ، واستطاعت القوات أن توقف تلك الغارات المنظمة للحويطات ، لكن الغارات الفردية لم يقض عليها إلا بعد إنشاء خط حربى للسيارات على الحدود الشرقية عام ١٩٢٥ ، وبعد تنظيم

---

(١) يمكن أن نقرب الى الأذهان توزيع القبائل فى المنطقة القريبة من العقبة بما ذكره (رتر) عمن سماهم العرب الشرقيين الذين ينزلون فى العرابة وما جاوره وهم — ا — العمران : من العقبة حتى المويلح — ب — المعازه : ترعى فى اقليم حسمة والمنطقة الرملية حوله ج — الحويطات . يمتدون من المويلح حتى البطراء شمالا وشرقا الى طريق الحج الشامى يرعون فى جبل الشراه صيفاً والحور شتاء وأرض التياها فى الربيع د — العلويين : فى وادى موسى راجع Ritter : *The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Pen.*, V, I, pp. 408-411.

الدوريات المستمرة ، الشىء الذى رأى الحويطات معه ألا قبل لهم بمقاومته ، وان محاولة الغارة على سيناء سوف تضربهم كثيراً [١] . . .

ولم تكن قبائل الحويطات فى منطقة العقبة وما جاورها عامل اقلاق لسيناء وحدها بل كانت تلك القبائل من القبائل التى تحالفت مع قبائل (بلى) وثارت معها ضد قوة السعوديين عام ١٩٣٢ حتى لا تكون السيادة فى بلاد الحجاز لقبيلة (العنازة) التى ينتسب السعوديون اليها ، ولشدة وطأة آل سعود على القبائل الأخرى ، ولدوافع مختلفة قد يكون بعضها سياسياً ؛ . لكن هذه الثورة انتهت بهزيمة الحويطات ، وقتل زعيميهم (ابن رفادة وابن طقيق) . . وهذه العداوة قديمة بين الحويطات وآل سعود ، فقد استعان محمد على عام ١٨١١ بحويطات مصر عند حروبه ضد الوهابيين [٢] . . .

وكان لسياسة الشدة التى اتبعتها ادارة سيناء مع قبائل الحويطات ، وتحريم انتقال حيواناتهم عبر طرق سيناء الجنوبية والوسطى ، الأثر الأكبر فى أن تظل تلك القبائل الآن خارج حدود سيناء الشرقية ، وان تنحصر مناطق سكناها فى شبه الجزيرة فى وسطها الغربى حيث يعيش فيه تلك البطون المتنقلة من عرب الحويطات التى لم تشتغل بالزراعة فى وادى النيل ، ونسبتها ضئيلة إذا قسناها بقبائل الحويطات التى استفلحت الآن فى مصر سيما فى مديرية القليوبية حيث يشتغل بالزراعة من رجالها ما يزيد على خمسة آلاف ، قبل أن يتركوا أراضيهم التى استقروا فيها الآن تماما [٣] . . . وما يستقل الحويطات بمناطق سكناهم فى سيناء وإنما يشاركهم فيها قبائل أخرى من «الترابين والحيوات والعليجات» وهم يعيشون فى حالة تنقل مستمر لا فى داخل سيناء وحدها بل يتجاوزونها

---

(١) راجع Jarvis : *Yesterday and Today in Sinai*, p. 82.

(٢) راجع كتاب (مرى) صفحة ٢٤٨ وراجع صفحة ١١٥ من كتاب تاريخ بئر السبع وقبائلها تأليف عارف العارف .

(٣) راجع تقرير براملى بك صفحة ٣١ واحصائيات وزارة الحربية عن القبائل العربية فى مصر ١٩٢٩ .

إلى المنطقة التى تعودوا أن يتنقلوا فيها على حافة الأراضى المزروعة بين القاهرة والسويس ، يتصلون بأقاربهم الذين استقروا فى الدلتا ويتزاورون معهم باستمرار ، ومن الصعب أن تتغير طبيعة حياة الحويطات هذه لان المناطق التى يسكنونها لا يمكن أن تساعد على عيشة الاستقرار .

وأراضيهم فى وسط سيناء الغربى تمتد تقريباً من تجاه الاسماعيلية إلى وادى غرنديل ، ويكثرون فى وادى جدى وأم خشيب ووادى الراحة ، ثم قرب السويس شرقى بئر مبعوق والمره ، كما يسكن أحد بطونهم (الدبور)[1] فى وادى صدر وحول عين صدر نفسها ، . وإذا فالخريطة التى رسمها (مرى) فى كتابه لم تكن دقيقة فى تعيين حدود مناطق سكنى تلك القبيلة ولعله أراد برسمه بياناً تقريبياً لمجرد الشرح والتوضيح ، وقد يكون له شىء من العذر نظرا لصعوبة تعيين الحدود بين القبائل المختلفة وتداخلها بعضها مع بعض فى مثل هذا الجزء من سيناء[2] . . .

٥ — العبـايدة : وقد سبقت الاشارة إلى أنهم بقايا عرب العائذ الذين كانت لهم دركات طريق الحج عبر سيناء ، وكان ضعف أهمية ذلك الطريق داعيا إلى أن تسكن معظم تلك القبيلة خارج حدود سيناء الغربية ، وإلى أن تنكمش أراضيها فى سيناء إلى المناطق المحدوده جدا التى أصبحت لها الآن ، وقد تم هذا الانكماش بالشكل الآتى : —

ا — كان للعبايدة أراض فى جنوب شرقى السويس رآهم الرحالة الشهير (بوكوك)[3]

(١) راجع على سبيل الفكاهة ما يذكره بعض الكتاب تعليلا لاسم (الدبور) كتاب (ادوارد هل عن عرب فلسطين صفحتى ٦٤ و ٦٥) .

(٢) تراجع الخريطة التى رسمها (مرى) صفحة ٢٤٧ من كتابه الذى سبقت الاشارة اليه ، وراجع كذلك الخريطة صفحة ١٣٩ المرفقة بهذا البحث .

(٣) راجع ، R. Pockocke : *A description of the East and some other countries* (1743), p. 137.

فى منتصف القرن الثامن عشر يسكنونها ، وقد حل محلهم فيها الآن قبائل أخرى مختلفة لا تمثل العبايدة بينها .

ب — كان للعبايدة مناطق تمتد من نخل إلى قطية ، لكن عرب (الترابين) فى توسعهم فى شبه الجزيرة أجلوهم عن كثير من تلك المساحات وأبعدوهم إلى ناحية برزخ السويس ثم حلوا هم محلهم وأصبحت معظم تلك الأراضى لهم الآن[1] .

جـ — كان لهم نخيل فى وادى فيران ، اضطروا — حين رأوا أنفسهم بعيدين جداً عن جنوب سيناء — إلى أن يبيعوه فى عام ١٩٠٤ إلى قبائل (العوارمه) من فروع (الصوالحة) ، الذين يسكنون جنوب سيناء ، والذين يستطيعون بذلك أن يستغلوا وادى فيران[2] .

بهذا الشكل إذا تحددت بلاد (العبايدة) فى سيناء فى تلك المنطقة «من ضواحى القنطرة إلى تل حبوة ، فالمرقب ، فأم ضبان ، فالشيخ حميد ، فجبل الريشة» يحدهم من الشمال (المساعيد) ومن الجنوب (الحيوات الصفايحة) ومن الشرق (بلى) ومن الغرب قناة السويس[3] ، التى تفصل بين العبايدة فى سيناء وبين جزء أكبر منهم ينزل إلى الغرب من القناة ، ويكون صلة بين عبايدة سيناء والعبايدة المنتشرين فى وادى النيل[4] . . . والعبايدة لا تكفيهم تلك المساحة الفقيرة التى انتهت اليها أملاكهم فى شبه جزيرة سيناء ، ولذا فهم دائمو الانتقال ، يهاجرون جنوباً بعد المطر حتى جبال الجلالة الشمالية ، وينتشرون غالباً فى المناطق الواقعة شمال خط يمتد بين القاهرة والسويس[5] . . .

(١) راجع . HAYNES : *Man Hunting in the Desert* (1894), pp. 135 and 296.
و راجع فى كتاب عارف العارف فى تاريخ بئر السبع وقبائلها صفحة ١٦٣ فهو يذكر أن أراضى العبايدة كانت تمتد الى كثير من ذلك فتصل قبل هزيمتهم الى العريش .

(٢) يراجع كتاب نعيم بك شقيرصفحة ١١٠ .

(٣) يراجع كتاب نعيم بك شقير صفحة ١٢٢ .

(٤) يراجع توزيع العبايدة فى مديريات مصر المختلفة فى هذا الفصل من البحث .

(٥) يراجع كتاب (مرى) السابق صفحة ٢٤٤ ..

٣ — المنطقة الجنوبية : وتشمل ذلك المثلث الجبلى المرتفع المنحصر بين خليجى السويس والعقبة ، والذى يتكون معظمه من صخور نارية تقطعها الخوانق والوديان متعمقة فيها ، يضاف اليه هذان السهلان الساحليان اللذان ينحصران بين تلك الكتل النارية وبين خليج السويس من ناحية وبينها وبين خليج العقبة من ناحية أخرى . وما دام الماء فى تلك الجهة أكثر توافرا فى كثير من نواحيها ، والحياة النباتية أشد غنى فيها ، فمن الطبيعى أن تكون الحياة البشرية هنا أفضل مما صادفناه فى المنطقة الوسطى من شبه الجزيرة ، وهى ظاهرة لها ما يؤيدها فى بقايا المساكن الكثيرة المنتشرة فى أنحاء هذه المنطقة ، وفيما يشاهد من أن حياة عدد كبير من القبائل الساكنة فيها أكثر ثباتا واستقرارا .

كذلك سوف يلاحظ أنه فى مثل هذا الجزء الجبلى الذى تتعمق وديانه وتكون أشبه بالخوانق المتميزة ، يصبح توزيع القبائل فيها متميزا كذلك ، تكاد تستقل كل قبيلة بجهات خاصة لا يشاركها فيها غيرها لان الطبيعة قد ضمنت ذلك الانفصال وعملت على تقويته . . . وعلى حين أن هذه الظاهرة ليست غالبة الوجود فى الشمال والوسط حيث يعظم تداخل القبائل هنالك لعدم وجود تحديد طبيعى يفصل بين مناطق القبائل ويميزها بعضها عن بعض ، نجد أن هذه الظاهرة مطردة لا تشذ فى كل جهات سيناء الجنوبية إلا فى جهتين ، أولاهما : واحة فيران حيث تمثل قبائل الجنوب كلها فيها تقريباً ، والثانية : فى خارج منطقة الصخور النارية ، فى تلك المناطق الرسوبية الواقعة إلى الشمال الشرقى للمنطقة وإلى شمالها الغربى . . . أما فى واحة فيران فتفسير تداخل القبائل فيها أمر واضح ، لأنها منطقة الحياة النباتية الغنية فى جنوب سيناء وموضع طمع القبائل كلها ، فيكون لكل من قبائل الطوارة منطقة فى الواحة تبنى فيها أكواخها ، وتجتمع فيها مدة الصيف لجمع البلح ، لكن أفرادها لا يأتون بإبلهم وحيواناتهم اليها لأن المرعى فيها لا يكفى ولأن البعوض فيها كثير يخشى على الحيوانات منه ، فاذا انتهى موسم البلح

تركت القبائل واحة فيران إلى الجهات المجاورة لها تاركة الأمر لبقايا (التبنة) الذين يتولون هم مهمة العناية بالنخيل ويتعهدون الزراعة فى الواحة لحساب القبائل المختلفة مقابل نصيب خاص لهم . . . وأما تداخل القبائل فى المنطقة الرسوبية فى شمال شرق المنطقة وفى شمالها الغربى فمفهوم أيضاً لأن طبيعة الأرض هناك لا تميز حدودها ، ولا يمكن أن يقوم فيها ما يستطيع أن يقف حائلا بين تداخل قبيلة فى أراضى قبيلة أخرى ، ومثل ذلك يلاحظ فى تداخل قبائل (العليجات) من الجنوب وقبائل (الترابين والحيوات الصفايحة والحويطات) من الشمال فى المنطقة جنوب شرقى السويس . . وتداخل قبيلة (مزينه) — من بدو الجنوب — (والترابين والحيوات) فى الشمال الغربى لخليج العقبة .

وتسير أهمية مراكز السكنى فى جنوب سيناء سيراً مطرداً مع توزيع الماء والحياة النباتية فى جهات سيناء الجنوبية ولذا يسهل تعيينها وربط القبائل المختلفة بها كما يأتى : —

أولا — مراكز تأتى فى الدرجة الأولى بين مناطق سيناء الجنوبية ، تنقل القبائل بينها محدود ، يتمتع فيها السكان بشىء من الاستقرار ، . وهذه هى المناطق التى يوجد الماء فيها دائماً ، والتى يتوافر النبات ويقوم بها شىء لا بأس به من الزراعة ، نصادفها منتظمة سواء فى حدائق الدير أو فى مزارع القبائل المتعددة فى جهات متفرقة فى الجنوب . . ومثل هذه المناطق يمكن أن نلخصها فى : —

١ — منطقة جبل موسى وحوض وادى فيران وما يتصل به من روافد مختلفة مضافا إلى ذلك تلك الوديان التى تجرى فى المنطقة الجبلية إلى ناحية خليج السويس وبخاصة عسلة وحبران . . . ، وهذه هى أغنى جهات سيناء الجنوبية بالماء وأكثرها توافرا فى النبات ، وتلك المناطق يستقل بسكناها قبائل الصوالحة ، ويقتسمها فيما بينهم فروعها الهامة : القرارشة والعوارمة وأولاد سعيد لا يشاركهم فيها إلا الجبالية الذين عملوا فى خدمة الرهبان منذ مدة ولا يزالون يعملون فى خدمتهم حتى الآن ، وإلا بقايا

قليلة من قبيلة (التبنة) التى كانت تسكن وادى الفيران والتى تضاءلت الآن فما تتجاوز عدة بيوت تعمل لحساب الصوالحة فى ذلك الوادى ، وتتولى لتلك القبائل البدوية عملية الزراعة والاعتناء بالماء مقابل أجر معلوم لها .

أما الصوالحة هؤلاء فيرجعون بنسبهم إلى (حرب) من قبائل الحجاز ، رحلوا إلى (ضبا) أولا ثم توسعوا فى بلاد الطور[1] . على حساب الحماضة خاصة وبني واصل والنفيعات[2] بوجه عام ، وهم الآن يمتلكون قلب بلاد الطور ، تمتد أملاكهم فتصل غربا حتى المنطقة الرسوبية من أبى دربة إلى جنوبى مدينة الطور ، تحدهم قبائل العليجات من الشمال ، وتكاد تفصلهم عن مزينه من الشرق والجنوب مرتفعات خط التقسيم . وإذا كان لفروع الصوالحة كلها أراض تزرعها فى وادى فيران فان أملاك كل فرع هنالك محدودة معروفة : (فأولاد سعيد) أكثرهم اتساعاً ، ينتشرون قرب نهاية وادى فيران ممتدين شرقاً فى نقب هوى ، ووادى الشيخ ، ومنطقة الدير ، ويمتدون جنوب وادى فيران فى منطقة أم شومر وحوض وادى ميار وعسلة وحبران إلى أن يصلوا إلى منطقة الطور . . وأما (القرارشة) فيمتلكون من واحة فيران وجبل سربال وينزلون فى المنطقة بين نسرين وفيران إلى البحر بما فى ذلك وادى مكتّب وقنا ممتدين فى المنطقة الساحلية من أبى دربة حتى سهل القاع . ويجاور هؤلاء ناحية الشمال (العوارمه) الذين يطلق اسم الصوالحة عليهم وحدهم أحياناً والذين يسكنون من حمير ووادى الحميلة وبوده حتى نسرين . .

وأما الجبالية — وعددهم الآن حوالى الخمسمائة — فيعملون فى خدمة الدير ويغلب أن تكون تسميتهم منسوبة إلى المنطقة الجبلية المرتفعة التى يسكنونها ، إذ هم ينزلون فى

---

(1) راجع نعيم بك شقير فى كتاب تاريخ سيناء صفحة ١١٤ . وقد أكد لى هذا النسب مشائخ البدو الذين قابلتهم فى جنوب سيناء فى صيف عام ١٩٣٤ .

(2) راجع ما سبق ذكره فى هذا الفصل من البحث خاصا بهذا .

منطقة جبل موسى وسانت كاترين . وهم يختلفون اختلافا ملموسا عن سائر بدو الجنوب فى تقاطيعهم وطبائعهم ، مما حدا بغالبية الكتّاب إلى أن يعتبروهم من غير البدو وإلى أن يقولوا عنهم إنهم من سلالة أولئك (الفلاخيين) الذين أتى بهم الامبراطور (جستنيان) حين بنى الدير ليحموا رهبانه وليحولوا بينهم وبين هجمات البدو الذين قاسوا منهم كثيرا[1] . . . ولعل مما ساعد على أن يذهب أولئك الكتّاب هذا المذهب أن بدو سيناء الجنوبية ينظرون إلى الجبالية كأنهم أقل منهم مكانة ، لايتصاهرون معهم ولا يحترمونهم ، وأن الجبالية يخالفون البدو فى أنهم يعملون فى زراعة حدائق الدير ويخدمون الرهبان ، وفى أن الرهبان يتعهدون بمأكلهم ويوزعون الخبز عليهم يومياً[2] . . ، مع ملاحظة أن الجبالية هؤلاء كانوا مسيحيين ولكنهم دخلوا جميعاً فى دين الاسلام الآن وماتت آخر امرأة مسيحية منهم عام ١٧٥٠ . . .[3]

لكن ألا يمكن أن ننظر إلى الجبالية هؤلاء نظرة أخرى غير هذه فنعتبرهم بدوا لا يبعد أن يكون الرهبان قد قربوهم اليهم من أول الأمر وخصوهم بحماية ديرهم وأشركوهم معهم فى العناية بحدائق الدير ومزارعه وأصبحوا بهذا فى شبه عزلة عن باقى القبائل الأخرى ينظر اليهم البدو كأنهم خدام النصارى ؟ . ثم ألا يمكن أن نفرض أن شيئاً من الاختلاط بين الرهبان — وقد كان عددهم كبيراً — وبين هؤلاء الجبالية قد يكون

---

(1) الكلام فى أصل الجبالية كثير فمن الكتاب من يرى هذا الرأي مثل Robinson : *Biblical Researches.*, V, I, pp. 136 and 137.

وبيدنل فيما نقل عن بركهاردت وغيره Beadnell : *The Wilderness of Sinai*, p. 12.

و (رتر) يقول انهم فرق من الصوالحة ، فى الجزء الأول من الترجمة الانجليزية صفحة ٢٣٨٥

و (سبنسر بالمر) يقول بأنهم خليط من السكان الأراميين السابقين وسبايا جستنيان والمهاجرين من جزيرة العرب H. Spencer Palmer : *Sinai from the IVth Egyptian Dynasty to the present day*, pp. 66 and 67.

(2) يوزع عليهم الخبز صباح كل يوم فنشاهدهم جميعاً واقفين بجانب أسوار الدير انتظاراً لتوزيع الخبز . وما يعتمد الدير فى خبزه على الانتاج المحلى بجنوب سيناء فهذه منطقة فقيرة لا تكفى ولذا يستورد الرهبان حبوبهم من مصر ويطحنونها فى طاحونة الدير .

(3) راجع A. M. Dobson : *Mount Sinai* (1925), p. 105.

من الأسباب الداعية إلى ذلك الاختلاف الذى يظهر فى تقاطيع الجبالية إذا قارناها بتقاطيع غيرهم من البدو الآخرين ؟ .

ب — الوديان الأخرى التى تقطع المنطقة النارية متصرفة إلى خليج العقبة ، والتى أهمها (أم عدوى والكيد ونصب) فماؤها كذلك دائم والنبات فيها متوافر ، ويوجد قرب مصباتها فى الخليج مناطق غنية بالنخيل حول الشرم وذهب وغيرها يروى نخيلها ذلك الماء الذى يجرى فى تلك الوديان والذى يتراجع إلى الخلف قليلا عند المصب محجوزاً بماء البحر هناك .

ويكاد يستقل بهذه الوديان قبيلة (مزينه) التى تنزل المنطقة شرق الدير وإلى جنوبه الشرق ، يفصل بينها وبين الصوالحة تقريباً خط التقسيم بين مياه خليج السويس والعقبة ، وهى تمتد على طول خليج العقبة حتى يحدها فى امتدادها الشمالى القبائل النازلة إلى غربى رأس خليج العقبة وجنوب شرق التيه من تياها وترابين .

وتعتبر مزينه أحدث القبائل التى جاءت إلى سيناء الجنوبية ، انتهزت فرصة حرب وقعت بين الصوالحة والعليجات على موارد شبه الجزيرة ونقل الحجاج فنزلت أراضى سيناء وانتصرت للعليجات ضد الصوالحة . وكثير من الكتّاب ومنهم (دوتى) يرجعون مزينة إلى قبيلة حرب بالحجاز وان كان (مرى) يرى احتمال نسبتهم إلى قبيلة مزينة المعروفة ببلاد العرب قديماً والمنسوبة إلى مزينة بنت كلب من نسل قحطان بطريق قضاعة [1] .

جـ — منطقة الطور حيث يتوافر النبات ، سواء فى تلك الحدائق الموجودة حول المدينة نفسها أو فى وادى الحمام ومنطقة جبيل . وقد رأينا أن أراضى أولاد سعيد من الصوالحة تمتد حتى مدينة الطور وما حولها ، لكن يسكن فى حمى أولاد سعيد

---

(١) راجع Murray : *Sons of Ishmael* (1935), p. 264.

أو معهم بقايا من بعض القبائل التى كان لها أهميتها قديماً والتى كانت تنتشر فى جنوب شبه الجزيرة أكثر مما هى الآن فتصل إلى فيران بل وإلى حدود التيه ، ثم تضاءلت أمام الهجرات القوية الحديثة وهاجر معظمها من سيناء دون أن يترك إلا بقايا لها نصادف منها حول الطور (المواطرة) يزرعون فى حديقة الحمام هناك ، وعدة عائلات من بني سليمان الذين سبق القول بأنهم كانوا من أقدم من سكن شبه الجزيرة كما كانوا من أوسعهم نفوذا [1] .

ويشتغل السكان فى منطقة الطور بشىء من صيد السمك يعتمدون عليه كعمل مساعد فى مثل تلك البيئة الفقيرة الانتاج . وليس أمامنا احصائيات دقيقه عن مبلغ اشتغال سكان هذه المنطقة بصيد السمك ، إذ كل ما ذكر فى تقارير مصلحة الأسماك التى رجعنا اليها إشارة موجزة فى تقرير عام ١٩٣٢ عن أن مجموع ما حصل فى الطور إيجارا لمراكب الصيد فيها بلغ (ملم ٤١٠ جنيه ١١٤) [2] ... ، وهى إشارة غامضة تحتاج إلى شىء أكثر من التفصيل . على أن مثل هذا المبلغ يمكن أن يفهم منه بوجه عام قيام حرفة الصيد فى منطقة الطور وان كان عدد المشتغلين بها عدداً قليلا محدوداً .

ثانيا — مناطق أفقر سكاناً من المناطق السابقة ، درجة تجمع القبائل فيها أقل والبيئة الطبيعية فيها لا يمكن أن تمتع القبائل معها بمثل ذلك الاستقرار النسبى الذى يقوم فى المراكز السابقة ، وهذه المناطق توجد فى تلك السهول الرملية والتكاوين الرسوبية التى تحف بخليجى السويس والعقبة والتى يعتبر أشدها فقراً تلك المنطقة الغربية إلى الجنوب الشرقى للسويس وسهول القاع والمرخاء والسهول الرملية فى دبة الرملة ثم تلك السهول الساحلية الضيقة على ساحل خليج العقبة الغربى .

---

(١) يراجع فى هذا الفصل ما كتبناه عن القبائل التى ضعف شأنها فى سيناء .

(٢) راجع تقرير مصلحة الأسماك لعام ١٩٣٢ صفحة ٤٦ ، ويصح أن نذكر على سبيل المقارنة ان جملة ما حصل ايجارا عن مراكب الصيد فى العريش فى نفس السنة بلغ ٧٢٤٧٠ جنيها .

وتلك مناطق فقيرة جدا بنباتها والماء فيها من نوع لا يمكن أن يستفاد منه فى الشرب كثيراً . . . وقد يكون أفضل هذه المناطق الرسوبية للسكنى تلك المساحات التى انتابتها العيوب فساعدت على ظهور الماء فيها وجعلتها أكثر صلاحية للسكنى من الجهات الرسوبية الأخرى فى الجنوب ، ومثال ذلك المنطقة حول أعالى وادى الغرنديل ووادى أبى قادة وواطه حيث يتوافر الماء بكثرة ، والمنطقة المعيبة الأخرى فى الركن الشمالى الشرقى لسيناء الجنوبية فى منطقة عين الحديرة وما يجاورها وفى وادى واتر والعين .

وإذا نحن استثنينا منطقة سكنى (العليجات) فى الركن الشمالى الغربى من المثلث الجبلى الجنوبى ، فما يسكن هذه المساحات الرسوبية الفقيرة إلا بيوت قليلة من القبائل الرئيسية التى تعيش فى المناطق الغنية التى مرت الاشارة اليها فى المنطقة السابقة ، وهى تعتبر هذه المنطقة غالباً مراكز ثانوية لا تعتمد عليها فى الحياة كثيرا ، فقد مر أن للقرارشة من فروع الصوالحة المنطقة الرملية جنوب أبى دربة حتى سهل القاع لكن مساكنها الرئيسية مركزة بين الجر وفيران ، وفى وادى نسرين . . . كما مر أن مزينة تمتد مساكنها على الساحل الرملى الذى يحف بخليج العقبة فى حين أن مساكنها الرئيسية تقع فى مناطق أكثر غنى فى وادى كيد ونصب وحول منطقة الحديرة التى يكثر فيها الماء والنبات ، أما هذه البيوت الضاربة فى المنطقة الرمليـة على الساحل فقد اضطرت إلى أن تلجأ إلى البحر لتشتغل بالصيد كحرفة تساعدها على الحياة فى تلك البيئة المجدبة القفراء .

أما قبائل (العليجات) — أو العليقات — التى تكاد كل مساكنها تقع فى المنطقة الرسوبية إلى الشمال الغربى لمساكن الصوالحة ، فينسبون أنفسهم إلى قبيلة قديمة من بنى (عقبة) [1] . . . ، وإن كان شيخهم الحالى يرى أن هذه التسمية محرفة وأنهم فى الحقيقة (عقيلات) لا عليقات [2] ، . . . ينسبون إلى «عقيل بن أبى طالب» ، وهو كلام ينبغى

(١) راجع MURRAY : *The Sons of Ishmael*, p. 263.

(٢) علل الشيخ (زيدان) هذا التحريف بأنهم حين وصلوا الى سيناء قالت العرب عندئذ (عرب العلا — جات) فسموا (العليجات) .

أن يؤخذ بشىء من الحذر فقد يكون القصد منه مجرد الانتساب إلى بيت أبى طالب تشرفاً وتعظيما . . . هبطت هـذه القبيلة سيناء بعد الصوالحة ، وسكنت أولا منطقة (النويبع والحديرة) قبل أن تصل مزينة وقد رأينا (العليجات) يحالفون (النفيعات) ضد الصوالحة ، ثم يحصل قحط فيهاجر معظم النفيعات إلى مصر تاركين بقايا لهم يعرفون (بالسواعده) يسكنون فى حمى العليجات بعد أن حلت تلك القبيلة محلهم فى غربى شبه الجزيرة لتحل مزينة محل العليجات فى مناطق سكناهم الأولى فى الجنوب الشرقى لسيناء .

وإذا كانت مساكن (العليجات) الحالية تنحصر فى المنطقة الرسوبية ، فهم ينزلون فى المناطق الغنية بالماء والنبات فيها ، فى دبة الرملة ووادى الغرنديل وعيون موسى ، ولهم وادى صدر وباغة وأبو جعده ومنطقة وادى نصب ، ولهم فى الرملة حتى جبل «حمير» ، وحيث تمتد قبائل (مزينه) إلى الشرق منهم على حين يسكن الصوالحة إلى الجنوب ، ويختلطون إلى جنوب عيون موسى ببيوت (الترابين) التى سبق توزيعها فى ذلك الجزء ، والتى ينظر اليها «العليجات» كأنها دخيلة على المنطقة لا حق لها فيها .

ولعل من حسن حظ «العليجات» أن تقع فى أراضيهم منطقة تعدين المنجنيز الهامة فى هذا الجزء من سيناء الجنوبية ، فى منطقة أم (بجمة) وأبى زنيمة ، حيث توجد خاماته بسيناء فى المنطقـة حول خط عرض ٢٩° شمالا وخط ٣٠/ ٣٣° من خطوط الطول شرقاً على بعد حوالى ١٠ — ١٥ ميلا من خليج السويس [1] . . . وهذا المعدن له قيمته الاقتصادية ، بدىء استغلاله منـذ عام ١٩١٤ وأوقف العمل فيه عام ١٩٢٩ وإن كان العمل قد تعطل فى المناجم فى فترة حرب سنة ١٩١٤ لتهديد قوات الأتراك وحلفائهم لهذا الجزء من سيناء ، وما يرجع إيقاف العمل فى المناجم أخيرا إلى شىء متصل بطبيعة المعدن نفسه من حيث قلته أو رداءة صنفه ، فالمعدن لا تزال كميته كبيرة ، والنوع لا يزال من أحسن أنواع المنجنيز كلها ، لكن الاستهلاك العالمى قد

(١) يراجع فى تفصيل ذلك تقرير مصلحة المناجم عن صناعة التعدين فى عام ١٩٢٤ ، والتقارير اللاحقة لذلك .

نقص بتأثير الأزمة ، والطلب على المنجنيز قد قل بدرجة اضطرت معها الشركة إلى أن توقف العمل فى مناجمها فى (أم بجمة) ، وهى حالة طارئة قد تزول بزوال أسبابها وانفراج الأزمة العالمية .

ومناجم المنجنيز قبل أن يوقف العمل فيها كان يشتغل بها أكثر من ٥٠٠ شخص ، جزء منهم من أهالى الوجه القبلى ، والجزء الآخر من البدو . . والمهم أن مدير الشركة الذى تولى الادارة منذ أعيد العمل فى المناجم بعد حرب سنة ١٩١٤ يرى «أن البدو أهل للعمل فى المناجم ، ويقول بأنهم يحملون كثيرا ، وأنهم وان بدأوا جهلة فالذنب أنهم لم يعلموا ، وأنهم يتقدمون كثيرا بالتعليم والممارسة . . . .» [1] وتلك شهادة لها أهميتها إذا نظرنا إلى المستقبل وفرضنا اتساع نطاق العمل فى هذا المعدن ، إذ ستكون هذه فرصة طيبة لسكان هذه المنطقة من البدو ، ولن يبعد أن تقوم حول أبى (زنيمة) منطقة استقرار ، نواتها تلك المساكن الحالية التى أقامتها الشركة لمن يشتغل فى مناجمها من موظفين وعمال .

* * *

أما علاقة القبائل الجنوبية بما يجاورها من القبائل خارج حدود سيناء فينبغى أن يفرق فيه بين فلول القبائل التى كانت تسكن سيناء ثم هجرتها أمام هجرات أقوى منها حلت محلها فى جنوب سيناء وبين القبائل التى هبطت سيناء فى فترات أحدث نسبياً ، فطبيعى أن تكون تلك الفلول من قبائل (بنى واصل والنفيعات وبنى سليمان) ، التى توجد قبائلها الكبرى الآن فى وادى النيل ، متصلة بهـا كل الاتصال ، وأن تقوم هنالك علاقات قوية بين بنى واصل فى سيناء وقبائل بنى واصل فى مديريات الصعيد ، وبين بنى سليمان والنفيعات فى سيناء وبطونها الأخرى فى مديرية الشرقية ، حتى إنه لا

(1) هذا الكلام هو ما صرح به جناب مدير الشركة (مستر سمت) لى عند زيارتى لمركز الشركة فى اغسطس سنة ١٩٣٤ .

يزال للنفيعات مثلا أراض يمتلكونها إلى الآن فى أودية سيناء الجنوبية : نصب وبعبعة وفيران .

أما القبائل التى وصلت إلى سيناء فى فترات أحدث فتختلف علاقاتها بحسب موقعها فى جنوب شبه الجزيرة : إذ المعقول أن تكون قبائل (العليجات) — بحكم أن مساكنها أقرب إلى وادى النيل من باقى قبائل سيناء الجنوبية ، ولوجود قبائل عديدة منها متفرقة فى أنحاء وادى النيل سيما فى القليوبية وأسوان [1] — أشد اتصالا بقبائل وادى النيل من غيرها وأن تكون قبائل (مزينة) — بحكم موقعها على ساحل خليج العقبة الغربى — أشـد اتصالا بقبائل الحجاز من غيرها ، وإن كانت إدارة سيناء لم تشجع كثيراً على تقوية العلاقات بين قبائل سيناء وقبائل الحجاز عندما اضطربت الحالة فى الحجاز عقب حرب سنة ١٩١٤ . وأما (الصوالحة) فلعلهم أكثر قبائل الجنوب استقلالا وعزلة عن جيرانهم — بحكم توسطهم فى قلب سيناء الجنوبية — وان كان ذلك لا يمنع من أن تمتد صلتهم بعض الشىء خارج حدود سيناء ، فهم قد ارتبطوا بمصر فى فترات طويلة بما كان لهم من حق فى نقل الحجاج إلى منطقـة الدير . . ومن الصوالحة حوالى ٢٥٠٠ شخصا يسكنون فى الدلتا حول «قليوب» [2] يرجع (نعيم بك شقير) وجودهم هنالك إلى حدوث مجاعة فى سيناء اضطر معها جزء من العوارمة وأولاد سعيد من فروع الصوالحة إلى أن يهجروا سيناء ، ولا يزال لهم نخيل فى وادى فيران يملكونه حتى الآن [3] . . .

(1) يراجع تقرير (براملى) عن القبائل العربية فى مصر تحت اسم (العليجات) ، وتراجع احصائيات وزارة الحربية عن توزيع القبائل فى مصر ، وسنجد فيها أن من العليجات حوالى ٤٠٠٠ شخصاً يسكنون القليوبية وحوالى ٦٠٠٠ شخصاً يسكنون فى أسوان .

(2) راجع احصائيات وزارة الحربية عن القبائل المصرية الذى عمل فى سنة ١٩٢٩ .

(3) راجع نعيم بك شقير فى كتابه تاريخ سيناء صفحة ١١٤ .

التقسيم العام لسيناء من حيث درجة توافر الرخاء فيها

والآن هل يمكن الخروج من كل تلك الدراسة السابقة للماء والنبات وتوزيع القبائل بتعيين مناطق متميزة فى شبه الجزيرة تكون الطبيعة قد سخت فيها فجعلتها أكثر احتمالا أو قست عليها فأصبحت الحياة فيها صعبة لا تطاق ، أو تركتها بين السخاء والقسوة تتطلب الجهد الانسانى لكى يستطيع الانسان أن يعيش فيها ؟ أو بمعنى آخر هل يمكن أن نتلمس فى سيناء تلك الأقسام المختلفة التى يقسم الكتّاب مناطق السكنى البشرية اليها — مناطق الغنى ، . ومناطق الفقر ، . ومناطق الضعف ، . ومناطق الارتحال ، . ومناطق العمل ، . ومناطق الصعوبة الدائمة ، . — ناظرين فى ذلك إلى درجة توافر الرخاء ؟ ؟ الواقع أنه يجب — بعد كل ما تقدم — أن نكون مقتصدين هنا جدا فى فهم معنى تلك الاصطلاحات ، وأن تؤخذ دائما بمعنى ضيق محدود ، وتفهم على أنها تعابير نسبية بين مناطق شبه جزيرة سيناء المختلفة .

وسيظهر عند تلمس الأقسام الستة السابقة أن منها ما لا يمثل فى سيناء مطلقا ، وأن فيها أقساما اقتضت ظروف سيناء وطبيعة سكانها أن يتداخل بعضها فى بعض بحيث يمكن أن توضع المنطقة الواحدة تحت أكثر من قسم واحد :

— أما مناطق الغنى : تلك المناطق التى تجود فيها الطبيعـة بأكثر من حاجات الانسان ، والتى ينشط فيها السكان فتزداد مكافأة الطبيعة لهم ، فهذه مناطق لا تساعد ظروف سيناء على أن نجد ما يمثلها فيها ، وما ينتظر فى بيئة تكاد تكون صحراوية فقيرة فى مائها ونباتها أن يتلمس فيها مناطق غنى مهما فهم اللفظ بمعناه الضيق المحدود .

— وأما مناطق الفقر : فمعقول أن تمثل بكثرة هنا فى تلك المناطق التى تقسو الطبيعة فيشتد بخلها بالماء والنبات ، ويتعذر على السكان تبعاً لهذا أن يجدوا قوتهم فيها أو يصادفهم ما يمكن أن تعتمد عليه حيواناتهم من مرعى ومياه ، ولذا كانت مثل

هذه المناطق غير محببة إلى بدو سيناء ، يندر أن يسكنها إلا بيوت قليلة من بعض القبائل الى أجل معلوم . . . ولعل خير ما يمثل مناطق الفقر فى سيناء هى هذه السهول الرملية التى تحف بخليج العقبة فى ضيق أو التى تقع متسعة على جانب خليج السويس ممثلة فى سهل القاع والمرخاء وتلك المساحات الصحراوية القفرة إلى الجنوب الشرق من رأس خليج السويس ، ثم فى منطقة الرمل فى دبة الرملة ، وفى غالب سينـاء الوسطى فى هضبة التيه ، مضافا إلى ذلك تحدبات الكثبان . . .

— ومناطق الضعف : التى تطلق على المناطق التى يعجز الانسان عن استغلال ثروتها ، لا لضعف راجع اليه ، بل لصعوبات تضعها الطبيعة يصبح معها الاستغلال فى مثل تلك الظروف صعباً متعذرا . . . وليس أمامنا فى شبه الجزيرة بحالتها الراهنة ما يمكن أن يؤخذ مثلا لمناطق الضعف هذه ، لكن إذ انظر إلى اتساع المناطق التى تبعث دراسة العلماء الأمل فى غناها بالمعادن ، وانتشارها فى أماكن يقل ماؤها ويقسو مناخها وتصعب مواصلاتها ، فان مثل تلك المراكز يمكن أن تدخل فى دائرة مناطق الضعف ، إذ أنه لن يتمكن الانسان من استغلالها عند ما تكتشف معادنها إلا بالتغلب على صعوبة المواصلات وحل مشكلة الماء .

— أما مناطق الارتحال : التى يضطر السكان إلى أن يعيشوا فيها متنقلين ما دامت الموارد فيها غير ثابتة ولا مضمونة ، فغالب جهات سيناء المسكونة مناطق ارتحال يعيش أهلها عيشة التنقل المستمر بين سيناء وما يجاورها فى الشرق والغرب : فوديان شبه الجزيرة فى نصفها الشمـالى بوجه خاص وديان غنية بمرعاها وانتاج الحبوب فى مواسم سقوط المطر ، لكن ذلك المطر غير مضمون يسقط عاما وقد ينقطع أعواما ، وإذا فلا بد للبدو عندئذ من أن يتلمسوا مرعاهم خارج سيناء حيث يكون المطر أشد ضمانا والرعى أكثر توافرا . . . والظاهر أن الأمل ليس قريباً فى تحول مناطق الارتحال هذه إلى مناطق سكني واستقرار ، لا لأن السكان أنفسهم يصعب أن يتحولوا إلى حياة

الاستقرار بل المشكلة الأساسية هى تهيئة الظروف التى تسمح بذلك الاستقرار ، وبتوفير الماء لسنين الجفاف الكثيرة والاستفادة من ماء المطر أكثر مما يستفاد منه الآن . . . والواقع أن اهتمام ادارة سيناء بتلك الناحية ودراستها دراسة وافية اهتمام بسيط جدا ، وتجارب الهيئات المختصة فى مثل تلك المشروعات تكاد تكون معدومة هناك ، ومن الصعب مع انعدام مثل هذه المعلومات عن مدى نجاح التجارب وفشلها أن يقال فى مستقبل مناطق الارتحال فى سيناء رأى نهائى مقبول .

ــ ومناطق العمل : التى لا بد أن يبذل الانسان فيها مجهودا كيما تعطيه الطبيعة إنتاجا يسد حاجته ، أى أن الثروة فى مثل تلك المناطق لا بد من أن تنتزع من الطبيعة انتزاعا . . . فهذه مناطق ممثلة فى سيناء فى الأراضى التى تقوم الحيـاة النباتية فيها على ما يحفر من آبار ، وعلى بعض تلك العيون التى يبذل الجهد لتنظيم الاستفادة منها . وخير أمثلة لذلك هى منطقة « عين الجديرات » التى أقيم خزان عليها ، وركب الرافع (الهيدروليكى) للاستفادة من المـاء فى الأراضى الأكثر ارتفاعا ، ومدت الأنابيب لتوصيله إلى أكبر مساحة ممكنة . . . . وفى عين (الحديرة) فى جنوب شرق سيناء ، التى نظمت الاستفادة منها ، وفى مناطق الآبار المتعددة التى حفرت فى شمال سيناء سيما فى منطقة رفح والعريش ، أو فى جنوب سيناء الغربى فى جوار الطور .

ــ أما مناطق الصعوبة الدائمة : التى تطلق على المناطق المحدودة الانتاج ، والتى لا تكفى ثروتها إلا لعدد معين من السكان ، فهذه ممثلة فى أغنى جهات سيناء وأكثرها سكاناً واستقرارا ، سواء فى الوديان الجنوبية الغنية بمائهـا الدائم فى (فيران ونصب والكيـد) . . . ، أو فى المراكز الغنية بالماء فى الشمال والتى أدخلنا جزءا كبيرا منها فى منطقة العمل السابقة ، لأن مثل هذه المناطق وإن نعتناها بالغني ، ولمسنا فيها لونا من الحياة المستقرة ، فهذا غنى نسبى يظهر فى هذا الوسط المجدب فى سيناء ، وحالة استقرار مؤقتة يتمتع فيها السكان بشىء من الهدوء والاطمئنان . . . .

*

* *

وسنختم دراسة السكان هذه باحصائيات عن عدد السكان فى مراكز سيناء المختلفة وعن متوسط عدد أفراد العائلة فى كل جهة منها ، وهذه بيانات يصعب أن تتم ــ فى مثل هذه البادية القاحلة ــ على وجه محكم وأسس دقيقة ، لكنها مع ذلك تعطينا صورة مركزة لما درس من قبل فى توسع وتفصيل ، صورة نخرج منها بالأهمية المحدودة لشبه الجزيرة من ناحية حياة الاستقرار فيها ، كما نلمس فيها مبلغ التباين بين جهات سيناء المختلفة فى درجة العمران ، ومن السهل أن يجد القارىء تفسير كل هذا فيما تقدم من شرح وتحليل .

الجدول الأول — عدد سكان كل مركز فى كل من الستة تعدادات الأخيرة (١٨٨٢ — ١٩٣٧) حسب حدوده الحالية

أقسام محافظة سيناء	النوع	١٨٨٢	١٨٩٧		١٩٠٧		١٩١٧		١٩٢٧		١٩٣٧	
		عدد السكان	عدد السكان	الزيادة السنوية	عدد السكان	الزيادة السنوية	عدد السكان	الزيادة السنوية	عدد السكان	الزيادة السنوية	عدد السكان	الزيادة السنوية
				٪		٪		٪		٪		٪
سيناء الجنوبى . . .	ذكور	١١١	٤١١	١٨ر٠	٥٦٢	٣ر٧	٦٢٢	١ر١	١٨٤٧	١٩ر٧	١٧٦٣	٥ر٥ —
	أناث	١٠٦	٢٠٣	٦ر١	٥٠٦	١٤ر٩	٤٢٣	١ر٦ —	٥٤١	٢ر٨	٦٨٦	٢ر٧
	جملة	٢١٧	٦١٤	١٢ر٢	١٠٦٨	٧ر٤	١٠٤٥	٠ر٢ —	٢٣٨٨	١٢ر٩	٢٤٤٩	٠ر٣
« الشمالى	ذكور	١٩٤٩	٢٠٧٩	٠ر٤	٣٠٠١	٤ر٤	٢١٤٨	٢ر٨ —	٥٢١٢	١٤ر٣	٦١١٥	١ر٧
	أناث	١٩٧٤	٢٠٠٢	٠ر١	٢٨٩٦	٤ر٥	٢٢٣٧	٢ر٣ —	٤٢٦٦	٩ر١	٤٩٨٢	١ر٧
	جملة	٣٩٢٣	٤٠٨١	٠ر٣	٥٨٩٧	٤ر٤	٤٣٨٥	٢ر٦ —	٩٤٧٨	١١ر٦	١١٠٩٧	١ر٧
« المتوسط . . .	ذكور	—	—	—	١٩٢	—	—	—	١٣٧	—	٥٧٠	٣١ر٦
	أناث	—	—	—	١١٥	—	—	—	٢٤	—	٢٧٧	١٠٥ر٤
	جملة	—	—	—	٣٠٧	—	—	—	١٦١	—	٨٤٧	٤٢ر٦
القنطرة شرق . . .	ذكور	٢٣	٩٠	١٩ر٤	٦٠	٣ر٣ —	—	—	٢١١٧	—	١٩٠٧	١ر٠ —
	أناث	١٦	٥٩	١٧ر٩	٧٥	٢ر٧	—	—	٩١٥	—	١٧١١	٨ر٧
	جملة	٣٩	١٤٩	١٨ر٨	١٣٥	٠ر٩ —	—	—	٣٠٣٢	—	٣٦١٨	١ر٩
جملة المحافظة . .	ذكور	٢٠٨٣	٢٥٨٠	١ر٦	٣٨١٥	٤ر٨	٢٧٧٠	٢ر٧ —	٩٣١٣	٢٣ر٦	١٠٣٥٥	١ر١
	أناث	٢٠٩٦	٢٢٦٤	٠ر٥	٣٥٩٢	٥ر٩	٢٦٦٠	٢ر٦ —	٥٧٤٦	١١ر٦	٧٦٥٦	٣ر٣
	جملة	٤١٧٩	٤٨٤٤	١ر١	٧٤٠٧	٥ر٣	٥٤٣٠	٢ر٧ —	١٥٠٥٩	١٧ر٦	١٨٠١١	٢ر٠

الجدول الثانى — عدد العائلات والأشخاص بكل ناحية مع بيان مساحتها وتزاحمها بالسكان ومتوسط عدد أفراد العائلة (تعداد سنة ١٩٣٧)

النواحى	المساحة (١) بالكيلومتر المربع	عدد العائلات	جملة عدد الأشخاص	التزاحم أى متوسط عدد الأشخاص بكل كيلومتر مربع	متوسط عدد أفراد العائلة
قسم سيناء الجنوبى :					
أبو زنيمة	—	١٦٥	٢٧١	—	٢
أم بجمه	—	٣٤١	٣٧٨	—	١
جبيل	—	٥٠	١٥٦	—	٣
الدير (دير طور سيناء).	—	١٩	١٩	—	١
الطور	—	٧٧	٢٩١	—	٤
محجر الطور	—	٥٧٠	٧٤٦	—	١
مصيعد	—	١٢	٢٧	—	٢
المنشية	—	١١٥	٥١٢	—	٤
وادى الطور	—	١٣	٤٩	—	٤
جملة	—	١٣٦٢	١٣٦٢	—	٢
قسم سيناء الشمالى :					
بئر العبد (وتشمل موسفيج وبحـيرة البردويل وسلمانة وتلول) . .	—	٥٣	٢١٥	—	٤
رفح	—	٩٢	٤٣٧	—	٥
الشيخ زويد (وتشمل جبر عمير والحرابة والجورة وجوادة)	—	٧٨	٣٩٥	—	٥

(١) مساحتها ليست معروفة .

النواحى	المساحة بالكيلومتر المربع	عدد العائلات	جملة عدد الأشخاص	الزمام أي متوسط عدد الأشخاص لكل كيلومتر مربع	متوسط عدد أفراد العائلة
العريش (ولشمل أبو سقل والمشية والأرطة والشواديف والمطار)	—	١٥٨٦	٩٧٠١	—	٦
مزار (ولشمل سبيكة والزوايق وتلول ومحطة الرودول) .	—	٨٧	٣٤٩	—	٤
جملة	—	١٨٩٦	١١٠٩٧	—	٦
قسم سيناء المتوسط :					
الحسنة	—	١٤	٤٦	—	٣
رأس النقب	—	٣١	٤٥	—	١
طابا	—	٣١	٦٦	—	٢
القصيمة	—	٢٢٣	٥٣٩	—	٢
الكونتلا	—	٣١	٧٩	—	٢
نخل وصدر	—	٥٣	٧٢	—	١
جملة	—	٣٨٣	٨٤٧	—	٢
قسم القنطرة شرق :					
الرومانى	—	٧٦	٣٤٧	—	٥
الشط وعيون موسى . .	—	٨٨	٣٢٥	—	٤
القنطرة شرق	—	٤٩٣	١٩٢٧	—	٤
مساكن عمال سكة حديد فلسطين وكيلو ٨ و ١٦	—	١٩٤	١٠١٩	—	٥
جملة	—	٨٥١	٣٦١٨	—	٤
جملة محافظة سيناء	—	٤٤٩٢	١٨٠١١	—	٤

ملحق (١)

الحدود الشرقية لشبه جزيرة سيناء

إن سيناء التى يدور البحث عليها هنا هى التى عيّنت حدودها الشرقية تلك الاتفاقية «التى وقع عليها وتبودلت فى رفح فى أول أكتوبر عام ١٩٠٦ بين مندوبى الدولة العلية ومندوبى الخديوية الجليلة»[١] . . . ، وهذا التحديد جاء نتيجة لحادثة (طابا) ، واحتكاك تركيا فى مناطق نفوذها وأملاكها التى كانت لها فى الجزيرة العربية وبلاد الشام بمنطقة النفوذ التى أصبحت لانجلترة فى مصر بعد احتلالها لها عام ١٨٨٢ ، وهو احتكاك ما كان يمكن أن تترك معه حدود مصر الشرقية كما كانت دون أن تعين تعيينا واضحا ، سيما وأن السلطان كان يسمح بأن يتجاوز نفوذ ولاته فى مصر حدود سيناء الى قلاع الحجاز ، عند ما كانت مصر تخضع لحكم الدولة العلية . . . ولقد ظهرت مخاوف تركيا هذه مع الاحتلال الانجليزى لمصر ، فحاولت فى فرمان تولية الخديوى (عباس الثانى) أن تنزع منه حكم سيناء لتضمها الى ولاية الحجاز لولا أن الحكومة الانجليزية كانت متيقظة لذلك ، فاضطرت البـاب العالى الى أن يلحق بفرمان الولاية ما يؤكد حق مصر فى كل جهات سيناء فى ٨ ابريل سنة ١٨٩٢[٢] ؛

---

(١) تراجع نصوص هذه الاتفاقية فى مجموعة الوثائق الرسمية الصادرة عام ١٩٠٦ (طبع المطبعة الأميرية فى سنة ١٩٣١) .

(٢) يراجع فى ذلك المخاطبات الرسمية بشأن حدود مصر فى شبه جزيرة سيناء .
Correspondance Respecting the Turko-Egyptian Frontier in Sinai, presented to both Houses of Parliament by Command of His Majesty, July (1906) pp. 1-6.

فاذا عادت تركيا تحاول ضمان منطقة لها فى شبه الجزيرة لتوقف مطامع انجلترة ، وتحرشت بمصر فاحتلت (طابا) ، ثارت انجلترة ضد ذلك ، وحتمت ضرورة تعيين الحدود الشرقية لسيناء على أساس تصحيح ٨ ابريل سنة ١٨٩٢ ، وعلى قاعدة خط يمتد فى اتجاه مستقيم تقريباً إلى الجنوب الشرقى من رفح حتى رأس خليج العقبة[1] .

وهذه الحدود فى الواقع حدود سياسية بحته ، إذ أن تضاريس سيناء ومظاهر طبوغرافيتها[2] ونظـام تكوينها الجيولوجى ، يمتد خارج تلك الحدود ويتجاوزها إلى الأقطار المجاورة ، حتى ان كاتبا مثل (كرنكل) يفضل أن تدرس چيولوچية التيه مثلا مع چيولوچية جنوب بلاد الشام للارتباط الشديد بينهما[3] . كذلك تقطع تلك الحدود مجارى الوديان وتتركها مقسمة ، كما تفصل بين أراضى القبيلة الواحدة فيصبح جزء منها فى أرض سيناء وجزؤها الآخر فى شرق الأردن ؛ وتخضع بطون من القبيلة الواحدة لحكومة مصر وبطون أخرى من نفس القبيلة لحكومة فلسطين ؛ وفى ذلك ما يصعب مهمة الحكام فى مناطق تشتبك مصالحها فى المرعى والماء ، وبين سكان طبيعتهم التنقل ورابطة القربى بينهم متينة لا يسهل التجاوز عنها ، الشىء الذى لم يستطع الطرفان إنكاره ، بل سمحا للقبائل فى كلا الجانبين بحق الانتفاع بالماء حسب سابق عادتها ، وأعطيت العشائر التأمينات اللازمة لها ، وتركت الملكية فى المياه والحقول والأراضى كما هى دون أن تتأثر بذلك التحديد[4].

---

(١) تراجع المخاطبات السابقة صحفتى ١٢ و١٣ (رد السفير الانجليزى فى تركيا Sir N. O'Conor على توفيق باشا فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٦) .

(٢) راجع : A. H. Keane, *Asia*, V. II, p. 406 (1909).

(٣) راجع : E. Krenkel, *Geologie der Erde* : Erster Teil, *Sinai*, p. 87

(٤) تراجع المادتان السادسة والثامنة من اتفاقية الحدود السابقة .

*

* *

تلك هى حالة الحدود الشرقية لا نجدها فى الغالب قائمة على أسس طبيعية جغرافية ، فهل هنالك من الأسس التاريخية ما دعا الى الأخذ بمثل ذلك التحديد ؟ الواقع أن عدم وجود حدود طبيعية متمـيزة بين شبه جزيرة سيناء والبلاد الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقى منها ، ترك سيناء مسرحاً لتنازع القوى المختلفة ومجالا يمتد نفوذ القَوِىّ بسهولة اليه . وما كانت القبائل البدوية الآتية من المناطق الصحراوية المجاورة بالتى ترى فى بيئة سيناء اختلافاً جوهرياً عن بيئتها الأولى ، بل كانت فى نظرها جزءاً متمما لهـا يدخل فى دائرة حدودها . . ومن هنا أصبح من الصعب أن نخرج من الكتابات التاريخية المختلفة بشىء معين عن حدود مصر الشرقية ، لأن هذه الحدود كانت تتقدم وتتراجع تبعاً لاختلاف التوازن بين سلطان القوى المجاورة لها أو تعادله ، وكان وقوع المناطق المحيطة بسيناء تحت حكم واحد فى فترات تاريخية مختلفة داعياً لأن تظل تلك الحدود الشرقية متداخلة ، إذ لم يكن هنالك ما يدعو إلى الاهتمام بتحديدها وتعيينها ، سيما وأن سيناء كانت منطقة مجدبة ، أهميتها الاقتصادية تكاد تكون مركزة فى شىء من المعادن ، فما هى إذاً بالتى تغرى كثيراً على امتلاكها والحرص على أن تتمسك القوى المختلفة بما اكتسبته من النفوذ فيها ، وكثيراً ما كان ينظر اليها كأنها حاجز فاصل بين مصر وما إلى شرقيها من الأقطار ، بدليل أن حصون مصر الشرقية أيام الفراعنة كانت ممتدة على طول برزخ السويس[1] ، وبدليل أن الآثار المصرية القديمة مقصورة على مناطق التعدين فى بعض جهات سيناء الجنوبية .

ومن أجل هذا نجد كتابا مثل (پلنى وهيرودوت وغيرهما) يعينون حدود بلاد العرب بحيث تشمل الجزء الأكبر من سيناء الذى أطلقوا عليه اسم بلاد العرب

---

(١) راجع فى هذا ما كتب عن تاريخ مصر القديم مثل مؤلفات ماسبيرو وغيره .

الحجرية[١] Arabia Petra ، ونجد كاتبا (كاسترابون) وغيره يدخل منطقة الساحل فى سيناء الشمالية ضمن بلاد الفينيقيين[٢] ، فى حين أن هنالك من الكتابات القديمة ما يجعل حد مصر الشرق ناحية الشام هو (وادى مصر) المعروف الآن باسم وادى العريش.

وجغرافيو العرب كذلك يختلفون فى مدى اتساع حدود بلاد العرب ومبلغ امتدادها فى بلاد التيه وطورسينـاء : منهم من يدخل سيناء كلها فى بلاد العرب (كالهمدانى وياقوت وغيرهما)[٣] ، ومنهم من يخرج سيناء صراحة من حدود بلاد العرب وإن اختلفوا فى تعيين الحد الشرق لها ، هل يضعونه عند العريش أو عند رفح أو فى مكان أطلقوا عليه اسم الشجرتين قريباً من العريش ، ومن هؤلاء (الاصطخرى فى كتابه «مسالك الممالك» و(اليعقوبى) فى كتاب «البلدان»[٤] .

ولم يقتصر ذلك الاضطراب فى الحدود الشرقية على الفترات البعيدة بل ظل هذا الغموض حتى أوائل القرن العشرين ، فبالرغم من أن السلطان قد أعطى محمد على حكم بلاد سيناء وبعض قلاع الحجاز ، وضمن حكم أرض سيناء لخلفائه ابراهيم وعباس الأول وسعيد واسماعيل ، فان الاحتلال الانجليزى لمصر ، وخروج الرقابة الفعلية على مصر من يد تركيا ، وخوف السلاطين من مطامع انجلترة فى أملاكهم فى الشام والحجاز وغيرهما ، كل ذلك حرك مسألة الحدود الشرقية من جديد ، فاستردت تركيا قلاع الحجاز ، وتسلمت العقبة فى سنة ١٨٩٢ ، وصدر الفرمان بتولية الخديوى عباس الثانى وهو يخرج شبه جزيرة سيناء من حدود مصر — كما قلنا — ، مشيراً إلى أن

(١) راجع فى هامش صفحة ٤٧٧ تعليق المترجم على كتاب هيرودوت بخصوص تحديد بلاد العرب *History of Herodotus by George Rawlinson*, V, I.

(٢) راجع ذلك فى جغرافية استرابون *The Geography of Strabo*, Translated by Hamilton and Falconer, vol., III, p. 171.

(٣) راجع فى هذا كتاب صفة جزيرة العرب للهمدانى جزء أول طبع ليدن صفحة ٤٧ وراجع الجزء الثالث من معجم البلدان لياقوت صفحة ١٠ .

(٤) راجع فى هذا جغرافية أبى الفداء طبع باريس (١٨٤٨) فى المجلد الثانى من الجزء الأول صفحة ٩٩ .

الخريطة التى عينت حدود مصر لمحمد على عام ١٨٤١ لا تدخل هذه المساحة ضمنها ، وإنما تمتد الحدود الشرقية لمصر فيهـا من العريش إلى السويس[١] . ثم ينتهى الأمر باعتراف تركيا — تحت ضغط الانجليز — بحق مصر القديم فى كل بلاد سيناء. لكن تركيا تعود فتثير مسألة الحدود الشرقية من جديد ، ويظهر الاضطراب فى تلك الحدود الشرقية من دراسة المقترحات المتنوعة التى كانت تتقدم بها تركيا بين وقت وآخر ؛ فهى طورا تقترح الأخذ بما جاء بالخريطة المشار اليها ، وطورا تريد تعيين الحدود بخط يمتد بين رأس محمد ورفح ، وطورا ثالثاً تعرض أن تعطى مصر المساحة من سيناء الواقعة جنوب خط ممتد من العقبة الى السويس ، مع إضافة تلك الأراضى الواقعـة إلى يمين خط آخر ممتد من رفح إلى السويس ، فيترك لتركيا على أساس ذلك تلك المنطقة المحصورة فى مثلث يرتكز على العقبة ورفح والسويس. لكن كل هذه حلول لم توافق انجلترة عليها لأنها كانت مصممة على إبعاد نفوذ الأتراك عن منطقة القناة ، إذ كان وجودها فى (نخل) — على أساس تعيين الحدود بخط ممتد بين رأس محمد ورفح — ، أو وجودها قرب السويس — على أساس الاقتراح الثانى — يجعلها فى مركز يقلق انجلترة ، ويمكن تركيا الاسلامية من أن تنشر دعايتها ، فتثير العالم الاسلامى ضد الانجليز كما أشار (لورد كرومر) صراحة الى ذلك . . . ولهذا تمسكت انجلترة بوجهة نظرها ، وانتهى الأمر بتعيين الحدود الحالية ، على أساس لم يراع فيه غير العوامل السياسية ووجهة النظر الحربية.

(١) هذه الخريطة المشار اليها مشكوك فى صحة ما يقال عنها ، لأن النسخة المصرية حرقت ضمن وثائق أخرى فى دار المحفوظات المصرية ولم يبق الا النسخة التركية التى تشير اليها المكاتبات التركية . . يراجع خطاب «لورد كرومر» الى (سير ادوارد جراى) فى ٢١ مايو سنة ١٩٠٦ فى المخاطبات الخاصة بتعيين الحدود المصرية التركية فى شبه جزيرة سيناء صفحة ١٨ من الوثائق السابق الاشارة اليها .

ويراجع كذلك كتاب نعيم بك شقير فى الفصل الخامس .

ملحق (٢)

مراجع البحث

ليس هنالك من المراجع ما يمكن أن يُطمأنّ اليه فى دراسة سيناء فى الفترات القديمة ، وكل ما يصادفنا هو مجرد فقرات تأتى عرضاً عند الكلام على بلاد العرب التى كثيرا ما كانت سيناء تضم إليها وتعتبر جزءا منها . وحتى فى تلك الفقرات القصيرة نفسها نجد غموضا لا يمكن أن نخرج منه بصورة واضحة مفيدة ، فالكتابات التى نجدها فى مؤلفات كتاب تاريخ مصر القديم أمثال (ماسبيرو وشارب وبدج وشمپليون و . . و . . الخ) لا تجاوز الكلام عن غارات عناصر بدوية كانت تسكن سيناء وتنزل على حدود مصر الشرقية ، ولا تتعرض إلا لهذا الصراع المستمر بين تلك العناصر وبين حكام مصر الذين قاسوا منهم كثيراً ؛ وإن أشارت تلك الكتابات إلى سيناء فاشارات محدودة الى مناطق التعدين فى جهاتها الجنوبية . وكتاب الفترة المسيحية الذين كتبوا فى القرون الأولى للميلاد أمثال Ommonius, Nilus, Martyr, Antoninus وغيرهم لم يهتموا إلا بمناطق الرهبنة فى سيناء ، والكلام على حالة الرهبان فى منطقة الدير وما حولها ؛ وإن أشاروا إلى العناصر الأخرى فما يشيرون إلا إشارات وجيزة ، لا نخرج منها إلا بتصوير للحالة القلقة التى كان يعيش الرهبان فيها لكثرة ما كان يهددهم من غارات البدو والمحاربين .

فاذا جاءت الفترة الإسلامية ، فان اهتمام كتاب العرب بسيناء يظل ضئيلا فما يمسونها فى كتابتهم إلا مساً خفيفا لا يغنى ؛ حقيقة إن هؤلاء الكتاب قد فصلوا الكتابة

فى شبه الجزيرة العربية وسكانها ، وإنَّ منهم كثيرين اعتبروا سيناء ضمن بلاد العرب لكنهم مع ذلك لم يخصوها بتفصيل ما . وإذا رحنا نتلمس نصيبها بين هذه الكتابات العامة فنحن أمام معلومات يصعب أن نستسيغها ، وإن هؤلاء الكتاب ليكرر بعضهم كلام بعض دون نقد أو تصرف[١] . وحتى (ابن خلدون) نفسه — الذى أخذ على من سبقه من الكتاب السرد والمبالغة — لا نجده يستطيع التخلص من ذلك العيب الذى وقع فيه من تقدموه ، وإن كان هو قد حاول ذلك فنجح فيه أحياناً[٢] .

وبالرغم من أن معلوماتنا عن سيناء وقبائلها قد اتسعت ابتداء من القرن الثامن عشر وما بعده ، نتيجة لما كتبه الرحالة المختلفون أمثال (نيبور — بركهاردت — سيتسن — روبل — روبنسن — ولستد — لابورد — ، وغيرهم) فان كتابة هؤلاء جميعاً تحتاج الى شيء كثير من التمحيص والحذر فى قبولها ، لأنهم من جهة كانوا زواراً يقضون فى شبه الجزيرة أياما قصيرة ، ولأنهم من جهة أخرى كانوا يجهلون لغة القبائل ، ويعتمدون فى الغالب على أقوال يلقيها عليهم أدلاؤهم دون تدقيق أو تمحيص .

والغريب أن النقص فى كتابة أمثال هؤلاء الرحالة لا نجد ما يكمله فى كتابة الذين كانت أمامهم فرصة أكثر اتساعاً ، باقامتهم فى سيناء عدداً من السنين وباحتكاكهم بالأهالى هنالك احتكاكا مستمراً طويلا : فسجلات (مصلحة الحدود) التى رجعنا اليها لم نعثر فيها على شيء كبير ذى أهمية ، والموظفون المختلفون الذين تعاقبوا على سيناء لم نر لغالبيتهم ما يثبت دراستهم واختباراتهم وتجاربهم ومشاهداتهم فى شبه الجزيرة مدة إقامتهم بها .

ولعل المصادر التى تعرضت للدراسة المناخية والأنثروبولوجية والأركيولوجية لشبه الجزيرة هى أضعف مصادر البحث كلها ؛ ففى الناحية المناخية لا يوجد فى سيناء

---

(١) يأخذ جورجى زيدان ذلك على كتاب العرب فى مقدمة كتابه (العرب قبل الاسلام) جزء أول طبع سنة ١٩٠٨ .

(٢) راجع الجزء الثانى من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر « للعلامة عبد الرحمن بن خلدون ».

كلها محطة متيرولوجية دقيقة ، وليس أمامنا إحصائيات وافية كاملة ، وغالب ما يدونه الرحالة فى ذلك الاتجاه منصب على فترة محدودة من السنة هى فى الغالب أشهر الربيع والشتاء . . . أما الدراسة الأنثروبولوجية لشبه الجزيرة فتكاد تكون معدومة ، إذ لم يصادفنا فى هذه الناحية إلا ما كتبه (شانتر) الذى درس قبائل (الطوارة) فى سيناء الجنوبية دراسة مفصلة ، وإن كان هو يصرح بأن معظم الأفراد الذين درسهم إنما كانوا من قبيلة (العليجات) ، الأمر الذى يجعل دراسته محصورة ومحدودة ، وإن كان هو يرى (العليجات) مثلا طيباً لقبائل الطوارة جميعاً [1] .

وأخيراً فان عدداً كبيراً من الكتب التى كتبت عن سيناء وبحثت فيها تصطبغ بصبغة دينية ، وتدور نقط بحثها حول طريق الاسرائيليين ، وتحقيق المحطات التى ورد ذكرها فى التوراة ، نظراً لارتباط جنوب سيناء بقصة خروج موسى وتيه بنى اسرائيل . ومثل هذا اللون من الكتابة يفيدنا فائدة محدودة جداً ، ويتطلب شيئاً كثيراً من الحرص فى قبول النقط الجغرافية التى يعالجها ، لأنه فى الغالب ينحو نحو تسخير الجغرافية لوجهة النظر التى يأخذ الكاتب بها فى هذا الاتجاه .

---

(1) راجع : Ernest Chantre, *Recherches anthropologiques dans L'Afrique orientale* (*L'Égypte*), pp. 203-227.

أولا — المراجع العربية :

١ — ابن إياس ؛ محمد بن احمد : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، طبع بولاق (١٨٩٤) .

٢ — ابن بطوطة : مهذب تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبع وزارة المعارف العمومية سنة ١٩٣٣ .

٣ — ابن خرذاذبة ؛ أبو القاسم عبد الله بن عبد الله : المسالك والممالك ، طبع ليدن ١٣٠٦هـ .

٤ — ابن رسته : الأعلاق النفيسة .

٥ — أبو صالح الأرمنى : تاريخ .

٦ — أبو الفرج ؛ قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ملحق بكتاب ابن خرذاذبة .

٧ — الاتفاق الخاص بتعيين حدود مصر الشرقية فى سيناء الممضى فى أول اكتوبر سنة ١٩٠٦ والمستخرج من الوثائق الرسمية الصادرة فى سنة ١٩٠٦ ، طبع المطبعة الأميرية سنة ١٩٣١ .

٨ — ادوارد فان ديك : تاريخ العرب وآدابهم .

٩ — الاصطخرى ؛ أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى : كتاب مسالك الممالك .

١٠ — أنطون يوسف لطفى بك : مشروع خط سكة حديدية تصل القطر المصرى بالديار السورية ؛ خطاب ألقاه فى الجمعية الجغرافية المصرية بجلسة يوم الجمعة ٢٠ مارس سنة ١٨٩١ .

١١ — التعداد العام سنة ١٩٣٧ ؛ الكراسة الخاصة بتعداد محافظات الحدود .

١٢ — تقارير مصلحة خفر السواحل عن مصائد الأسماك فى القطر المصرى .

١٣ — تقارير مصلحة الحدود السنوية عن شبه جزيرة سيناء منذ عام ١٩٢٣ .

١٤ — تقرير مصلحة المناجم المصرية عن صناعة التعدين فى مصر .

١٥ — التقارير المحفوظة فى سجلات مصلحة الحدود بوزارة الحربية عن الطرق والماء بسيناء .

١٦ — جورجى زيدان : كتاب العرب قبل الاسلام ١٩٠٨ .

١٧ — جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ، جزء أول ، طبع الهلال ١٩٠٢ .

١٨ — حمزة الأصفهانى : تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء طبع برلين .

١٩ — درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ؛ مخطوط بدار الكتب (رقم ٣٧ م) .

٢٠ — دكتور حسن صادق : التفسير العلمى للمناظر الطبيعية المصرية ، الكتاب السنوى الثالث للمجمع المصرى للثقافة العلمية سنة ١٩٣٢ .

٢١ — الشريف الادريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق (طبع ليدن ١٨٩٣) .

٢٢ — شهاب الدين القلقشندى : كتاب قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان (مخطوط بدار الكتب المصرية) .

٢٣ — عارف العارف : القضاء بين البدو .

٢٤ — عارف العارف : تاريخ بئر السبع وقبائلها .

٢٥ — عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الثانى .

٢٦ — على باشا مبارك : الخطط التوفيقية لمصر والقاهرة .

٢٧ — القلقشندى ؛ أبو عباس : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب .

٢٨ — القلقشندى : صبح الأعشى ، طبع المطبعة الأميرية سنة ١٩١٤ .

٢٩ — كلوت بك : لمحة عامة الى مصر ، ترجمة محمد مسعود .

٣٠ — محب الدين الخطيب : اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب ، ١٣٤٤ هـ .

٣١ — محمد باشا صادق : دليل الحج للوارد الى مكة والمدينة من كل فج ١٨٦٦ .

٣٢ — محمد كرد على : كتاب خطط الشام .

٣٣ — محمد لبيب البتانونى : الرحلة الحجازية .

٣٤ — مخطوطات بمكتبة دير سانت كترين ليس لها عناوين تتعرض لعلاقة البدو بالدير .

٣٥ — المسعودى ؛ أبو الحسن : مروج الذهب ومعادن الجوهر .

٣٦ — المقدسى ؛ شمس الدين أبو عبد الله : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، طبع ليدن ١٩٠٦ .

٣٧ — المقريزى : البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب .

٣٨ — المقريزى : الخطط .

٣٩ — نعيم بك شقير : تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ، طبع المعارف ١٩١٦ .

٤٠ — الهمدانى : كتاب صفة جزيرة العرب ، طبع ليدن .

٤١ — الواقدى ؛ أبو عبد الله : كتاب فتوح مصر والاسكندرية ، طبع ليدن ١٨٢٥ .

٤٢ — ياقوت الحموى : معجم البلدان ، طبع دار السعادة .

٤٣ — اليعقوبى ؛ أحمد بن أبى يعقوب : كتاب البلدان .

ثانياً — الخرائط والأطالس :

١ — أطلس مصر المقدم للمؤتمر الجغرافى بلندن عام ١٩٢٨ ، مصلحة المساحة ، باللغة الانجليزية .

٢ — الأطلس المناخى لمصر ، مصلحة المساحة ، باللغة الانجليزية .

٣ — المجموعة الكمالية فى جغرافية مصر والقارة الافريقية ، أطالس مجموعة باشراف سمو البرنس يوسف كمال سنة ١٩٣٣ .

٤ — خريطة سيناء مقياس ١/٥٠٠٠٠٠ لمصلحة المساحة المصرية .

٥ — خرائط سيناء مقياس ١/٢٥٠٠٠٠ لمصلحة المساحة المصرية .

٦ — خريطة مصر مقياس ١/١٠٠٠٠٠٠ لمصلحة المساحة المصرية ، (الفترة الرومانية) .

٧ — لوحات (بيتنجار) الخاصة بالطرق الرومانية .

30. — C. U. Kappers, *An Introduction to the Physical Anthropology of the Near East*, Amsterdam 1934.
31. — Lieut. P. G. Elgood, *Egypt and the Army* (1924).
32. — Ellen Semple, *The Influences of Geographic Environment* (1911).
33. — *The Encyclopaedia Britannica*, 11th and 14th Editions.
34. — Ernest Chantre, *Recherches anthropologiques dans l'Afrique orientale*, l'Égypte, 1904.
35. — Félix Mengin, *Histoire de l'Égypte sous le Gouvernement de Mohamed Aly* (1823).
36. — Flinders Petrie, *Researches in Sinai*, 1906.
37. — George Adam Smith, *The Historical Geography of the Holy Land* (1894).
38. — Lieut.-General Sir George Macmunn and Captain Cyril Falls, *History of the Great War* (Based on Official Documents) *Military Operations, Egypt and Palestine from the Outbreak of War with Germany to June 1914* (1928).
39. — George Rawlinson, *History of Herodotus*, vol. 1 and 2, Bloomsbury 1935.
40. — Grafton Milne, *A History of Egypt under the Roman Rule*, London 1924.
41. — Haynes, *Man Hunting in the Desert* (1894).
42. — Heneri Lammens, *Le Climat syro-palestinien, autrefois et aujourd'hui* (1898).
43. — Henery Spenser Palmer, *Sinai from the Fourth Egyptian Dynasty to the Present Day* (Revised by Prof. Sayce 1892).
44. — Huart, *Histoire des Arabes* (1912).
45. — E. Hull, *Mount Seir and Western Palestine* (1885).
46. — E. Hull, *Memoir on the Geology and Geography of Arabia Petrae, Palestine and the Adjacent Districts* (1886).
47. — Hume, *The Topography and Geology of the Peninsula of Sinai* (South Eastern Portion, 1906).
48. — Hume, *Report on the Oil Fields Region of Egypt* (1916).
49. — Hume, *A Brief History of North Sinai and of Palestine* (1918).
50. — Hume, *Geology of Egypt*, vol. 1 and 2, Cairo 1934.
51. — Hume, *Explanatory Notes to Accompany the Geological Map of Egypt* (1912).
52. — J. Hamilton, *Sinai, The Hedjaz and Sudan* (1857).
53. — Huntington, *The Pulse of Progress* (1926).
54. — Huntington, *Palestine and its Transformation* (1911).
55. — Jarvis, *Yesterday and Today in Sinai.*
56. — A. Kammerer, *Petra et La Nabatène* (1929).
57. — A. H. Keane, *Asia*, vol. II (1909).
58. — Luke and Keith Roach, *The Handbook of Palestine and Transjordan* (1930).
59. — Mac Michael, *A History of the Arabs in the Sudan*, vol. 1, Cambridge 1922.
60. — A. Marry Dobson, *Mount Sinai, A Modern Pilgrimage* (1925).
61. — G. Maspero, *Histoire de l'Orient* (1891).
62. — Maspero, *Dawn of Civilisation* (1896).

63. — Maspero, *The Struggle of Nations*, London 1925.
64. — Moon and Sadek, *Topography and Geology of Northern Sinai* (1921).
65. — G. W. Murray, *Sons of Ishmael* (1935).
66. — Murrays, *Handbook of Syria and Palestine* (1875).
67. — C. Niebuhr (Traduit de l'Allemand), *Voyage en Arabie et en autres Pays circonvoisins* (1776).
68. — *Palestine Exploration Fund Publications.*
69. — *The Palestine Exploration Fund : 30 Years Work in the Holy Land.*
70. — E. H. Palmer, *The Desert of the Exodus*, 2 volumes (1871).
71. — Ét. Quatremère, *Mémoires géographiques et historiques sur l'Égypte et sur quelques Contrées voisines* (1811).
72. — J. Raimondi, *Le Désert oriental égyptien* (*Mémoires de la Société Royale de Géographie d'Égypte*).
73. — Raymond Weill, *La Presqu'ile du Sinaï* (1908).
74. — Renée Dussaud, *Les Arabes en Syrie avant l'Islam* (1907).
75. — *Reports on Boring for Oil in Egypt* (Different Publications).
76. — Richard Burton, *The Land of Midian* (1879).
77. — Richard Lepsius, *Discoveries in Egypt, Ethiopia and the Peninsula of Sinai* (1852).
78. — Richard Pococke, *A Description of the East and some other Countries* (1743).
79. — Ritter, *The Comparative Geography of Palestine and the Sinaitic Peninsula* (Translated by Willion Gage, 1866).
80. — *Savary* : (Letters in Egypt, 1799, translated from French).
81. — *The Scottish Geographical Magazine*, Vol. XXXIII, 1917.
82. — Serjeant-Major R.A.M.C. : With the R.A.M.C. in Egypt (1918).
83. — Sharpe, *Egypt*, V. 1 and 2, London 1852.
84. — Soliman Ahmed Huzayyin, *The Arabian East and The Far East : Their Commercial and Cultural Relations during the Graeco-Roman and The Perso-Arabian Periods* (Thesis 1933).
85. — A. Sprenger, *The Ishmaelites and The Arabic Tribes who conquered their Country.*
86. — Stanley Lane Poole, *Egypt in The Middle Ages* (1921).
87. — *Stanley's Sinai and Palestine* (1864).
88. — Strabo, *Geography of :* (Translated by Hamilton and Falciner ; 3 Volumes).
89. — *Views of Typical Desert Scenery in Egypt; prepared by the Geological Survey of Egypt*, presented to the International Geographical Congress, Paris (1931).
90. — E. A. Wallis Budge, *Babylonian Life and History.*
91. — William H. Worrell, *A Study of Races in the Ancient Near East* (1927).
92. — Captain Wilson and Palmer, *Ordonance of Survey of the Peninsula of Sinai* (1869).
93. — Volney, *Travels through Syria and Egypt* (1782) 2 volumes. The English Translation.

ثالثاً — المراجع الأجنبية :

1. — Abbas Ammar, *Physical Measurements and Serology of the People of Sharqiya* (*Jour. Roy. Anthr. Institute*, vol. LXX, part II, 1940).
2. — Abbas Ammar, *Racial Elements in the North-Eastern Province of Egypt* (*Jour. Roy. African Society*, 1941-1942).
3. — Abbas Ammar, *The People of Sharqiya*, 2 volumes, Cairo 1944.
4. — Abou El-Feda, *Géographie*, traduite par M. Reinaud (Paris 1848).
5. — Alexander Dumas, *Travelling Sketches in Egypt and Sinai.*
6. — Alois Musil, *The Northern Hejaz*, 1826.
7. — — *Arabia Deserta* (1927).
8. — E. Amélineau, *La Géographie de l'Égypte à l'Époque Copte* (1890).
9. — Arch Duke Ludwig, *The Caravan Route between Egypt and Syria* (Translated from German 1881).
10. — A. Azadian, *Les Eaux d'Égypte*, 2 volumes (1930).
11. — M. P. Ascherson, *Le Lac Sirbon et Le Mont Casius.*
12. — Ball, *Geography and Geology of West Central Sinai*, Cairo 1916.
13. — Barron, *The Topography and Geology of the Peninsula of Sinai* (The Western Portion 1907).
14. — H. J. L. Beadnell, *The Wilderness of Sinai* (1927).
15. — G. Benedite, *La Péninsule sinaïtique* (1891).
16. — Bramley (Major), *Report about the Arab Tribes in Egypt* (1920).
17. — J. H. Brestead, *Ancient Times, A History of The Early World*, Boston 1916.
18. — R. H. Brown (Major), *The Land of Goshen and The Exodus* (1899).
19. — Burckhardt, *Syria and The Holy Land* (1882).
20. — Charles Wilson, *Picturesque Palestine, Sinai and Egypt* (1881).
21. — M. P. Charlesworth, *Trade Routes and Commerce of The Roman Empire* (1926).
22. — Champollion, *l'Égypte sous les Pharaons.*
23. — *Congrès International de Géographie.* — Compte Rendu. — Le Caire (April 1925).
24. — *Correspondence Respecting the Turco-Egyptian Frontier in the Sinai Peninsula* Presented to both Houses of Parliament by Command of H. M., July 1906.
25. — R. de Damas, *En Orient, Voyage au Sinaï.*
26. — *La Description de l'Égypte* (Different Volumes).
27. — Edward Robinson, *Biblical Researches in Palestine and the Adjacent Regions* (1867).
28. — Edwyn Bevan, *The History of Egypt, The Ptolemaic Dynasty*, London 1927.
29. — S. A. Huzayyin, *Arabia and the Far East*, Cairo 1942.